بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

{كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} (ص: 29)

الإهداء

إلى والدي الكريمين.....

إلى مشايخي الفضلاء الأجلاء الذين أناروا لي دروب العلم والمعرفة والهداية.....

إلى شقيقي الكريمين: فهمان وعبد الرحمن.....

إلى جميع إخواني وأهلي.....

إلى زينة الحياة وأمل المستقبل ولدي عبد الله.....

أهدي لهم هذا الجهد المتواضع

شكر وتقدير

* هنا تقف الكلمات الساميات خاضعة منحنية وهي تؤدي واجب الشكر لمُلِهم الشكر فاللهم لك الحمد، ولك الشكر أجمعه: أوله وآخره، فوق ما نقول وأعظم مما نقول:

ففي خطرات القلب ما لم يقم به بيان ولم ينهض بأعبائه الشعر

* ثم أتقدم بطاقات الشكر، وسجلات الثناء إلى رسم الأمل، وعنوان الرحمة، وكهف الحنان، قمري الحياة وركني الإحسان: أبي وأمي.....، كل ذلك من قلب الحيي المقصر، المأسور بإحسانهما المغمور بإفضالهما..... متعني الله بكما، ورحمكما كما ربيتماني صغيراً.....آمين.

* كما أتوجه بالشكر الجميل إلى إخواني وأخواتي وأهلي الذين ساندوني بما يطيقون.

* ثم أخرج من إطار بلدي؛ لأبث أزكى تعابير الود، وأحلى جمل الشكر لتلك القلعة السودانية البيضاء التي سارت في طريق العلم العريق سنوات طوال من البذل والعطاء، فلكأن الشاعر عناها حين قال:

كالبحر يقذف للقريب جواهـــــراً جوداً ويبعث للبعيد سحـــائباً

كالشمس في كبد السماء وضوؤها يغشى البلاد مشارقاً ومغارباً

شكراً لك.... جامعة أم درمان ممثلة في مديرك المفضال فضيلة الأستاذ الدكتور: حسن عباس حسن - حفظه الله - ومعاونيه.

ولك الشكر أخرى كشخصية اعتبارية في ضمنك أعيان المجتمع وفضلاء الشعب.

والشكر موصول إلى إدارة كلية الدراسات العليا، وكلية أصول الدين، وقسم التفسير على إتاحة هذه الفرصة الغالية لي في مواصلة المشوار العلمي في مرحلة الدراسات العليا (الماجستير).

وإن نسيت فلا ولن أنسى - إن شاء الله - تلك الشخصية الأبوية والإنسانية الرفيعة والمتمثلة في تواضع جمٍّ وتوجيهٍ سديد ومتابعة حانية:

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور: محمد أبكر يوسف.

على ما بذله لي من توجيهٍ ونصح وإفادة..... شيخي الكريم ليس في طوقي شكرك إلا بالدعاء وحسن الثناء.....فشكر الله لك.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الفاضلين الكريمين:

-

-

على قبولهما مناقشة الرسالة وتعاونهما على إنجاح هذا العمل.

كما أشكر الدكتور الفاضل: عبد الخالق عبادي على ما بذله من جهد مشكور ومتابعة شاملة لجميع إجراءات مرحلة: (الماجستير) ولجميع أفراد طاقمه العلمي، والخدمي للطلاب اليمنيين.

والشكر موصول لكل من مدَّ لي يد المساعدة والإعانة من إعارة كتاب، أو تيسير طباعة، أو تصوير، أو أبداء رأي أو ملاحظة.

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجزي الجميع خير الجزاء، وأن يكتب لهم السداد والتوفيق.

"من صنف فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس"
قال الخطيب البغدادي

"قرأت كتاب الرّسالة على الشّافعيّ ثمانين مرّة، فما من مرّة إلاّ وكان يقف على خطأ، فقال الشّافعيّ: "هِيْه"، أبى الله أن يكون كتابا صحيحا غير كتابه"
المُزَني

"إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يوم إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر"
العماد الصفهاني

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً مباركاً فيه.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}[1].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[2].

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } [3].

أما بعد.

فإن الله أنزل على قلب محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – القرآن العظيم والكتاب المعجز؛ ليهدي به العالمين وينذر به الناس أجمعين وقد حوى هذا الكتاب بين دفتيه الشريفتين كل ما يحتاج إليه البشر من الأمور الدينية والدنيوية صراحة، أو تلويحاً، أو قياساً، أو دخولاً، تحت قاعدة؛ فكان كاملاً ً شاملاً مهيمناً على كل الكتب السابقة قبله وكان النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – قد تولى بيان مجمله، وشرح أحكامه، وتناقل ذلك الأصحاب – رضي الله عنهم - ومن بعدهم كذلك حتى وصل إلينا محفوظاً مفسراً مبيناً. وقد تعددت عناية العلماء - رحمهم الله – في تفسيره وخدمته ما بين موضح لمعانيه، ومُبيِّن لمغازيه، ومدافع عنه، وذاكر لفضائله إلى غير ذلك من

([1]) سورة آل عمران آية (102).

([2]) سورة النساء آية (1).

([3]) سورة الأحزاب آية (70) – (71).

مسالك خدمته، وطرائق القيام بواجبه وكان ممن انضم إلى هذا السلك المبارك الإمامان: أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بـ(الخازن) – رحمه الله - في كتابه النفيس (لباب التأويل في معاني التنزيل).

وأبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي - رحمه الله – في كتابه النفيس (تفسير القرآن العظيم).

ولشدة تطلعي إلى موضوع في التفسير وتدبر القرآن الكريم لاسيما وقد تزامن ذلك مع رغبتي في الدراسات العليا؛ كانت كلية أصول الدين في (جامعة أم درمان) الإسلامية الموقرة قد طرحت موضوعاً مهماً عظيم النفع رائق الفكرة في المقارنة بين تفسيرين هما من أجل كتب التفسير وأحسنهما؛ الأول: تفسير الخازن والآخر: تفسير ابن كثير - رحمهما الله جميعاً -؛ فاخترت الانضمام إلى إخواني المشاركين في هذا المشروع الرائع، والموضوع الشيق وذلك بعد موافقة الكلية الموقرة وتفضلهم علي بالانضمام إلى هذه المقارنة.

أهمية الموضوع:

لا خفاء ما لهذا الموضوع من أهمية في معرفة مناهج المفسرين وطرائقهم في التأليف ومن ثَم تصنيف كل منها بحسب طريقته ومنهجه؛ فيكون بذلك إفساح الطريق أمام المتخصصين للاستفادة من هذه الكتب ومطالعتها بحسب مشرب كل مطالع فيها؛ وذلك أن من الناس من يحب توفير وقته في معرفة المعاني فحسب، وآخر يهوى التوسع والتفصيل، ومنهم من يؤثر تفسير الأثر على ما سواه وهكذا دواليك...

فبالمقارنة يظهر كل تفسير بثوبه الذي تميز به؛ وهي كذلك تعطي الخطوط العريضة التي تكون محل الاختلاف والمفارقة بين كل تفسيرين إضافة إلى معرفة ما بذله العلماء في خدمة الكتاب العزيز وكيفية تفانيهم في ذلك واستخدامهم ما أتيح لهم من العلوم في خدمته والذب عنه .

كما إنها تتيح للناظر فيها التأمل في كيفية تعامل المفسرين مع الآيات فتنمو عنده ملكة في هذا الشأن، وأيضاً يتيح للباحث الوصول إلى مطلوبه بأخصر الطرق وأوفر

الوقت فمن يبحث عن الإشكالات والإجابة عنها اتجه للمعتني بذلك ووفر الوقت والجهد.

ومن الفوائد الجليلة والتي تدل بكل وضوح على أهمية هذا الموضوع أن بالمقارنة يتم معرفة الصحيح من الخطأ والتنبيه على مواضع الزلل.

وأخيراً المقارنة بين التفاسير وتصنيفها ومعرفة ذلك من خلال دراسة تفصيلية شاملة يعد مظهراً من مظاهر خدمة الأمة لكتاب ربها وعنايتها به؛ فجزا الله القائمين على هذا المشروع أكمل الجزاء وأتمه.

أسباب اختيار الموضوع:

- إن هذا الموضوع كان مطروحاً من قبل "كلية أصول الدين في جامعة أم درمان الإسلامية" لطلاب مرحلة الدراسات العليا (الماجستير) فانتهزت الفرصة للبحث فيه بعد موافقة الكلية؛ إسهاماً مني في المشاركة في نشر وبيان مزايا تراث العلماء القدماء والتي حوت في طياتها الكثير من الثروة العلمية لا سيما هذين التفسيرين العظيمين اللذَين استوعبا كمية وافرة من مرويات السلف الصالح - رحمهم الله - في التفسير.
- ثم تطلعي لمعرفة شيء من أسرار النظم القرآني الذي كان - ولا يزال - معجزة للناس أجمعين.
- وكذلك العيش مع القرآن الكريم ومعرفة معانيه من خلال النظر في هذين التفسيرين العظيمين.
- أخيراً؛ من المعلوم أن الاهتمام بكتب أهل العلم وإخراجها في حللها اللائقة بها من الوفاء الواجب علينا نحوهم - رحمهم الله تعالى -.

الدراسات السابقة:

لم أجد - حتى ساعة كتابة هذا المبحث - دراسات تتعلق بالمقارنة بين منهجي الإمامين الخازن وابن كثير من خلال (سورة مريم إلى آخر سورة سبأ) إلا أن تكون دراسات تتعلق بمنهج كل من الإمامين على حدة أو مقارنة بين منهجي مفسرين آخرين أو أحد هذين المفسرين مع آخر.

فأما الأول: وهو دراسة منهج أحد الإمامين فكثيرة جداً لا سيما تفسير ابن كثير، فمن ذلك:

- رسالة بعنوان: (الخازن ومنهجه في التفسير): ليحيى بن علي فقيهي، في جامعة الإمام محمد بن سعود - كلية أصول الدين - قسم القرآن وعلومه 1401هـ رسالة ماجستير، في المملكة العربية السعودية.

وأخرى بنفس العنوان: لعبد المنعم فيصل خلف الجنابي، في جامعة بغداد 1993م رسالة ماجستير، في العراق.

- (منهج ابن كثير في التفسير)، لسليمان إبراهيم عبد الله اللاحم، إشراف محمد عبد الرحمن الراوي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1981م، رسالة ماجستير، في المملكة العربية السعودية.
- (حياة ابن كثير ومنهجه في تفسير القرآن العظيم)، لمحمد بن عبد الله بن صالح الفالح، بإشراف: د. محمد الشايع ، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنة: 1420هـ، رسالة دكتوراة، في المملكة العربية السعودية .

وأما الثاني: وهو المقارنة بين تفسيرين، فمن ذلك:

- رسالة بعنوان: (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للطيبي، من أول سورة الأنبياء إلى نهاية سورة الشعراء، دراسة وتحقيق مع مقارنته بتفسير الخازن): لعبد القدوس راجي بن محمد موسى الأفغاني، رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،- كلية القرآن الكريم - قسم التفسير – نوقشت في 1416هـ، في المملكة العربية السعودية.

- وأخرى تشبهها في المنهج بعنوان: (الكفاية في التفسير، لأبي عبدالرحمن النيسابوري الحيري "من أول سورة الأنفال إلى نهاية سورة طه")، تحقيق ودراسة مع المقارنة بتفسير ابن كثير، للباحث: عبدالله بن عواض بن لويحق المطيري، بكلية القرآن الكريم - الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، 1416 هـ، رسالة دكتوراة في المملكة العربية السعودية.
- (المقارنة بين منهج الإمامين ابن جرير وابن كثير في التفسير)، لمحمد مختار ابن طالب آل نوح ، بإشراف عبد الفتاح عاشور ، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، رسالة ماجستير، في مصر.

منهجي في البحث:

- هذا، وأما منهجي في دراسة هذا الموضوع المبارك فعلى النحو الآتي:

- **المنهج الوصفي:**

وفيه قمت بدراسة جوانب الموضوع بطريقة ميسرة متمثلة بالتقاسيم والترتيب، وكذلك بعبارات واضحة؛ سهلة الفهم قريبة المأخذ تتجلى فيها صورة المقارنة ويتضح فيها الفرق بين التفسيرين ومنهج مؤلفيهما.

- **المنهج الاستقرائي:**

وفيه قمت باستقراء وتتبع النصوص والتي على ضوئها تتم المقارنة بين التفسيرين، وجمعها من خلال محاور البحث.

- **المنهج التحليلي:**

وفيه قمت بدراسة النصوص بعد جمعها، وتحليلها والنظر في فروقها ونقاط اتفاقها بين الإمامين.

- **المنهج الاستنتاجي:**

وفيه قمت باستخلاص نتائج الدراسة وتحريرها وفق محاور البحث وبيان ما اتفق فيها الإمامان وما اختلفا.

منهجي في صياغة البحث:

- الرجوع إلى الكتابين في إثبات المنقول عنهما وتدوينه بخط واضح وعريض يتميز عن كلام البحث لا سيما الأمثلة من ذلك.

- المقارنة بين مطبوعات الكتابين للتأكد من سلامة النص إن لزم الأمر.

فمما لا يخفى أن كلاً من التفسيرين قد كتب له شهرة واسعة مما دفع لطبعه أكثر من طبعة لاسيما التفسير الثاني (تفسير ابن كثير)؛ فقد طبع طبعات متعددة وكثيرة جداً؛ ومن أجل هذا فقد اعتمدت لكل من التفسيرين طبعة واحدة أسير عليها لئلا يحصل أدنى تشويش على البحث مع التنبيه على بعض الطبعات إن لزم الأمر وكنت قد

اخترت لتفسير الخازن – رحمه الله – طبعة (دار المعرفة، لبنان، بيروت) وهي طبعة قديمة يظهر أنها كتبت بالآلة الكاتبة وطبع على طرتها تفسير النسفي[1] وفيها أخطاء ودمج كلمات ناتج عن سوء الطباعة؛ وثَم طبعات أخرى استعنت بها.

وأما تفسير ابن كثير فقد اخترت لقراءته والنظر فيه الطبعة التي اعتنى بها الباحث سامي سلامة طبعة (دار طيبة، السعودية، الرياض) لاسيما الأخيرة منها (الأولى بعد الإيداع سنة الطبع 1430هـ - 2009م) بعد ما استدرك ما فاته في الطبعات السابقة وتصحيح الأخطاء التي انتُقِد فيها؛ وهي تعد من أحسن الطبعات وأجملها إن لم تكن هي الأحسن.

- الرجوع إلى المصادر الأصلية في الفنون المختلفة والتنويع بينها ما أمكن مع الاستعانة بالمراجع الأخرى.
- كتابة المنقول عن غير الشيخين بين قوسين مجردين وكذلك منقول الشيخين في غير الأمثلة المدروسة.
- وضع الإحالات في حاشية البحث أسفل الصفحة بخط دقيق على شكل هوامش مرقمة مع الفصل بين الكتاب والحاشية بخط أفقي مستقيم؛ وإحالتها إلى الجزء والصفحة من المطبوعة المعتمدة مع الإشارة إلى مطبوعة أخرى إن كان ثَم اختلاف أو حاجة.
- عنونة الكتاب بالفصول والمباحث التي ذكرتها في خطة البحث.
- ترتيب أمثلة البحث في المقارنة مسلسلة على هيئة شرطة هكذا (-) ليتميز بعضها عن بعض وليتسنى للقارئ الوصول إليها بسهولة.

([1]) هو الإمام: عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي حافظ الدين أبو البركات كان إماما في جميع العلوم صاحب التفسير (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ت|710هـ. انظر طبقات المفسرين للأدنروي ص263. تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى 1997م.

- وضع آيات القرآن الكريم بين قوسين متعرجين، والأحاديث الشريفة بين قوسين مضعفين مجردين.
- عزو الآيات القرآنية إلى سورها من القرآن الكريم مع ذكر أرقامها.
- تخريج أحاديث وآثار البحث من مصادرها الأصلية، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما أكتفيت بالعزو إليهما أو أحدهما وذلك بذكر الكتاب والباب ورقم الحديث. وإن كانت في غيرهما ذكرت من أخرجها بذكر مصدر أو مصدرين أو أكثر وذلك بذكر الكتاب والباب ورقم الحديث - إن توفر - وإلا فبرقم الجزء والصفحة مع ذكر أحكام العلماء المحققين عليها إن استدعى الأمر؛ وذكر الفروق في الألفاظ إن وجدت. وأما ما يحيل إليه الإمامان فإني أكتفي بذكر من أخرجه ممن أحالا إليه.
- إذا كان هناك نقص في النص واقتضى المقام إكماله أكملته من مصدره ووضعت ذلك بين معكوفين ونبهت على الخلل في الحاشية.
- شرح غريب الألفاظ المودعة - في هذين السفرين المباركين - بالرجوع إلى أمهات الكتب العربية والكتب التي اعتنت بهذا الفن.
- ضبط ألفاظ النص الموهمة والمحتملة أكثر من وجه.
- ترجمة موجزة لمن يمر ذكره من الأعلام في الرسالة عدا من ذكره المفسران في كتابيهما وذلك بذكر اسمه ونسبه وسنة وفاته وإثبات ذلك في الحاشية؛ كل ذلك ما أمكن مع عدم التعرض للمشاهير منهم كالخلفاء الراشدين ومشاهير الصحابة، والأئمة الأربعة وأصحاب الكتب الستة.
- التعريف بالبقاع والأماكن والقبائل المذكورة في البحث إن وجدت.
- القيام بوضع فهارس تفصيلية ترشد إلى مهمات الموضوع، وتتضمن خمسة فهارس وهي كالتالي:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث الشريفة والآثار.
- فهرس الأعلام المترجم لهم في البحث.

- فهرس المراجع والمصادر.
- فهرس الموضوعات.

- أما عن منهجي في المقارنة فقد قمت بقراءة الكتابين (محل البحث) بتمعن وتأمل وترو؛ عامداً إلى النظر في طريقة الإمامين وكيفية تعاطيهما للتفسير؛ ودونت من خلال ذلك كل ما أقف عليه من نقاط تتعلق بموضوع البحث ثم جمعتها في مكان واحد ليتم فرزها على حسب التقاسيم المنطقية لما يمكن مقارنته بين منهجي الشيخين. ويمكن تلخيص ذلك الاستقراء وتدوينه وكتابته - وفق محاور البحث - في النقاط التالية:

- قمت بالقراءة المذكورة واستخراج عناصر البحث منها.
- فرز مخرجات القراءة على شكل مباحث متوائمة منطقياً، متوافقة مع عناصر الخطة.
- انظر في الأمثلة المتاحة لي من كلام الشيخين تحت كل مبحث وأجعلها على شكل نقاط وأورد مثالاً أو مثالين للتدليل على ذلك.
- ثم نقل هذه المخرجات إلى مباحثها من الخطة على هيئة أمثلة للمنهج المقرر من خلال التتبع وأكتفي بمثال أو مثالين وقد أزيد لتتضح الفكرة أكثر ثم أحيل هذه الأمثلة إلى أصل الكتاب وذلك بتدوينه بالحاشية مقروناً برقم الجزء والصفحة.
- أقدم في الغالب بتمهيد أو تعريف مختصر عن المبحث المراد الخوض فيه والكلام عليه.
- أبدأ بالكلام على منهج الخازن لتقدم وفاته على ابن كثير رحمهما الله جميعاً.
- في نهاية كل مبحث أقوم بوضع مقارنة لما تم دراسته على شكل نقاط أبدأ فيها بالخازن وأثني بابن كثير في كل نقطة مقارنة.

خطة البحث:

هذا وأما خطتي التي سرت عليها في هذا البحث فعلى النحو الآتي:

تقسيم البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وبابين، وخاتمة، وفهارس عامة.

أولاً: المقدمة:

وقد اشتملت المقدمة على نبذة مختصرة عن القرآن الكريم وعظمته وعناية العلماء بتفسيره والدفاع عنه ونفي الشبهات عن جنابه الطاهر؛ كذلك على أهمية الموضوع، وسبب اختياري له، والدراسات السابقة؛ ثم منهجي في البحث وخطتي فيه.

كما اشتمل التمهيد على تعريف المنهج في اللغة والاصطلاح، والمراد بالمقارنة، ونبذة مختصرة عن التفسير ومدارسه؛ وعناية العلماء وثنائهم على التفسيرين وتصنيفهم لهما.

ثانياً: الأبواب:

هذا وقد اشتملت الرسالة على بابين:

الباب الأول: دراسة حياة المؤلفين والتعريف بكتابيهما: الإمام أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن - رحمه الله - وكذلك الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي - رحمه الله - وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: ترجمة الإمام علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن - رحمه الله -، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه ومولده ونشأته.

المبحث الثاني: طلبه للعلم ورحلاته العلمية.

المبحث الثالث: شيوخه وتلاميذه.

المبحث الرابع: عقيدته ومذهبه.

المبحث الخامس: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

المبحث السادس: وفاته وآثاره العلمية.

الفصل الثاني: ترجمة الإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي - رحمه الله – وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه ومولده ونشأته.

المبحث الثاني: طلبه للعلم ورحلاته العلمية.

المبحث الثالث: شيوخه وتلاميذه.

المبحث الرابع: عقيدته ومذهبه.

المبحث الخامس: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

المبحث السادس: وفاته وآثاره العلمية.

الفصل الثالث: التعريف بالكتابين:

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: اسم الكتابين وموضوعهما.

المبحث الثاني: توثيق الكتابين وصحة نسبتهما إلى الإمامين - رحمهما الله تعالى -.

المبحث الثالث: قيمة الكتابين العلمية.

المبحث الرابع: دوافع تأليف الكتابين.

المبحث الخامس: مصادر الإمامين في الكتابين وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ذكر الخازن للمصادر وطريقته في العزوإليها.

المطلب الثاني: ذكر ابن كثير للمصادر وطريقته في العزوإليها.

الباب الثاني: المقارنة بين منهجي الإمامين في كتابيهما من خلال (سورة مريم إلى نهاية سورة سبأ)، وفيه تمهيد وثلاثة فصول:

الفصل الأول: المقارنة بين منهجيهما في التفسير بالمأثور؛ وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

التمهيد: وفيه المقارنة بين منهجيهما في التفسير بالمأثور على جهة الإجمال.

المبحث الأول: المقارنة بين منهجيهما في تفسير القرآن بالقرآن.

المبحث الثاني: المقارنة بين منهجيهما في تفسير القرآن بالسنة.

المبحث الثالث: المقارنة بين منهجيهما في تفسير القرآن بأقوال الصحابة - رضي الله عنهم - والتابعين.

المبحث الرابع: المقارنة بين موقفيهما من المرويات الإسرائيلية وكيف تسربت إليهما.

الفصل الثاني: (اهتمامات الشيخين) في كتابيهما وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الاهتمام بالجانب العقدي:

وفيه المقارنة بينهما في الكلام على مسائل الاعتقاد والاهتمام بها وتقريرها.

المبحث الثاني: الاهتمام بالجانب الفقهي:

وفيه المقارنة بينهما في عرض الأحكام الفقهية والاهتمام بها والتدليل عليها وترجيحها.

المبحث الثالث: الاهتمام بعلوم القرآن:

وفيه المقارنة بينهما في الكلام على مباحث علوم القرآن، كالنسخ وأسباب النزول ونحوها واهتمامهما بذلك، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: اهتمام الإمامين بأسباب النزول.

المطلب الثاني: اهتمام الإمامين بالمبهمات.

المطلب الثالث: اهتمام الإمامين بالمناسبات.

المطلب الرابع: اهتمام الإمامين بالإشكالات والجواب عنها.

المطلب الخامس: اهتمام الإمامين بالناسخ والمنسوخ.

المبحث الرابع: الاهتمام بالجانب اللغوي:

وفيه المقارنة بينهما في تفسير القرآن من جهة اللغة بفنونها.

المبحث الخامس: الاهتمام بالجانب التربوي:

وفيه المقارنة بين منهجيهما في الجانب التربوي والوعظ والإرشاد.

الفصل الثالث: وفيه المقارنة بين منهجي الإمامين في سرد تفسير الآيات وصياغة الكلام عليها، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: المقارنة بين منهجيهما في ابتداء الكلام على السور والآيات وترتيبه.

المبحث الثاني: المقارنة بين منهجيهما في سَوق الروايات التفسيرية وأقوال المفسرين.

المبحث الثالث: المقارنة بين منهجيهما في نقد الأقوال والترجيح بينها وسرد الأدلة على ذلك.

المبحث الرابع: المقارنة بين منهجيهما في الاستنباط من النصوص وحسن التدبر.

ثالثاً: الخاتمة:

وفيها؛ أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال دراسة الكتابين والمقارنة بينهما.

والله المسئول أن يتقبل منا صالح أعمالنا، وأن يلهمنا الإخلاص في كل شأن، وأن يصلح أحوالنا، وينفعنا بما علمنا ويجعل ذلك حجة لنا لا علينا إنه ولي ذلك والقادر عليه.

التمهيد

التعريف بكلمة مقارنة، ومنهج، وتفسير

تعريف المقارنة:

المقارنة في اللغة: مشتقة من لفظ قَرَن وهو يدل على المصاحبة والجمع والوصل والمكافأة؛ قال في (مقاييس اللغة): القاف والراء والنون: أصلان صحيحان، أحدهما يدل على جَمع شيءٍ إلى شيء، والآخر شيء ينتأ بقوة وشدة..... والقِرْن: قِرنُك في الشَّجاعة. والقَرْن: مثلُك في السِّنِّ [1].

وفي (تاج العروس): قارن الشيء مقارنة وقراناً: اقترن به وصاحبه.

وقارنته قراناً: صاحبته.

وقارن الشيء الشيء مقارنة وقِراناً اقْتَرن به وصاحبه واقْتَرَن الشيء بغيره وقارنته قِراناً صاحبته ومنه قِرانُ الكوكب وقرنت الشيء بالشيء وصلته[2].

فمن خلال ما سبق يعلم أن لفظ "المقارنة" بتصاريفها تدل على المصاحبة والمكافأة والمساواة والوصل.

وهي لا تدل على الموازنة صراحة من خلال معاني تصريفاتها عند القواميس الأصيلة ولذلك انتقد بعض العلماء لفظة "الفقه المقارن" من حيثيات منها عدم مواتاتها لمعانيها في القواميس؛ فقال:(.....وهو مع هذا لا يساعد عليه الوضع اللغوي للفظ " قارن " إذْ المقارنة هي المصاحبة، فليست على ما يريده منها الحقوقيون من أنها بمعنى " فاضل " التي تكون وازن، إذْ الموازنة بين الأمرين: الترجيح بينهما، أو بمعنى " وازن " لفظاً ومعنى. أو بمعنى " قايس " إذ المقايسة بين الأمرين: التقدير بينهما)[3].

([1]) انظر: معجم مقاييس اللغة (5|76) مادة (قرن) لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط: دار الفكر 1399هـ - 1979م.

([2]) تاج العروس (35|543) مادة (قرن) تحقيق: مجموعة من المحققين، ط: دار الهداية.

([3]) معجم المناهي اللفظية (420) لبكر أبو زيد، دار العاصمة السعودية 1417هـ -1996م.

لكن الناظر في اللغة المعاصرة يجد أن لفظة " المقارنة " قد أصبحت أدل ما يكون على معنى الموازنة والبحث على نقاط التشابه والاختلاف بين أمرين أو شيئين، وصارت لفظاً شائعاً بين العلماء والمثقفين بلْهَ العوام.

ومن أجل ذلك جاء في المعجم الوسيط: " قارنه " مقارنة وقراناً صاحبه واقترن به وبين القوم سَوَّى بينهم وبين الزوجين قراناً جمع بينهما (مو)[1] والشيء بالشيء وازنه به (محدثة) وبين الشيئين أو الأشياء وازن بينها فهو مقارن ويقال الأدب المقارن أو التشريع المقارن (محدثة)[2].

ولعل ذلك أُخذ من "قَرَن الشيء بالشيء" إذا صاحب بينهما في الترجيح والموازنة بغية النظر في نقاط الاتفاق بينهما والافتراق والله أعلم.

أما معناها في الاصطلاح: فهي (تعني الموازنة بين شيئين أو أكثر والمقابلة بينهما بغية بيان أوجه التماثل والتمايز والاختلاف والائتلاف ثم الترجيح بالأدلة)[3].

([1]) رمز للمولد كما في مقدمات (المعجم الوسيط) ص(31).

([2]) المعجم الوسيط (2|730) لإبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ط: دار الدعوة.

([3]) التفسير المقارن – دراسة تأصيلية، ص(145) البحث منشور في: مجلة الشريعة والقانون العدد السادس والعشرون ربيع الأول 1427هـ إبريل 2006م، الأردن.

تعريف المنهج:

إن من أبرز المعاني - في قواميس العربية - لكلمة المنهج: هو الطريق الواضح والسبيل المستقيم.

ففي (مقاييس اللغة): (نهج؛ النون والهاء والجيم أصلانِ متباينان: الأوَّل النَّهْج، الطّريق. ونَهَج لي الأمْرَ: أوضَحَه. وهو مُستقيم المِنْهاج. والمَنْهج: الطَّريق أيضاً، والجمع المناهج.....)[1].

وفي (الصحاح): (النَهْج: الطريق الواضح، وكذلك المنهج والمنهاج. وأنهج الطريق، أي استبان وصار نهجاً واضحاً بيناً)[2].

ومن خلال ما ذكره أئمة اللغة يتلخص من كلامهم أن المنهج: هو الطريق البين الواضح الذي يمشي عليه الإنسان سواء كان ذلك معنوياً أو حسياً.

وأما تعريفه من جهة الاصطلاح فقد تنوعت عبارات المتكلمين فيه؛ فمنهم من قال هو:

(السير العلمي بخطوات سليمة متسمة بالوضوح والبيان)[3].

ومنهم من قال: (المنهج هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة)[4]

([1]) معجم مقاييس اللغة: (5|361) لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط: دار الفكر 1399هـ - 1979م.

([2]) الصحاح للجوهري: (1|346) مادة (نهج) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م.

([3]) مجلة البحوث الإسلامية (58|300) - مجلة دورية تصدر عن: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالسعودية.

([4]) مناهج البحث العلمي ص(5) لعبد الرحمن بدوي، ط: وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الثالثة 1977م.

ومنهم من قال: (هو الطريق الواضح في التعبير عن شيء أو عمل شيء أو تعلم شيء طبقاً لمبادئ معينة ونظام معين بغية الوصول إلى غاية معينة)[1].

ولعل الأخير أقربها وأشملها وألصقها بالمعنى اللغوي؛ وعليه يكون المراد بمنهج المفسرين: تلك (الأساليب التي يتبعها المفسرون لبيان مراد كلام الله تعالى من آيات القرآن الكريم حسب الطاقة البشرية)[2].

فالمنهج إذاً هو الأفكار والأسس النظرية الموجودة في ذهن المفسر والتي سار عليها في تفسيره للقرآن الكريم وعالج بها قضايا التفسير أو الأساليب والطرائق التي اتبعها في تفسير القرآن مع تحديد وجهات نظره ومواقفه إزاء قضايا التفسير.

وكما تقدم من تعريف المقارنة في اللغة والاصطلاح والمنهج كذلك كان لا بد من ذكر تعريف يضم شمل الأمرين ويجمع معاني التعريفين وذلك بتعريف المقارنة بين منهاج المفسرين أو التفسير المقارن على أنه مركب إضافي أو علم مستقل بذاته.

وقد بحث المعاصرون هذه القضية وحاولوا أن يضعوا لها تعريفاً جامعاً لأطرافها مانعاً من دخول غيرها فيها ولعل هذا التعريف الآتي من أجملها وأشملها وذلك أن التفسير المقارن:

(هو الموازنة بين آراء المفسرين في بيان الآيات القرآنية، والمقارنة بين مناهجهم ومناقشة ذلك وفق منهجية علمية موضوعية)[3].

([1]) مناهج المفسرين من العصر الأول إلى العصر الحديث(1|13) للدكتور محمود النقراشي ط: مكتبة النهضة القصيم المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1407هـ - 1986م.

([2]) مناهج المفسرين القسم الأول ص(15) لمصطفى مسلم، دار المسلم الطبعة الأولى 1415هـ.

([3]) التفسير المقارن دراسة تأصيلية (148).

نبذة عن التفسير ومدارسه

تعريف التفسير:

التفسير في اللغة: هو الإيضاح والتبيين، ومنه قوله تعالى: في سورة الفرقان: {**وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً**} [1] .. أي بياناً وتفصيلاً، وهو مأخوذ من (الفسر) وهو: الإبانة والكشف، قال في الصحاح: (الفسر: البيان. وقد فسرت الشيء أفسره بالكسر فسراً؛ والتفسير مثله. واستفسرته كذا، أي سألته أن يفسره لي)[2].

وفي التاج: الفسر: (الإبانة وكشف المغطى كالتفسير،..... والفعل: كضرب ونصر، يقال: فسر الشيء يفسره ويفسره وفسره: أبانه) [3].

فالفاء والسين والراء – كما في المقاييس – (كلمة واحدة تدلُّ على بيانِ شيءٍ وإيضاحِه؛ من ذلك الفَسْرُ، يقال: فَسَرْتُ الشَّيءَ وفسَّرتُه) [4].

وفي لسان العرب: (الفسر: البيان فسَّر الشيء يُفسِّره - بالكسر ويَفسُّره - بالضم فسراً. وفسَّره أبانه؛ والتفسير مثله... ثم قال: الفسر: كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل...)[5].

فمما سبق يتضح جلياً أن كلمة التفسير يراد بها إظهار المعنى المراد وتوضيحه وتقريبه وبيان مدلوله وكشف مغزاه فيكون التفسير والفسر بمعنى واحد متقارب أو

([1]) سورة الفرقان آية: (33).

([2]) الصحاح مادة (فسر) 2|781. لإسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ط دار العلم للملايين – بيروت 1407 هـ - 1987 م.

([3]) انظر تاج العروس مادة (ف س ر) 13|323 تحقيق: مجموعة من المحققين ط دار الهداية.

([4]) معجم مقاييس اللغة مادة (فسر) (4|504) لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا احقيق: عبد السلام محمد هارون ط دار الفكر 1399هـ - 1979م.

([5]) لسان العرب مادة (فسر) (5|55) لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ط دار صادر – بيروت.

كما قال في التعاريف: (الفسر: إظهار المعنى المعقول؛ والتفسير: قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها وفيما يختص بالتأويل ولهذا يقال تفسير الرؤيا وتأويلها) [1].

وقد يراد بالتفسير من التوضيح والكشف حتى الحسي؛ قال أبو حيان[2]: (ويطلق أيضاً التفسير على التعرية للانطلاق؛ قال ثعلب[3]: تقول فسرت الفرس عريته لينطلق في حضره وهو راجع لمعنى الكشف فكأنه كشف ظهره لهذا الذي يريده منه من الجري) [4].

قال الدكتور الذهبي[5]: ومن هذا يتبين لنا أن التفسير يُستعمل لغة في الكشف الحسي، وفى الكشف عن المعاني المعقولة، واستعماله في الثاني أكثر من استعماله في الأول[6].

هذا معنى التفسير من جهة لغة العرب؛ وأما على ما اصطلح عليه العلماء فقد تنوعت عباراتهم واختلفت آراؤهم في تعريفه وحده بل قد ذهبت طائفة من أهل العلم إلى أن

([1]) التوقيف على مهمات التعاريف ص (55) لمحمد عبد الرؤوف المناوي تحقيق: محمد رضوان الداية، ط دار الفكر المعاصر، دار الفكر، 1410هـ.

([2]) هو الإمام: أستاذ النحاة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الجياني الغرناطي ثم المصري الظاهري من آثاره التفسير المعروف بـ(البحر المحيط) ت|745هـ. انظر (الشهادة الزكية): لمرعي الكرمي ص (31) تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، دار الفرقان و مؤسسة الرسالة - بيروت 1404هـ.

([3]) النحوي الشهير: أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني مولاهم البغدادي الإمام أبو العباس ثعلب إمام الكوفيين في النحو واللغة ت|291. انظر بغية الوعاة 1|396 للسيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط:المكتبة العصرية بيروت – صيدا.

([4]) البحر المحيط 1|121 لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض ط : دار الكتب العلمية – لبنان، بيروت - 1422 هـ - 2001 م.

([5]) الدكتور محمد بن حسين الذهبي ت| 1977 انظر كتابه التفسير والمفسرون 3|3 مكتبة وهبة.

([6]) التفسير والمفسرون 1|12.

التفسير: (ليس من العلوم التي يُتكلف لها حد، لأنه ليس قواعد أو ملكات ناشئة من مزاولة القواعد كغيره من العلوم التي أمكن لها أن تشبه العلوم العقلية، ويُكتفى في إيضاح التفسير بأنه بيان كلام الله، أو أنه المبيِّن لألفاظ القرآن ومفهوماتها)[1].

وعلى مذهب القائلين بتعريفه؛ فمنهم من عرفه بقوله: (علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك)[2].

وقريب منه قول من قال إن التفسير: (علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية، والتركيبة ومعانيها التركيبية)[3].

وعرفه الزركشي[4] بأنه: (علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد - صلى اللّه عليه وسلم - وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ)[5].

وعرفه في موضع آخر من كتابه بقوله: (هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها، والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها، ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامتها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها)[6].

([1]) التفسير والمفسرون 1|12.

([2]) البحر المحيط (1|121)

([3]) الكليات 260. لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي تحقيق : عدنان درويش - محمد المصري ط: مؤسسة الرسالة - بيروت - 1419هـ - 1998م.

([4]) العالم الشهير: محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الموصلي الشافعي بدر الدين صاحب البرهان في علوم القرآن ت|794هـ. انظر طبقات المفسرين ص(302).

([5]) البرهان 1|12. لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى ، 1376 هـ - 1957 م.

([6]) البرهان 1|142.

وعرف بعضهم التفسير: (بأنه علم يبحث فيه عن أحوال الكتاب العزيز)[1].

وبعبارة أوضح وأجمع: (علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية)[2].

واختصر بعضهم التعريف بقوله: (كشف معاني القرآن وبيان المراد منه)[3].

ولعل من أجمع هذه التعريفات هو: (علم يُبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد، من حيث دلالته على مراد الله تعالى، بقدر الطاقة البشرية)[4].

وبعد استعراض هذه اللمحة اليسيرة عن التفسير، ورسمه، ومذاهب العلماء في حده، والتعريف به كان من المناسب بعد ذلك ذكر نشأته، وتطوره، وأهم مدارسه، ومناهج الناس فيه، وتقسيماته ليتسنى بعد ذلك معرفة موضع كتابي "الخازن" و"ابن كثير" من بين كتب التفسير الأخرى؛ وليكون ذلك كالتوطئة للكلام على منهجي الإمامين وتسهيل تصنيف كتابيهما.

([1]) التعاريف: ص193.

([2]) مناهل العرفان 2|3.

([3]) حاشية مقدمة التفسير ص (141) لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي 1410هـ - 1990م.

([4]) التفسير والمفسرون 1|13.

نبذة مختصرة عن نشأة التفسير وتطوره ومدارسه

إن الله لما خلق الخلق لعبادته، وتحقيق توحيده، والقيام بطاعته، وعمارة أرضه، كان قد شرع لهم الشرائع المتوافقة مع فطرهم، وأنزل عليهم الكتب السماوية؛ ليستقيم بها حالهم وكان أن ختم الله ذلك بالرسالة المعجزة والشريعة السمحة القائمة على العدل، والمبنية على الرحمة، واختار لها أفضل خلقه وأكمل أنبيائه؛ تلك الرسالة هي (القرآن الكريم) أحسن كتب الله نظاماً وأوضحها حلالاً وحراماً كتاب **{لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}** [1].

وكان من سنن الله تعالى في خلقه أن ينزل على كل أمة كتاباً بلغتهم؛ ليكون لهم بياناً، وعليهم حجة. وكان هذا هو شأن القرآن الكريم؛ فإن العرب كانت تفهمه بسليقتها العربية، ولغتها الفصيحة، وكان من الطبيعي أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - يفهم القرآن ويبينه للناس إذ أن ذلك من أهم وظائفه، وأجمع أعماله، ومن الطبيعي أيضاً أن يفهمه الأصحاب – رضي الله عنهم - بمقتضى لغتهم في الجملة أي بالنسبة لظاهره وأحكامه أما من جهة تفاصيله ودقائق معانيه (بحيث لا يغيب عنهم شاردة ولا واردة، فهذا غير ميسور لهم بمجرد معرفتهم للغة القرآن بل لابد من الرجوع في ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم -)[2] والأخذ عنه ومن هنا بدأت ملامح التفسير تظهر حينما كان الصحابة يستفسرون عما يشكل عليهم، ويطلبون معاني ما خفي عنهم وهكذا بدأ التفسير بالظهور على وجه الحياة. ثم إن الصحابة ألقوا بذلك العلم الذي تلقوه من النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى التابعين، والتابعون إلى تابعيهم، وتابعوهم إلى من بعدهم حتى جاء دور التدوين والتأليف ليهيمن التفسير بعدها على الساحة العلمية ويستقل بالتآليف المستقلة ومن الأمر البديهي أن يتناول كل مؤلف موضوع كتابه على ما تملي عليه مشاربه الفكرية، ومبادئه العقدية، أو حتى من خلال اختصاصه في علم، أو فن اشتهر به فيحشد آيات القرآن الكريم ويتناولها

([1]) سورة فصلت آية: (42).

([2]) التفسير والمفسرون 1|28 مكتبة وهبة.

من تلك الحيثية ومن هنا تنوعت المناهج في التأليف واختلفت الطرائق في التفسير لتنشأ بعد ذلك المدارس المتنوعة والمناهج المختلفة ولعلي أتناول هاهنا لمحة سريعة عن تلك المدارس ومميزاتها وأمثلة على ذلك ليكن ذلك تمهيداً لما قصدت من الكلام على هذين التفسيرين الجليلين (محل البحث).

- **المدارس التفسيرية:**

بعد أن كان التفسير علم يتناقل بالرواية والأخذ عمن مضى وسلف من العلماء بدأت محاولة إعمال العقل البشري في الترجيح بين الأقوال والنظر في الكتب الأخرى بعد أن دُوِّنت العلوم المساندة والمساعدة للتفسير ثم لما ظهرت الآراء العقائدية والمسائل الخلافية على ساحات العلم دبت آثارها إلى كتب التفسير ليتناولها كل مفسر بحسب مشربه وموقفه من هذه المسائل، بل وحتى من حيث اهتماماته؛ فكان نتاج ذلك أن ظهرت كتب التفسير متباينة المناهج مختلفة المآخذ؛ البعض فيها يقتصر على المروي وأخرى تهتم بمسائل الفروع وثالثة تحاول الجمع بين الطريقتين وهكذا دواليك..

وعلى ما قرره علماء التفسير وعلوم القرآن من خلال الاستقراء والنظر في مناهج المؤلفين في التفسير يتبين أن مدارسه على منحيين:

- مدرسة التفسير بالمأثور.
- ومدرسة التفسير بالرأي.

أولاً: مدرسة التفسير بالمأثور:

يشمل التفسير بالمأثور التفسير بما جاء في القرآن نفسه من إيضاح أو تفصيل أو تقييد جاء في موضع آخر.

وكذلك مما يشمله التفسير بالمأثور ما نُقِل عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - من الروايات التفسيرية لبعض الآيات وكذا ما نُقِل عن الصحابة - رضي الله عنهم - والتابعين فمن بعدهم مما فيه توضيح وبيان للقرآن الكريم.

وقد ابتدأت هذه المدرسة مشوارها بما كان يتناقله الصحابة عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ثم التابعين عنهم ثم الرواة عن بعضهم البعض وما يزيدون فيه من آراء واجتهادات بحسب ما يكتنفهم من غموض لمعاني الآيات لبعد العهد النبوي.

وكانت قد مرت هذه المدرسة في عدة أطوار:

- طور الرواية وكان ذلك بنقل الصحابة التفسير عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وعن بعضهم البعض وهكذا التابعون يروون عن الصحابة ما نقلوه عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ويروي بعضهم عن بعض حتى أقبل الطور الثاني.
- طور التدوين وذلك بما كان يدونه المحدثون من روايات تفسيرية يضمنونها كتبهم الجوامع فكان هذا الطور جمع وتدوين ضمني لعلوم التفسير.
- طور الاستقلال بالتأليف بدأ ذلك حينما اتجه بعض أهل العلم بالاهتمام بتدوين الروايات التفسيرية خاصة وإيداعها في مصنفات وكتب مستقلة. تم ذلك على أيدي طائفة من العلماء منهم ابن ماجه[1]، وابن جرير الطبري[2]، وأبو بكربن المنذر النيسابورى[3]، وكان التفسير بهذه المرحلة ينقل بالأسانيد ويرتب على سور المصحف.
- الطور الرابع ظهور الإسرائيليات والموضوعات وذلك حين عمد كثير من المفسرين إلى طريقة الجمع بلا تمحيص وسرد الروايات مبتورة الأسانيد فخلط بذلك بين الحابل والنابل والغث والسمين والتبس الصحيح بالعليل.

([1]) الإمام المحدث: محمد بن يزيد بن ماجة القزويني أبو عبد الله الحافظ صاحب (السنن) ت/273هـ. انظر الكاشف للذهبي 2|232 عناية: محمد عوامة وأحمد الخطيب، ط: دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن السعودية جدة الطبعة الأولى، 1413هـ - 1992م.

([2]) الإمام صاحب التصانيف المشهورة: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري من أثاره التفسير وتاريخ الأمم والملوك، ت|310هـ. انظر تاريخ دمشق لابن عساكر 52|188 دار الفكر.

([3]) الإمام الشهير الحافظ: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري صاحب الأوسط والإجماع ت| 310هـ. انظر تهذيب الأسماء واللغات للنووي (2|197) ط: دار الكتب العلمية.

ثانياً: مدرسة التفسير بالرأي:

(بدأ ذلك أولاً على هيئة محاولات فهم شخص، وترجيح لبعض الأقوال على بعض، وكان هذا أمراً مقبولاً ما دام يرجع الجانب العقلي منه إلى حدود اللغة ودلالة الكلمات القرآنية. ثم ظلت محاولات هذا الفهم الشخصي تزداد وتتضخم، متأثرة بالمعارف المختلفة، والعلوم المتنوعة، والآراء المتشعبة، والعقائد المتباينة، حتى وُجِد من كتب التفسير ما يجمع أشياء كثيرة، لا تكاد تتصل بالتفسير إلا عن بُعْدٍ عظيم)[1].

وقد عرفت هذه المدرسة بمدرسة التفسير بالرأي (والمراد بالرأي: عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسِّر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفة بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التى يحتاج إليها المفسِّر) [2].

وقد اختلف العلماء رحمهم الله - قديماً - في تفسير القرآن الكريم بالرأي على قولين:

- أولها: أن التفسير بالرأي لا يجوز للحديث المشهور في هذا الباب وهو قول النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ((اتقوا الحديث عنى إلا ما علمتم، فمَن كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ومَن قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار))[3] وكذلك الحديث الآخر ((مَن قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ))[4] وقالوا: إن الكلام على القرآن بالرأي قول بلا علم وقد نهى الله

([1]) التفسير والمفسرون 1|108.

([2]) المصدر السابق 1|183.

([3]) رواه الترمذي في كتاب القراءات باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه برقم: 2951 وقال: هذا حديث حسن، وقال ابن القطان - بعد كلام الترمذي هذا -: وَالترمِذِي إنَّمَا قَالَ فِيه: حسن ، وَيَنْبَغِي أن يُقَال فِيه: ضَعِيف انظر(بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام) 5|252. تحقيق: د. الحسين آيت سعيد، ط: دار طيبة – الرياض الطبعة : الأولى ، 1418هـ -1997م

([4]) رواه أبو داوود في كتاب العلم باب الكلام فى كتاب الله بغير علم برقم: 3654 والترمذي واللفظ له كتاب تفسير القرآن باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه برقم: 2952.

عنه بقوله: **{وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}** [1].

- ثانيها: أن التفسير بالرأي جائز لمن كان أهلاً لذلك وعنده أدب واسع واطلاع في علوم العربية وغيرها.

وقالوا: إن النهي في الحديث المتقدم محمول على مَنْ قال برأيه في نحو مشكل القرآن، ومتشابهه، مما طريقه النقل عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعن صحابته رضي الله عنهم.

ثم إن المراد بالرأي هاهنا ما غلب على صاحبه الهوى والتعصب لا ما يشده البرهان ويدل عليه الدليل وأيضاً النهي واقع على من لا يرجع إلى أقوال السلف وينظر في علوم القرآن من الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول[2] ونحوها مما يعين على تفهم القرآن الكريم على أن حديث جندب[3] لم يثبت من جهة الرواية.

وأما ما استدل به المانعون من أنه قول على الله بلا علم فهو ممنوع لأن التفسير بالرأي نوع من الظن وهو طريق من طرق معرفة الحق فالظن كاف إذا لم يوجد الدليل القطعي.

كما استدل المجيزون بعموم آيات التفكر وتدبر القرآن الكريم مثل **{أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ..}** [4] وقوله: **{كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُواْ آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ}** [5] وقوله: **{وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ}** [6] وقالوا أيضاً التفسير بهذا اللون من التفسير نوع اجتهاد ولا يجوز الغاء الاجتهاد ثم إن من الملاحظ أن الصحابة قد

([1]) سورة الأعراف آية: (33).

(2) سيأتي التعريف بهذه العلوم في مباحثها من الرسالة – إن شاء الله -.

(3) المراد بحديث جندب ما رواه الترمذى وأبو داوود عن جُندب أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَن قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ) أبو داوود كتاب العلم باب الكلام فى كتاب الله بغير علم برقم: 3654 الترمذي كتاب تفسير القرآن باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه برقم: 2952.

([4]) سورة محمد – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – آية: (24)

([5]) سورة (ص) آية: (29).

([6]) سورة النساء آية: (83).

اختلفوا في مواضع كثيرة من كتاب الله بناء على اجتهادهم وإعمال أفكارهم رضي الله عنهم[1].

وبعد هذا التمهيد ليعلم أن مناهج المفسرين تباينت بحسب انتمائها أو سلوك أصحابها أحد هذه المدارس المتقدم ذكرها وقد عد بعض العلماء - رحمهم الله - التفسير الأول (تفسير الخازن) من مدرسة التفسير بالرأي الجائز[2] مع أنه - رحمه الله - لخص تفسيره من (تفسير البغوي)[3] وهو معدود في كتب التفسير بالأثر وقد قال الخازن - رحمه الله - في مقدمة الكتاب: (فإن الكتاب يُطلب بيانه من السُّنَّة، وعليها مدار الشرع وأحكام الدين) [4].

فنَفَس الخازن – رحمه الله – وتوجهه إلى العناية بالتفسير الأثري والاهتمام بالسنة - باعتبارها شارحةً وموضحةً للأصل الأول في الشريعة - جلي من كلامه ومن صنيعه؛ فلعل الذي سلك به سبيل التفسير بالرأي وجعل العلماء يصنفونه من تلك المدرسة هو الاختصار الذي اعتمده وتجريد الكتاب من كثير من الأحاديث والآثار والله أعلم. وأما التفسير الثاني وهو تفسير ابن كثير فهو معدود ضمن المدرسة الأثرية أو ما يسمى بالتفسير بالمأثور[5].

([1]) ملخص من كتاب (التفسير والمفسرون) للدكتور الذهبي (1|183) وما بعدها، وكتاب (نشأت التفسير ومناهجه) للدكتور محمود فوده ص (162) وما بعدها.

([2]) انظر التفسير والمفسرون (1|220). ومناهل العرفان للزرقاني (2|69) ط: عيسى البابي الحلبي، الطبعة الثالثة. ومباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص (337)، ط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة 1421هـ - 2000م ومباحث في علوم القرآن، لصبحي الصالح، ط: دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة والعشرون، 2000م.

([3]) الشيخ الامام: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي المفسر ت|516 انظر سير أعلام النبلاء 19|439 للذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى 1405هـ - 1984م.

([4]) لباب التأويل المقدمة ص3 دار الكتب العربية الكبرى.

([5]) انظر البدر الطالع 1|103 دار الكتب العلمية الطبعة الأولى 1418هـ- 1998م والتفسير والمفسرون (1|173) و(نشأت التفسير ومناهجه ص (111) وغيرها كثير.

الباب الأول

دراسة حياة الإمامين والتعريف بكتابيهما:

الإمام الخازن، وكذلك الإمام ابن كثير - رحمهما الله - وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: ترجمة الإمام أبي الحسن علاء الدين علي بن محمد ابن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن رحمه الله.

الفصل الثاني: ترجمة الإمام أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الشهير بابن كثير رحمه الله.

الفصل الثالث: وفيه التعريف بالكتابين، وتوثيقهما، وقيمتهما العلمية، ودوافع تأليفهما، ومصادرهما.

الفصل الأول

ترجمة الإمام الخازن - رحمه الله -، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: اسمه، ونسبه، وكنيته، ولقبه، ومولده ونشأته.

المبحث الثاني: طلبه للعلم، ورحلاته العلمية.

المبحث الثالث: شيوخه وتلاميذه.

المبحث الرابع: عقيدته ومذهبه.

المبحث الخامس: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

المبحث السادس: وفاته وآثاره العلمية.

المبحث الأول اسمه، ونسبه، وكنيته، ولقبه، ومولده، ونشأته

أما اسمه ونسبه فهو: علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن خليل الشيحي - بمعجمة مكسورة بعدها مثناة من تحت ساكنة ثم حاء مهملة - نسبة إلى شيحة[1] من عمل حلب البغدادي الصوفي [2].

وأما كنيته ولقبه؛ فيكنى بأبي الحسن، ويلقب بعلاء الدين[3].

وأما عن مولده ونشأته: فقد ولد الخازن – رحمه الله - سنة 678 ببغداد[4].

سكن دمشق مدة، وكان خازن الكتب بالمدرسة السميساطية[5] فيها[6]

([1]) شيحة بالحاء المهملة من أعمال حلب. انظر الدرر الكامنة 4|115 لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، ط: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، 1392هـ-1972م، والأعلام للزركلي 5|5 دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة 1986م.

([2]) الدرر الكامنة 4|115.

([3]) تاريخ علماء بغداد المسمى (منتخب المختار) 121 لابن رافع، تصحيح: عباس العزاوي ط: دار الموسوعات العربية، الطبعة الثانية 1420هـ - 2000م.

([4]) الدرر الكامنة 4|116.

([5]) مدرسة في دمشق نسبة للسميساطي أبي القاسم علي بن محمد بن يحيى السلمي الحبشي من أكابر الرؤساء بدمشق كانت السميساطية دارا لعبد العزيز بن مروان أمير مصر ثم لابنه عمر. انظر تاريخ الإسلام للذهبي 6|134 دار الكتاب العربي والدارس من المدارس للنعيمي الدمشقي 2|118 دار الكتب العلمية.

([6]) الأعلام 5|5.

المبحث الثاني طلبه للعلم ورحلاته

الكلام - على رحلات الخازن العلمية وأخبار طلبه للعلم - شحيح جداً في المصادر التي ترجمت له. ولا شك أن إماماً بحجم الخازن له في ذلك أخبار وأحداث؛ فليس كل ما جرى على وجه البسيطة من حسن أو سوء يُدوِّنه التاريخ؛ إنما ذلك من خصائص كتب الملائكة الكرام عليهم الصلاة والسلام؛ لكن مما ذكره المترجمون له – رحمه الله – أنه:

سمع ببغداد من ابن الدواليبى وقدم دمشق فسمع من القاسم بن مظفر ووزيرة بنت عمر واشتغل كثيراً[1].

وكان خازن الكتب بالمدرسة السميساطية فيها[2].

([1]) الدرر الكامنة 4|116.

([2]) الأعلام 5|5.

المبحث الثالث شيوخه وتلاميذه

قد سمع الخازن – رحمه الله – من الكثير من نبلاء عصره وعلماء بلده وغيرهم؛ منهم:

- القاضي تقي الدين سليمان بن حمزة.
- عيسى المطعم. وقد شاركه ابن كثير في الأخذ عنه كما سيأتي في شيوخ ابن كثير رحمهم الله جميعاً.
- أحمد بن أبي طالب.
- القاسم بن عساكر[1].
- وزيرة بنت عمر.[2]

وأما عن شأن تلاميذه فما من شك أن إماماً كالخازن – رحمه الله - له تلاميذ استفادوا منه، وأخذوا عنه، إلا أن المصادر المتوفرة بين يدي لم تذكر أحداً من أولئك التلاميذ. ومما يستأنس به على ذلك قول ابن القاضي شهبة[3]: (.....وحدث ببعض مصنفاته)[4].

([1]) الثلاثة من :تاريخ علماء بغداد 121.

([2]) الدرر الكامنة 4|116.

(3) هو الإمام: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن ذوؤيب بن شرف الأسدي الدمشقي الشافعي ، الإمام تقي الدين بن قاضي شهبة ت|851 نظم العقيان للسيوطي 1|94 حرره: فيليب حتي، ط المكتبة الإسلامية بيروت.

([4])طبقات الشافعية 3|54.

المبحث الرابع عقيدته ومذهبه

الإمام الخازن – رحمه الله - ومن خلال النظر في ثنايا تفسيره لا يدع للناظر مجالاً للشك في أنه كان متطلباً للحق يصبو إليه مهتماً به، وهذا هو الواجب المنوط بأهل العلم جميعاً؛ ومع هذا فإن من الواضح جداً أن هناك صعوبة في الحكم على عقيدة الخازن لاسيما إذا ما طالعها القارئ في كتابه فإنه – رحمه الله - تارة يقرر عقيدة السلف أحسن تقرير وما يلبث أن يقرر خلافها؛ وهذا الذي حمل بعض الباحثين المعاصرين على القول فيه (أما عقيدته في الأسماء والصفات فهو مؤول في كثير من الصفات ومثبت في قليلها مثل الإتيان والمجيء ويذكر في بعض الصفات مذهب السلف والخلف بدون ترجيح)[1].

ومن التطويل أن تذكر كل صفة للرب تبارك وتعالى وما قال فيها لتستبين عقيدته إذ ليس ذلك مقصوداً ولكن هذه نماذج من أقواله في هذا الباب، من ذلك ما قاله عند قول الله تعالى **{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ}**[2]:

- قال – رحمه الله -: (واعلم أن هذه الآية من آيات الصفات للعلماء في آيات الصفات وأحاديث الصفات مذهبان: أحدهما وهو مذهب سلف هذه الأمة وأعلام أهل السنة: الإيمان والتسليم لما جاء في آيات الصفات وأحاديث الصفات، وأنه يجب علينا الإيمان بظاهرها ونؤمن بها كما جاءت ونَكِل علمها إلى الله تعالى وإلى رسوله - صلى الله عليه وسلم - مع الإيمان، والاعتقاد بأن الله تعالى منزه عن سمات الحدوث وعن الحركة والسكون.

([1]) المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات (3|1060) د. عبد الرحمن المغراوي، ط: دار الرسالة الطبعة الأولى 1420هـ -2000م.

(2) سورة البقرة آية: (210).

قال الكلبي[1]: هذا من الذي لا يفسر وقال سفيان بن عيينة[2]: كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عليه ليس لأحد أن يفسره إلاّ الله ورسوله.

وكان الزهري والأوزاعي ومالك وابن المبارك وسفيان الثوري والليث بن سعد وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه يقولون في هذه الآية وأمثالها اقرؤوها كما جاءت بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل هذا مذهب أهل السنة ومعتقد سلف الأمة.

عقيدتنا أن ليس مثل صفاته ولا ذاته شيء عقيدة صائب

نسلم آيات الصفات بأسرها وأخبارها للظاهر المتقارب

ونؤيس عنها كنه[3] فهم عقولنا وتأويلنا فعل اللبيب المغالب

ونركب للتسليم سفناً فإنها لتسليم دين المرء خير المراكب)[4].

والذي يشكل أنه قرر بعد هذا خلافه، ونحا منحى المتكلمين؛ قال بعد الكلام المتقدم: (المذهب الثاني وهو قول جمهور علماء المتكلمين[5]، وذلك أنه أجمع المتكلمين من العقلاء والمعتبرين[6] من أصحاب النظر على أنه تعالى منزه عن المجيء والذهاب، ويدل على ذلك أن كل ما يصح عليه المجيء والذهاب لا ينفك عن الحركة والسكون وهما مُحدَثان، وما لا ينفك عن المُحْدَث فهو مُحدَث، والله تعالى منزه عن ذلك فيستحيل ذلك في حقه تعالى فثبت بذلك أن ظاهر الآية ليس مراداً، فلا بد من التأويل على سبيل التفصيل، فعلى هذا قيل في معنى الآية **{ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ}**[7] الآيات فيكون مجيء الآيات مجيئاً لله تعالى على سبيل التفخيم لشأن الآيات

---

(1) المفسر: محمد بن السائب بن بشر الكلبي أبو النضر الكوفي النسابة ت|46. انظر تقريب التهذيب ص479 لابن حجر، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد سوريا، سنة النشر 1406ه - 1986م.

(2)الإمام: سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي ثم المكي ثقة حافظ فقيه إمام حجة ت| 198 . انظر تقريب التهذيب ص 245 .

(3) كنه الشئ: نهايته، انظر الصحاح 6|2246 مادة (كنه).

(4) من كتابه لباب التأويل 1|148.

(5) كذا في المطبوع والصحيح: (المتكلمون) لإنه فاعل.

(6) كذا في المطبوع والصحيح: (المعتبرون) لإنه فاعل.

(7) سورة البقرة آية: (210).

وقيل معناه إلاّ أن يأتيهم أمر الله ووجه هذا التأويل أن الله تعالى فسره في آية أخرى فقال: هل ينظرون إلاّ أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك، فصار هذا الحكم مفسراً لهذا المجمل في هذه الآية.

وقيل: معناه يأتيهم الله بما أوعد من الحساب والعقاب فحذف ما يأتي به تهويلاً عليهم إذ لو ذكر ما يأتي به كان أسهل عليهم في باب الوعيد، وإذا لم يذكر كان أبلغ وقيل يحتمل أن تكون الفاء[1] بمعنى الباء لأن بعض الحروف يقوم مقام بعض فيكون المعنى هل ينظرون إلاّ أن يأتيهم الله بظلل من الغمام والملائكة، والمراد العذاب الذي يأتي من الغمام مع الملائكة، وقيل معناه ما ينظرون إلاّ أن يأتيهم قهر الله وعذابه في ظلل من الغمام)[2].

وأعجب من ذلك كله أنه عند تفسير قوله تعالى: {**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**} [3] [4] ذكر مذهب أهل السنة والسلف المتقدمين وعرج على مذهب المتكلمين والمتأخرين ولم يعقب أو يرجح أو يصحح مذهباً بل جرى مجرى الساكت المقر لذلك كله.

ومن تقريره لمذهب السلف أحسن تقرير قوله: وأما الكلام في اليد فقد اختلف العلماء في معناها على قولين: أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وعلماء أهل السنة وبعض المتكلمين أن يد الله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه فيجب علينا الإيمان بها والتسليم ونمرها كما جاءت في الكتاب والسنة بلا كيف ولا تشبيه ولا تعطيل قال الله تعالى {**لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**} [5] وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: عن

---

(1) المراد حرف الجر (في) من قوله تعالى: (....في ظلل من الغمام والملائكة....) سورة البقرة آية : (210).

(2) من كتابه لباب التأويل 1|148.

(3) سورة الأعراف آية: (54).

(4) لباب التاويل 2|99 وما بعدها.

(5) سورة (ص) آية: (75).

يمين الرحمن ((وكلتا يديه يمين)) [1] والقول الثاني: قول جمهور المتكلمين وأهل التأويل، فإنهم قالوا اليد تذكر في اللغة على وجوه، أحدها: الجارحة وهي معلومة.

وثانيهما: النعمة.

يقال: لفلان عندي يد أشكره عليها.

وثالثها: القدرة قال الله تعالى: **{أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ}** [2] فسروه بذوي القوى والعقول لا يدلك[3] بهذا الأمر والمعنى سلب كمال القدرة.

ورابعها: الملك يقال هذه الضيعة في يد فلان أي في ملكه ومنه قوله تعالى: **{الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ}** [4] أي يملك ذلك، أما الجارحة فمنتفية في صفة الله عز وجل؛ لأن العقل دل على أنه يمتنع أن تكون يد الله عبارة عن جسم مخصوص وعضو مركب من الأجزاء والأبعاض تعالى الله عن الجسمية، والكيفية، والتشبيه، علواً كبيراً فامتنع بذلك أن تكون يد الله بمعنى الجارحة وأما سائر المعاني، التي فسرت اليد بها فحاصلة؛ لأن أكثر العلماء من المتكلمين زعموا أن اليد في حق الله عبارة عن القدرة وعن الملك وعن النعمة وها هنا إشكالان:

أحدهما: أن اليد إذا فسرت بمعنى القدرة فقدرة الله واحدة ونص القرآن ناطق بإثبات اليدين في قوله تعالى: **{بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ}**[5] وأجيب عن هذا الإشكال بأن اليهود لما جعلوا قولهم **{يد الله مغلولة}** كناية عن البخل أجيبوا على وفق كلامهم فقال: **{ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ}**.

أي ليس الأمر على ما وصفتموه من البخل بل هو جواد كريم على سبيل الكمال فإن من أعطى بيديه فقد أعطى على أكمل الوجوه.

([1]) رواه مسلم في كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهى عن إدخال المشقة عليهم برقم: 4825.

([2]) سورة (ص) آية: (45).

[3] هكذا في المطبوع ولعل المراد (لا يدٌ لك...) كما هو موجود في تفسير الفخر الرازي 12|38 مفاتيح الغيب دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى- 1421ه - 2000 م .

([4])سورة البقرة آية: (237).

([5]) سورة المائدة آية (64).

الإشكال الثاني: أن اليد إذا فسرت بالنعمة فنص القرآن ناطق بتثنية اليد ونعم الله غير محصورة ولا معدودة ومنه قوله تعالى: {**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا**} [1] وأجيب عن هذا الإشكال بأن التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين أنواع لا نهاية لها مثل: نعمة الدنيا ونعمة الدين ونعمة الظاهر ونعمة الباطن ونعمة النفع ونعمة الدفع.

فالمراد بالتثنية، المبالغة في وصف النعمة.

أجاب أصحاب القول عن هذا بأن قالوا: إن الله تعالى أخبر عن آدم أنه خلقه بيديه ولو كان معنى خلقه لآدم بقدرته أو بنعمته أو بملكه لم يكن لخصوصية آدم بذلك وجه مفهوم لأن جميع خلقه مخلوقون بقدرته وجميعهم في ملكه ومتقلبون في نعمه فلما خص الله آدم عليه السلام بقوله تعالى {**لما خلقتُ بيدي**} [2] دون خلقه علم بذلك اختصاصه وتشريفه على غيره

ونقل الإمام فخر الدين الرازي عن أبي الحسن الأشعري قولاً: أن اليد صفة قائمة بذات الله وهي صفة سوى القدرة من شأنها التكوين على سبيل الاصطفاء قال والذي يدل عليه أنه تعالى جعل وقوع خلق آدم بيديه على سبيل الكرامة لآدم واصطفائه له فلو كانت اليد عبارة عن القدرة امتنع كون آدم مصطفى بذلك لأن ذلك حاصل في جميع المخلوقات فلا بد من إثبات صفة أخرى وراء القدرة يقع بها الخلق والتكوين على سبيل الاصطفاء هذا آخر كلامه.

وأجيب عن قولهم: إن التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين أنواع كثيرة بأن الاسم إذا ثني لا يؤدي في كلام العرب إلا عن اثنين بأعيانهما دون الجمع ولا يؤدي عن الجنس أيضاً قالوا وخطأ في كلام العرب أن يقال ما أكثر الدرهمين في أيدي الناس بمعنى ما أكثر الدراهم في أيديهم لأن الدرهم إذا ثني لا يؤدي في كلام العرب إلا عن اثنين بأعيانهما ولكن الواحد يؤدي عن جنسه، كما تقول العرب: ما أكثر الدرهم في أيدي الناس.

([1]) سورة إبراهيم آية (34).

([2]) سورة ص آية (75).

بمعنى ما أكثر الدراهم في أيديهم، لأن الواحد يؤدي عن الجمع فثبت بهذا البيان قول من قال : إن اليد صفة لله تعالى تليق بجلاله وإنها ليست بجارحة، كما تقول: المجسمة تعالى الله عن قولهم علّواً كبيراً {**ينفق كيف يشاء**} [1] يعني أنه تعالى يرزق كما يريد ويختار فيوسع على من يشاء ويقتّر على من يشاء لا اعتراض عليه في ملكه ولا فيما يفعله (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((قال الله تبارك وتعالى: أنفق أنفق عليك وقال يد الله ملأى لا تغيضها[2] نفقة سحاء[3] الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم ينقص ما بيده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يرفع ويخفض)) [4] وهذا الحديث أيضاً أحد أحاديث الصفات فيجب الإيمان به وإمراره كما جاء من غير تشبيه ولا تكييف [5].

وكذلك فعل عند قوله تعالى: { **وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** } [6][7].

ومن تقريره لمذهب الخلف (أهل الكلام) قوله:

والغضب في الأصل: هو ثوران دم القلب لإرادة الانتقام ومنه قوله - صلى الله عليه وسلم -: ((اتقوا الغضب فإنه جمرة توقد في قلب ابن آدم ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه

([1]) سورة المائدة آية (64).

(2) أي لا ينْقُصها شيء. انظر غريب الحديث، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، ط: مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى، 1397هـ.

[(3)] أي دائمة الصب وكذلك ديمة هطلاء. انظر تفسير غريب ما في الصحيحين ص 163 لمحمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح الحميدي، تحقيق: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، ط: مكتبة السنة - القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، 1415هـ- 1995م.

([4]) رواه البخاري في كتاب التفسير باب قوله (وكان عرشه على الماء) برقم: 4407. ومسلم في كتاب الزكاة باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف برقم: 2356.

([5]) لباب التأويل 1|509.

([6]) سورة الزمر آية (67).

([7]) لباب التأويل 4|67.

وحمرة عينيه)) [1] وإذا وصف الله به فالمراد منه الانتقام فقط دون غيره وهو انتقامه من العصاة وغضب الله لا يلحق عصاة المؤمنين إنما يلحق الكافرين[2].

ومما يذكر في هذا المبحث أيضاً مما يتعلق بعقيدة الخازن – رحمه الله - قول ابن قاضي شهبة عنه: (وكان صوفياً بالخانقاة[3] المذكورة)[4].

وأما مذهبه في الفروع فيظهر من إدراج ابن قاضي شهبة له في طبقاته أنه: شافعي المذهب[5].

وقد نص في شذرات الذهب على ذلك فقال: (علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد ابن إبراهيم الشافعي خازن كتب خانقاه بدمشق)[6].

وفي الأعلام: عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية[7].

هذا ما أمكن الوقوف عليه من عقيدته ومذهبه فرحمه الله.

([1]) رواه ابن أبي شيبة في المصنف كتاب باب ما ذكِر فِي الغضبِ مِمّا يقوله الرجل برقم: 25893.

([2]) لباب التأويل 1|18.

([3]) كلمة فارسية تعني البيت وأصلها " خونقاه " أي الموضع الذي يأكل فيه الملك، ثم أصبحت تعني في الإسلام - بيت الصوفية . انظر المواعظ والاعتبار (3|567) للمقريزي، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي ط: مكتبة مدبولي 1998م.

([4]) طبقات الشافعية 3|54.

([5]) المصدر السابق 3|53.

([6]) شذرات الذهب 8|229.

([7]) الأعلام (5|5) للزركلي.

المبحث الخامس مكانته العلمية وثناء العلماء عليه

عُرف الإمام الخازن – رحمه الله - بالصلاح والعلم وحسن المعاملة يتجلى ذلك من خلال ثناء العلماء عليه وإشادتهم بأخلاقه وعلمه:

- قال ابن قاضي شهبة: (علي بن محمد بن إبراهيم الشيخ الصالح الخير علاء الدين أبو الحسن البغدادي) [1].
- وقال أيضاً: (وكان من أهل العلم جمع وألف ....وحدث ببعض مصنفاته) [2].
- (وكان بشوش الوجه ذا تودد وسمت حسن) [3].
- (مفسر، فقيه، محدث، مؤرخ) [4].
- (عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية) [5].

كل هذه المدائح تنم عما كان عليه الخازن – رحمه الله- من العلم والعمل الصالح؛ فرفع الله درجته في عليين.

([1]) طبقات الشافعية 3|53.

([2]) المصدر السابق 3|54.

([3]) المصدر السابق 3|54.

([4]) معجم المؤلفين 2|492 مؤسسة الرسالة الطبعة لأولى 1414هـ- 1993م.

([5]) الأعلام (5|5) للزركلي.

المبحث السادس وفاته وآثاره العلمية

وبعد عمر حافل بالعطاء والعلم استودع الناس جسد هذا الإمام جوف الأرض وآثاره شغاف القلب وذلك: في آخر شهر رجب أو مستهل شعبان سنة 741 [1]. فعليه سحائب الرحمة وشآبيب المغفرة.

وأما عن آثاره العلمية فقد ترك لنا الإمام الخازن – رحمه الله - الكثير من الآثار العلمية، والمؤلفات القيمة، منها ما وصل إلينا ومنها ما لم يصل، وقد ذكر العلماء من ذلك:

- (الروض والحدائق في تهذيب سيرة خير الخلائق محمد المصطفى سيد أهل الصدق والوفا - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -).
- (عدة الأفهام شرح عمدة الأحكام).

- وجمع تفسيراً كبيراً - وهو المراد بهذه الدراسة – واسمه: (لباب التأويل في معاني التنزيل)[2].

وهو التفسير المشهور بتفسير الخازن[3] فرغ من تأليفه يوم الأربعاء من رمضان سنة 725هـ[4].

- (مقبول المنقول) في عشر مجلدات جمع فيه بين مسند الشافعي وأحمد والستة والموطأ والدارقطني فصارت عشرة كتب ورتبها على الأبواب وهو كتاب كبير في الحديث يقع في عشر مجلدات [5].

رحم الله الإمام الخازن وجمعنا به في عليين.

([1]) الدرر الكامنة 4|116.

([2]) الكتب الثلاثة المذكورة في: معجم المؤلفين 2|492 مؤسسة الرسالة الطبعة لأولى 1414هـ-1993م.

([3]) الأعلام 5|5.

([4]) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (1|1450) لمصطفى عبد الله الشهير بحاجي خليفة، ط: إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

([5]) الدرر الكامنة 4|116.

الفصل الثاني

ترجمة الإمام ابن كثير - رحمه الله -، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: اسمه، ونسبه، وكنيته، ولقبه، ومولده ونشأته.

المبحث الثاني: طلبه للعلم، ورحلاته العلمية.

المبحث الثالث: شيوخه وتلاميذه.

المبحث الرابع: عقيدته ومذهبه.

المبحث الخامس: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

المبحث السادس: وفاته وآثاره العلمية.

المبحث الأول اسمه، ونسبه، وكنيته، ولقبه، ومولده، ونشأته

أما اسمه فهو: إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء بن درع القرشي الدمشقي الشافعي.

لقبه عماد الدين، وكنيته أبو الفداء ونسبه القرشي يقول في البداية والنهاية: الوالد وهو الخطيب شهاب الدين أبو حفص عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء ابن درع القرشي من بني حصلة، وهم ينتسبون إلى الشرف وبأيديهم نسب، وقف على بعضها شيخنا المزي فأعجبه ذلك وابتهج به، فصار يكتب في نسبي بسبب ذلك: القرشي [1].

ولد الحافظ - رحمه الله - سنة إحدى وسبعمائة كما أخبر هو عن نفسه في تاريخه قائلاً: وفيها ولد كاتبه إسماعيل بن عمر ابن كثير القرشي المصري الشافعي عفا الله عنه، والله سبحانه أعلم [2].

وكان مولده: بمجدل[3] القرية من أعمال مدينة بصرى[4] ..... إذ كان أبوه خطيبًا بها ثم انتقل إلى دمشق في سنة ست وسبعمائة [5].

نشأ الحافظ ابن كثير في بيت علم وأدب فأبوه الخطيب شهاب الدين أبو حفص عمر بن كثير بن ضوء بن كثير؛ تمذهب على المذهب الحنفي ثم الشافعي عني بالعلم وحفظ أشعار العرب وكان يقول الشعر الرائق أخذ عن النووي والفزاري وله مكانة ومقال في مجتمعه وكان قد تُوفي والحافظ ابن كثر في مرحلة الطفولة لم يتجاوز

([1]) البداية والنهاية (14|36) لابن كثير، تحقيق: علي شيري، ط: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988 م

([2]) البداية والنهاية (14|25).

([3]) اسم للبلدة التابعة لبصرى التي كان أبوه يخطب بها وهي بلدة صغيرة انظر التنبيه و الإيقاظ لما في ذيول تذكرة الحفاظ للطهطاوي ص25 دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.

([4]) بصرى: بضم أوله وإسكان ثانيه وفتح الراء المهملة مدينة حوران. (معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع) (1|254) لعبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي أبي عبيد، تحقيق: مصطفى السقا، ط: عالم الكتب – بيروت، الطبعة الثالثة،1403هـ.

([5]) ذيل تذكرة الحفاظ 1|57 للحسيني .

الثالثة من عمره ثم تحول به وأسرته أخوه عبد الوهاب إلى دمشق وكان أخوه هذا معتنيا بهم حريصاً عليهم وقد استفاد الحافظ منه وأخذ عنه كما قال عنه في تاريخه: وقد كان لنا شقيقاً، وبنا رفيقاً شفوقاً، وقد تأخرت وفاته إلى سنة خمسين، فاشتغلت على يديه في العلم فيسر الله تعالى منه ما يسر، وسهل منه ما تعسر والله أعلم [1].

([1]) البداية والنهاية (14|37).

المبحث الثاني طلبه للعلم ورحلاته العلمية

وأما عن طلبه للعلم ورحلاته في تحصيله فقد قال تلميذه الحسيني – رحمه الله - انتقل إلى دمشق في سنة ست وسبعمائة وتفقه بالشيخ برهان الدين الفزاري وغيره وسمع ابن السويدي والقاسم بن عساكر وخلقًا، وصاهر شيخنا الحافظ المزي فأكثر عنه وأفتى، ودرس، وناظر، وبرع في الفقه، والتفسير، والنحو، وأمعن النظر في الرجال والعلل وولي مشيخة أم الصالح والتنكزية بعد الذهبي، ذكره الذهبي في مسودة طبقات الحفاظ وقال في المعجم المختص: هو فقيه متقن ومحدث محقق ومفسر نقاد وله تصانيف مفيدة[1].

وفي طبقات الشافعية: وولي مشيخة أم الصالح بعد موت الذهبي وبعد موت السبكي ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية مدة يسيرة ثم أخذت منه [2].

وفي إنباء الغمر: وحفظ التنبيه، وعرضه سنة ثماني عشرة، وحفظ مختصر ابن الحاجب، وتفقه بالبرهان الفزاري، والكمال ابن قاضي شهبة، ثم صاهر المزي، وصحب ابن تيمية [3].

وهكذا كانت النشأة العلمية الأصيلة للحافظ ابن كثير على وجه الاختصار وهي على وجازة ذكرها تفوح نشاطاً وهمة وجهاداً.

([1]) ذيل تذكرة الحفاظ 1|57 للحسيني.

([2]) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة 3|86.

([3]) إنباء الغمر 1|45 لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان - الطبعة: الثانية 1406 هـ - 1986م.

المبحث الثالث شيوخه وتلاميذه

تتلمذ الحافظ ابن كثير – رحمه الله – على كثير من أفاضل عصره وعلماء بلده فممن ذكرهم التاريخ:

- شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية - رحمه الله - وبه تخرج[1].

- الحافظ أبو الحجاج يوسف المزي [2]- رحمه الله -.

- الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي[3] - رحمه الله .

- الشيخ أبو العباس أحمد الحجار الشهير بـ ابن الشحنة[4] - رحمه الله -.

- الحافظ كمال الدين عبد الوهاب الشهير بـ(ابن قاضي شهبة)[5] - رحمه الله -.

- الإمام كمال الدين أبو المعالي محمد بن الزملكاني[6]- رحمه الله -.

- محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الحافظ بدر الدين أبو عبد الله بن الفويرة السلمي الحنفي[7]- رحمه الله -

- الإمام محيي الدين أبو زكريا يحيى الشيباني[8] - رحمه الله -.

- الإمام علم الدين محمد القاسم البرزالي[9] - رحمه الله -.

([1]) المنهل الصافي (2|415)، تحقيق: الدكتور محمد محمد أمين، تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

([2]) المصدر السابق (2|415)..

([3]) المعجم المختص بالمحدثين ص (75) لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي تحقيق د. محمد الحبيب الهيلة ط مكتبة الصديق سنة النشر 1408هـ.

([4]) المنهل الصافي (2|415)..

(5) مرت ترجمته.

(6) البداية والنهاية 14|151.

([7]) الدارس في تاريخ المدارس ص435: لعبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى 1410هـ - 1990م.

(8) البداية والنهاية 14|132.

([9]) البداية والنهاية (13|313).

- الشيخ شمس الدين أبو نصر محمد الشيرازي[1] - رحمه الله -.

- الشيخ شمس الدين محمود الأصبهاني[2] رحمه الله.

- عفيف الدين إسحاق بن يحيى الآمدي الأصبهاني[3] - رحمه الله -.

- الشيخ بهاء الدين القاسم بن عساكر[4] - رحمه الله -.

- أبو محمد عيسى بن المطعم[5] رحمه الله وهذا هو الذي شارك فيه الخازن.

- الشيخ أبو بكر محمد بن الرضى الصالحي[6] - رحمه الله -.

- محمد بن السويدي، بارع في الطب[7] – رحمه الله -.

- محمد بن جعفر اللباد، شيخ القراءات[8] – رحمه الله -.

- الشيخ محمد بن الزراد[9] - رحمه الله -.

- برهان الدين الفزاري[10] - رحمه الله -.

وأجاز له من مصر أبو الفتح الدبوسي، وعلي بن عمر الواني، ويوسف الختني [11] رحمهم الله -.

وغير هؤلاء كثير.

([1]) المنهل الصافي (2|415).

([2]) إنباء الغمر 1|45 لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة: الثانية 1406 هـ - 1986م.

([3]) المنهل الصافي (2|415).

([4]) ذيل تذكرة الحفاظ 1|57 للحسيني.

([5]) المنهل الصافي (2|415).

([6]) الدرر الكامنة (1|445).

([7]) ذيل تذكرة الحفاظ 1|57 للحسيني.

([8]) البداية والنهاية (14|131).

([9]) المنهل الصافي (2|415).

([10]) ذيل تذكرة الحفاظ 1|57 للحسيني.

([11]) المنهل الصافي (2|415).

تلاميذه:

وأما تلاميذه فهم - أيضاً - كثير فمنهم:

- أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر بن رضوان شهاب الدين الدمشقي الشافعي – رحمه الله - [1]

- محمود بن عمر بن محمود بن إيمان نحوي دمشق شرف الدين الأنطاكي الدمشقي الحنفي[2] – رحمه الله -.

- الحافظ: ابن حجي الشافعي، أحمد بن علاء الدين حجي بن موسي بن أحمد السعدي الحسباني - رحمه الله - قال ابن حجى : ما اجتمعت به قط إلا استفدت منه[3].

- محمد بن محمد بن خضر القرشي [4]- رحمه الله -.

- شرف الدين مسعود الأنطاكي النحوي[5] - رحمه الله -.

- محمد بن محمد بن الجزري، شيخ علم القراءات، - رحمه الله – قال: أخبرني شيخنا إسماعيل بن عمر بن كثير الحافظ من لفظه[6].

- ابنه عبد الوهاب بن إسماعيل بن كثير[7] – رحمه الله -.

([1]) الضوء اللامع 2|81 دار الجيل.

([2]) ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد (2|275) لمحمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي تحقيق: كمال يوسف الحوت دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الطبعة الأولى، 1410هـ/1990م

([3]) إنباء الغمر1|42.

([4]) بغية الوعاة 1|222.

([5]) شذرات الذهب 9|170 لابن العماد تحقيق: مجموعة من المحققين، ط: دار ابن كثير دمشق، الطبعة الأولى 1406هـ -1986م..

([6]) غاية النهاية (1|331). لابن الجزري، تحقيق: براجستراسر، ط: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 2006م.

([7]) الضوء اللامع5|98.

- الإمام ابن أبي العز الحنفي[1]- رحمه الله -.

- الحافظ أبو المحاسن الحسَيني، رحمه الله[2].

- أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي – رحمه الله - قال: (وقد ذكر شيخنا عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير في تاريخه أنه اجتمع به)[3].

ومن يجول بنظره بين أسماء شيوخ ابن كثير وتلاميذه يعلم منزاة هذا الرجل ورفيع قدره بين أهل العلم، وأنه قد سما من الجهتين.

تذييل بأبنائه – رحمه الله -:

- عمر بن إسماعيل بن عمر بن كثير، عز الدين بن عماد الدين، عني بالفقه ، وكتب تصانيف أبيه ، وولي الحسبة مراراً ونظر الأوقاف ، ودرس بعدة أماكن ، وعاش خمساً وأربعين سنة [4].

- عبد الوهاب تاج الدين بن الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير.[5]

- أحمد بن إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي ثم الدمشقي شهاب الدين ابن الحافظ عماد الدين ولد سنة خمس وستين وأحضر علي ابن الشيرجي أحد الرواة عن الفخر وتزيا بزي الجند وحصل له إقطاع ، قال القاضي شهاب الدين ابن حجي في تاريخه : كان أحسن أخوته سمتاً وكان عارفاً في الأمور [6].

- عبد الرحمن بن إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي ثم الدمشقي، كتب الكثير بخطه من تصانيف أبيه وكان بزي الجند ، وقد ذيل على تاريخ أبيه قليلاً [7].

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية 1|220 تحقيق : أحمد محمد شاكر ط: وكالة الطباعة والترجمة في الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (السعودية).

([2]) ذيل تذكرة الحفاظ 1|57 للحسيني.

([3]) السلوك لمعرفة الدول الملوك 4|183 لأحمد بن علي المقريزي، احقيق: محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1418هـ-1997م.

([4]) إنباء الغمر 2|75.

([5]) المصدر السابق 8|441.

([6]) المصدر السابق 4|39.

([7]) المصدر السابق 3|39.

المبحث الرابع عقيدته ومذهبه

من الأمور الجلية التي لا تخفى أن عقيدة الإمام ابن كثير هي عقيدة السلف الصالح في توحيد الله تعالى وأسمائه وصفاته وهذا واضح جداً في ثنايا تفسيره رحمه الله.

يقول - عند قوله تعالى:

- **{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نزلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ }** [1] -: (يقول تعالى مقرراً أنه لا إله إلا هو؛ لأن المشركين - الذين يعبدون معه غيره - معترفون أنه المستقل بخلق السموات والأرض والشمس والقمر، وتسخير الليل والنهار، وأنه الخالق الرازق لعباده، ومقدر آجالهم، واختلافها واختلاف أرزاقهم ففاوت بينهم، فمنهم الغني والفقير، وهو العليم بما يصلح كُلا منهم، ومَنْ يستحق الغنى ممن يستحق الفقر، فذكر أنه المستبدُّ بخلق الأشياء المتفرد بتدبيرها، فإذا كان الأمر كذلك فلم يُعبد غيره؟ ولم يتوكل على غيره؟ فكما أنه الواحد في ملكه فليكن الواحد في عبادته، وكثيرًا ما يقرر تعالى مقام الإلهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية. وقد كان المشركون يعترفون بذلك، كما كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك)[2].

ويقرر عقيدة السلف في باب الأسماء والصفات قائلاً:

- (أما قوله تعالى: **{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}** [3] فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جداً، ليس هذا موضع بسطها، وإنما يُسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه وغيرهم، من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل. والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن

([1]) سورة العنكبوت آية (61- 63)

([2]) تفسير ابن كثير6|294.

([3]) سورة الأعراف: (54).

الله، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه، و{ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**} [1] بل الأمر كما قال الأئمة - منهم نُعَيْم بن حماد الخزاعي[2] شيخ البخاري -: (من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر). وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة، على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى، ونفى عن الله تعالى النقائص، فقد سلك سبيل الهدى)[3].

وقوله:

- ({**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**} [4]: تقدم الكلام على ذلك في سورة الأعراف، بما أغنى عن إعادته أيضًا، وأن المسلك الأسلم في ذلك طريقة السلف، إمرار ما جاء في ذلك من الكتاب والسنة من غير تكييف ولا تحريف، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تمثيل)[5].

فكما هو ملاحظ أن عقيدته – رحمه الله – عقيدة سلفية مأخوذة من القرآن والسنة مبنية على فهم السلف الصالح رحمهم الله ورضي عنهم.

وأما في الفروع فإن مذهبه مذهب الإمام الشافعي رحمة الله على الجميع؛ قال في الرد الوافر: (أبو الفداء إسماعيل ابن الشيخ العالم الخطيب أبي حفص عمر بن كثير ابن ضوء بن كثير بن ضوء بن زرع القرشي البصري ثم الدمشقي الشافعي)[6].

([1]) سورة الشورى آية: (11).

(2) الإمام: نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي ت|228هـ. انظر تقريب التهذيب 564.

([3]) تفسير القرآن العظيم 3|426.

([4]) سورة طه آية رقم (5).

([5]) تفسير ابن كثير6|273.

([6]) الرد الوافر ص92 لمحمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي تحقيق : زهير الشاويش. ط: المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة الأولى: 1393.

وقال في تذكرة الحفاظ: وسمعت مع الفقيه المفتي المحدث ذي الفضائل عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي الشافعي[1].وفي إنباء الغمر: (إسماعيل بن عمر ابن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء بن زرع البصروي ثم الدمشقي، الفقيه الشافعي)[2]. وهو مؤلف طبقات الشافعية[3] ومناقب الشافعي[4] – رحمه الله -.

([1]) تذكرة الحفاظ 4|1805.

([2]) إنباء الغمر 1|45.

([3]) الدرر الكامنة 1|445.

([4]) المنهل الصافي (2|415).

المبحث الخامس مكانته العلمية وثناء العلماء عليه

حظي الحافظ ابن كثير بكثير من الثناء العطر والإعجاب من قبل أشياخه وتلاميذه ومحبيه من أبناء عصره، بل وحتى ممن جاء بعد عصره من ذلك:

- ما جاء المعجم المختص[1]: (هو فقيه متقن ومحدث محقق ومفسر نقاد وله تصانيف مفيدة).
- وقال أيضاً: (يدري الفقه وأفتى ويفهم العربية والأصول، ويحفظ جملة صالحة من المتون والتفسير والرجال وأحوالهم، وله حفظ ومعرفة) [2].
- وفي تذكرة الحفاظ: (وسمعت مع الفقيه المفتي المحدث ذي الفضائل عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي الشافعي، ..... وله عناية بالرجال والمتون والفقه، خرج وألف وناظر وصنف وفسر وتقدم) [3].
- (وكان كثير الاستحضار قليل النسيان جيد الفهم، وكان يشارك في العربية ويستحضر التنبيه ويكرر عليه إلى آخر وقت وينظم نظما وسطاً ، قال ابن حجى[4]: ما اجتمعت به قط إلا استفدت منه، وقد لازمته ست سنين) [5].
- وقال عنه تلميذه ابن حجي أيضاً: (أحفظ من أدركناه لمتون الأحاديث وأعرفهم بجرحها ورجالها وصحيحها وسقيمها وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك وما أعرف أني اجتمعت به على كثرة ترددي إليه إلا واستفدت منه) [6].

- وفي الرد الوافر: (الشيخ الإمام العلامة الحافظ عماد الدين ثقة المحدثين عمدة المؤرخين علم المفسرين أبو الفداء إسماعيل ابن الشيخ العالم الخطيب أبي حفص

([1]) لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ص75.

([2]) المعجم المختص ص75 للذهبي، تحقيق د. محمد الحبيب الهيلة ط: مكتبة الصديق سنة النشر 1408هـ.

([3]) تذكرة الحفاظ 4|1805.

([4]) أحمد بن حجي بن موسى بن أحمد بن سعيد السعدي الحساباني الدمشقي الشافعي تلميذ ابن كثير تقدم في تلاميذه ت|810. الضوء اللامع 1|269.

([5]) إنباء الغمر 1|46.

([6]) شذرات الذهب (8|399).

عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء بن زرع القرشي البصري ثم الدمشقي الشافعي) [1].

- (جمع وصنف ودرس وحدث وألف، وكان له إطلاع عظيم في الحديث والتفسير والفقه والعربية وغير ذلك، وأفتى ودرس) [2].

- قال العيني[3] (رحمه الله: كان قدوة العلماء والحفاظ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ. وسمع وجمع وصنف ودرس وحدث وألف. وكان له اطلاع عظيم في الحديث والتفسير والتاريخ، واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهى إليه علم التاريخ والحديث والتفسير، وله مصنفات عديدة مفيدة) [4].

- وفي إنباء الغمر: (....وصفه بحفظ المتون وكثرة الاستحضار جماعة منهم الحسيني وشيخنا العراقي[5] وغيرهما) [6]

- وقال فيه ابن حبيب[7]: (إمام ذوي التسبيح والتهليل ، وزعيم أرباب التأويل ، سمع وجمع وصنف ، وأطرب الأسماع بقوله وشنف ، وحدث وأفاد ، وطارت أوراق فتاويه إلى البلاد ، واشتهر بالضبط والتحرير ، وانتهت إليه رئاسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير) [8]

([1]) الرد الوافر 92.

([2]) المنهل الصافي (2|415)..

([3]) العلامة: محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف لحنفي بدر الدين العيني صاحب عمدة القاري شرح صحيح البخاري ت|855هـ انظر بغية الوعاة للسيوطي 2|275.

([4]) النجوم الزاهرة لابن تغري بردي 11|98 دار الكتب العلمية ط الأولى تحقيق محمد حسين شمس الدين 1413هـ- 1992.

(5) الإمام الكبير الشهير أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي صاحب الألفية في الحديث ت| 806هـ. انظر ذيل تذكر الحفاظ، ص370 للسيوطي 1|245.

([6]) إنباء العمر 1|46.

(7) المحدث الحافظ: أبو القاسم عمر بن حسن بن عمر بن حبيب الدمشقي الحلبي ت|726هـ. انظر ذيل تذكرة الحفاظ ص357 للسيوطي.

([8]) إنباء العمر 1|46.

المبحث السادس وفاته وآثاره العلمية

وبعد رحلة علمية مليئة بالعطاء، والأحداث والتضحية وَدَّعَ إمامنا الحافظ ابن كثير دار الزوال والفناء لينتقل إلى دار الدوام والبقاء ويُرجَى له عند الله الفوز والسعادة؛ وبذلك أفل نجمه، وكسفت شمسه، ولله الأمر من قبل ومن بعد؛ وكان ذاك في شعبان سنة 774هـ.

- (وكانت جنازته حافلة مشهودة ودفن بوصية منه في تربة شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية بمقبرة للصوفية خارج باب النصر من دمشق)[1].

- وكانت وفاته:(بدمشق في خامس عشر شعبان ، وقد أجاز لمن أدرك) [2].

وقيل: (يوم الخميس سادس عشر شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة بدمشق، عن أربع وسبعين سنة، ورثاه بعض طلبته:

لفقدك طلاَّب العلوم تأسفوا ... وجادوا بدمْع لا يبيد غزير

ولو مزجُوا ماء المدامع بالدِّما .. لكان قليلاً فيك يا ابن كثير) [3]

أما آثاره العلمية فقد ترك لنا الحافظ ابن كثير تراثاً علمياً كبيراً في مختلف العلوم والفنون من ذلك: - ((تفسير القرآن الكريم) في عشر مجلدات[4]؛ التفسير الذي لم يؤلف على نمطه مثله)[5].

- فضائل القرآن: وهو الملحق بالتفسير.

وفي السنة وعلومها: - (مسند أبي بكر الصديق)، رضي الله عنه[6].

- (مسند عمر بن الخطاب)، رضي الله عنه[7].

([1]) الرد الوافر 92.

([2])إنباء العمر 1|46.

([3]) المنهل الصافي (2|415).

([4]) المصدر السابق (2|415).

([5]) ذيل التذكرة ص361 للسيوطي.

([6]) تفسير القرآن العظيم 2|124.

(7) انظر البداية والنهاية 6|225. وقد نشره الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، وطُبع بدار الوفاء بمصر.

- (علوم الحديث)[1].
- (جامع المسانيد) جمع فيه أحاديث الكتب الستة والمسانيد الأربعة [2].
- وخرج أحاديث (مختصر ابن الحاجب)[3] .
- وكتب عَلَى البخاري ولم يكمله[4].
- (التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل) جمع بين كتاب التهذيب والميزان وهو خمسة مجلدات[5].
- كتاب (الهدي والسنن في أحاديث المسانيد والسنن) جمع بين مسند الإمام أحمد والبزار وأبي يعلى وابن أبي شيبة إلى الكتب الستة[6].
- وفي الفقه وأصوله: - كتاب كبير في الأحكام لم يتمه.[7]
- (أدلة التنبيه)[8].
- وفي التاريخ والسير والطبقات: كتاب (البداية والنهاية) في أربعة وخمسين جزءًا[9]وهو في غاية الجود.[10]

([1]) ذيل التذكرة ص361 للسيوطي.

(2) معجم المؤلفين (1|373) والمسانيد الأربعة هي: مسانيد أحمد ، والبزار ، وأبى يعلى ، ومعجم الطبرانى، انظر الغاية في شرح الهداية ص 195 لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: أبي عائش عبد المنعم إبراهيم، ط: مكتبة أولاد الشيخ للتراث، 2001م.

([3]) المنهل الصافي (2|415). ذيل التذكرة ص361 للسيوطي. وطبع مؤخرًا بتحقيق الكبيسي، ونشر في مكة.

([4]) المنهل الصافي (2|415).

([5]) ذيل تذكرة الحفاظ 1|57 للحسيني.

([6]) المصدر السابق 1|57 للحسيني

([7]) ذيل التذكرة ص361 للسيوطي.

([8]) المصدر السابق ص361 للسيوطي.

([9]) ذيل التذكرة ص58 للحسيني.

([10]) المنهل الصافي (2|415). وقد طبع مراراً كطبعة دار المعرفة، وطبعة الشيخ التركي وغيرهما.

- (كتاب طبقات الفقهاء)[1].
- (مناقب الشافعي)[2].
- وطبقات الشافعية. [3]
- (الفصول في سيرة الرسول)[4].
- وله في الأجزاء والرسائل:جزء في (الجزية) قال: في البداية - بعد ذكر قصة الكتاب المكذوب الذي ادعى اليهود أن علياً كتبه- (.....وقد جمعت فيه جزءا مفرداً، وذكرت ما جرى فيه أيام القاضي الماوردي[5]، وكتاب أصحابنا في ذلك العصر، وقد ذكره في الحاوي وصاحب الشامل في كتابه وغير واحد، وبينا خطأه ولله الحمد والمنة) [6].
- جزء في (حديث الصور) قال في التفسير: (قلت: وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة، قد أفردتها في جزء على حدة) [7].
- جزء في (الرد على حديث السجل)[8].
- جزء في (التسمية على الذبح) قال في التفسير: (وقد أفردت هذه المسألة على حدة، وذكرت مذاهب الأئمة ومآخذهم وأدلتهم، ووجه الدلالات والمناقضات والمعارضات ، والله أعلم)[9].

([1]) المنهل الصافي (2|415).

([2]) المصدر السابق (2|415).

([3]) ذيل التذكرة ص361 للسيوطي.

([4]) معجم المؤلفين (1|373). وهو مطبوع في مؤسسة علوم القرآن.

(5) القاضي الماوردي صاحب الحاوي الكبير، علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن الماوردي البصري، شيخ الشافعية ت|450 . انظر البداية والنهاية 12|99.

([6]) البداية والنهاية (14|22).

([7]) تفسير القرآن العظيم 3|288.

([8]) المصدر السابق 5|383.

([9]) المصدر السابق 3|327.

- جزء في (كفارة المجلس)[1].
- جزء في (فضل يوم عرفة)[2].
- جزء في (ميراث الأبوين مع الإخوة)[3].
- و رسالة في الجهاد بعنوان (الاجتهاد في طلب الجهاد)[4].

وله غير ذلك رحمه الله.

([1]) المصدر السابق 7|47.

([2]) تفسير القرآن العظيم 1|556.

([3]) المصدر السابق 2|228.

([4]) الأعلام 1|320.

الفصل الثالث

التعريف بالكتابين (لباب التأويل، وتفسير القرآن العظيم) وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: وفيه الكلام على اسم الكتابين وموضوعهما.

المبحث الثاني: وفيه توثيق الكتابين وصحة نسبتهما للإمامين رحمهما الله تعالى.

المبحث الثالث: وفيه الحديث عن قيمة الكتابين العلمية.

المبحث الرابع: وفيه الحديث عن دوافع تأليف الكتابين.

الفصل الخامس: وفيه ذكر الإمامين للمصادر في تفسيرهما (محل الدراسة) وطريقتهما في العزو إليها.

المبحث الأول اسم الكتابين وموضوعهما

لا يخفى ما للعنوان من أهمية في التعبير عن فحوى الكتاب وكذلك ما له من قوة في شد الذهن ولفت الانتباه؛ ولذلك تفنن علماؤنا الأكارم في وضع عناوين لكتبهم ،ووسمها بجميل الأسماء وحسن الصفات؛ وعلى ذلك درج الإمامان الهمامان الخازن وابن كثير - رحمهما الله – في كتابيهما.

فأما الكتاب الأول فهو كتاب الإمام الخازن– رحمه الله - وقد أسماه: (لباب التأويل في معاني التنزيل) كما ذكر ذلك الأدنروي [1] والزركلي [2] وكحالة [3] وحاجي خليفة [4] وغيرهم كثير وهو العنوان الذي وضع على غلاف المطبوع.

وأقوى من هذا كله ما قال مؤلفه – رحمه الله - في المقدمة: وسميته (لباب التأويل في معاني التنزيل)[5]. وقد اشتهر كتابه – رحمه الله – بين أهل العلم بـ(تفسير الخازن).

وعنوان الكتاب يشير إلى اللب والخلاصة في علم التفسير الذي به يتم معرفة معاني ما أنزل الله في كتابه.

وأما الكتاب الثاني كتاب ابن كثير – رحمه الله - فقد عرف بـ(تفسير القرآن العظيم) كما ذكر ذلك الكثير من الباحثين والمحيلين عليه منهم الدكتور الذهبي[6] ويقول محقق الكتاب: وأما عنوانه، فالمشهور "تفسير القرآن العظيم"، وجاء ذلك على طرة النسخة "ط"، وبعض النسخ تسميه: "تفسير ابن كثير"[7].

([1]) في طبقات المفسرين 1|150.

([2]) الأعلام 5|5.

([3])معجم المؤلفين 2|492 مؤسسة الرسالة الطبعة لأولى 1414هـ- 1993م.

([4]) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (1|1450) لمصطفى عبد الله الشهير بحاجي خليفة، ط: إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

([5]) لباب التأويل المقدمة ص3 دار الكتب العربية الكبرى.

([6]) التفسير والمفسرون (1|173).

([7]) تفسير القرآن العظيم مقدمة التحقيق (1|33) و (ط) رمز لإحدى نسخ الكتاب وهي نسخة تشستربتي بإيرلندا.

وقد اشتهر هذا الكتاب بـ"تفسير ابن كثير" وطغت هذه الجملة على الاسم المتقدم وطوته تحت جلابيب شهرتها.

وحتى ابن كثير نفسه في تاريخه "البداية والنهاية" – المتقدم ذكره في تآليفه - يحيل في كثير من المواضع إلى التفسير ولا يذكر اسماً خاصاً.

وقد ورد اسم الكتاب بعنوان (تفسير القرآن الكريم) في المنهل الصافي[1] والنجوم الزاهرة [2]وغيرهما.

فلعل الإمام سماه تفسير القرآن، وكلمتا التعظيم (العظيم والكريم) تداولها هو في نسخ الكتاب وهكذا تداولها الناس أيضاً والله أعلم.

وعنوان الكتاب يشير إلى خلوص الكتاب لتفسير القرآن الكريم العظيم.

المقارنة:

- كتاب الخازن – رحمه الله – له اسم وهو "لباب التأويل" وأما كتاب ابن كثير فلإنه مشهور بالنسبة إلى مؤلفه وسماه بعضهم: بـ"تفسير القرآن العظيم أو الكريم".
- كلا الكتابين موضوعهما واحد وهو تفسير كلام الله تعالى.

([1]) المنهل الصافي (2|415) لابن تغري بردي، تحقيق: دكتور محمد محمد أمين، تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

([2]) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (16|98) .

المبحث الثاني في توثيق الكتابين وصحة نسبتهما إلى الإمامين - رحمهما الله تعالى -.

إن نسبة التفسير " لباب التأويل" للإمام الخازن من الأمور المعروفة المشهورة عند أهل العلم والتي لا تخفى؛ فقد نسبه إليه الكثير منهم كما مر ذكرهم في المبحث الذي قبله.

وأما نسبة التفسير المعروف إلى ابن كثير فمن الأمور المتيقنة المقطوع بها والمشتهرة المنتشرة بين الناس؛ ولولا أن جرت عادة الباحثين في ذكر مثل هذا المبحث، وأوجبه عدل المقارنة لأعرضت عنه صفحاً؛ فممن ذكر الكتاب ونسبه لابن كثير الزيلعي[1] وابن حجر[2] وابن أبي العز[3] والسيوطي[4] والشوكاني[5] وغيرهم

([1]) انظر: "تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف" 1|66 للزيلعي تحقيق : عبد الله بن عبد الرحمن السعد، ط: دار ابن خزيمة - الرياض الطبعة : الأولى 1414هـ. وغيرهذه الصفحة كثير.

والزيلعي هو: الإمام جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي أبو محمد ت| 762هـ. انظر الدرر الكامنة 3|95.

([2]) انظر الدرر الكامنة 1|445. وابن حجر هو: الإمام الحافظ أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد، شهاب الدين أبو الفضل الشهير بابن حجر الكناني العسقلاني ت|852هـ. انظر المنهل الصافي (2|415) .

([3]) انظر شرح العقيدة الطحاوية 1|220 تحقيق : أحمد محمد شاكر ط: وكالة الطباعة والترجمة في الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (السعودية). وأما ابن أبي العز فهو: على بن على بن محمد بن أبى العز الحنفي قاضى القضاة بدمشق ت|792. انظر الدرر الكامنة 4|103هـ.

([4]) انظر الدر المنثور 1|241 ط: دار الفكر، بيروت، 1993.

([5]) انظر البدر الطالع 1|103 للشوكاني، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى 1418هـ- 1998م. وانظر: فتح القدير (1|18) له أيضاً، وغيرها مواضع كثيرة، ط: مؤسسة الريان بيروت، الطبعة الثالثة، 1425هـ- 2005م.

والشوكاني: هو محمد بن على بن محمد بن عبد الله الشوكانى ثم الصنعانى ت|1250هـ. انظر البدر الطالع 2|215، مطبعة السعادة، القاهرة مصر الطبعة الأولى: 1348هـ.

كثير. فنسبة الكتابين للإمامين من الأمور الشائعة المستفيضة التي استقرت في الأذهان استقرار الأنساب في الأشخاص.

المقارنة:

- كلا الكتابين نسبته ثابتة لمؤلفه.

المبحث الثالث قيمة الكتابين العلمية

يعد تفسير(لباب التأويل) من التفاسير الفريدة في عرض مجمل تفسير القرآن الكريم؛ يظهر ذلك من خلال التصفح في أوراقه؛ وهو كما قال مصنفه: (فوائد نقلتها لخصتها من كتب التفاسير المصنفة في سائر علومه المؤلفة ولم أجعل لنفسي تصرفاً سوى النقل والانتخاب مجتنباً حد التطويل والإسهاب وحذفت منه الإسناد لأنه أقرب إلى تحصيل المراد)[1] كما يزيد من أهمية الكتاب العلمية أن صاحبه لم يكن حاطب ليل بل قد وعد بوضع بصمات من التحرير والترتيب والتنقيح كما قال: (استنباط شيء كان معضلاً أو جمعه إن كان متفرقاً أو شرحه إن كان غامضاً أو حسن نظم وتأليف أو إسقاط حشو وتطويل)[2].

وبالجملة: فهذا التفسير معدود ضمن التفاسير بالدراية (الرأي المحمود) على أنه قد توافرت فيه الشروط التي لا بد منها في إباحة التفسير بالرأي؛ ولا يتجاوز المرء حد الصدق إن قيل بأنه ذكر كماً كبيراً من الأحاديث والآثار حتى إن المتصفح في بعض صفحاته يرشحه ضمن تفاسير الأثر؛ وفوق هذا كله فقد امتاز بأدب اللفظ وجمال التعبير وروح الدفاع عن العقيدة وحل المشكلات ورد الشبهات وإظهار الحكم وتدبر السياق وغير ذلك كثير فرحمه الله رحمة واسعة.

وأما تفسير ابن كثير – رحمه الله – فيعد من أحسن التفاسير طريقة وعرضاً، وأشملها رواية وعلماً؛ وقد امتاز بميزات متعددة أهمها تفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسنة والآثار، واهتمامه باللغة وعلومها، واعتبارها من أهم مصادر التفسير، وكذالك اهتمامه بذكر القراءات وأسباب النزول واهتمامه، بذكر أسانيد الأحاديث ونقدها.

مما جعل العلماء يقدمونه على غيره، ويرون له فضله، ويولونه اهتماماً بالغاً ،ويكثرون من مدحه وتقريظه حتى قال السيوطي: (لم يُؤلَّف على نَمَطه مِثْله)[3].

([1]) لباب التأويل المقدمة ص3 دار الكتب العربية الكبرى.

([2]) المصدر السابق المقدمة.

([3]) ذيل التذكرة ص361 للسيوطي.

وقال الشوكاني: (وله تصانيف مفيدة منها التفسير المشهور وهو في مجلدات وقد جمع فيه فأوعى ونقل المذاهب والأخبار والآثار وتكلم بأحسن كلام وأنفسه وهو من أحسن التفاسير إن لم يكن أحسنها) [1].

وفي عمدة التفسير: (فإن تفسير الحافظ ابن كثير أحسن التفاسير التي رأينا، وأجودها وأدقها بعد تفسير إمام المفسرين أبي جعفر الطبري)[2].

ويكفي هذا التفسير من الشرف والسؤدد أنه رزق القبول وانتشر في عصر مؤلفه وبعده حتى لا تكاد تخلو منه اليوم مكتبة سواء كانت خاصة أو عامة؛ مع ما تميز به من ذلك النهج العلمي الأصيل، والذي زينه جمال التعبير وحسن السياق والأدب الرفيع؛ كما تزيد أهمية هذا التفسير بذكر الحديث وسنده وحكمه عليه غالباً وترجيح الأقوال دون التعصب لرأي أو تقليد بغير دليل.

وكذلك تحريه الواضح في شأن الإسرائيليات، وحفاظه على عقيدة السلف فيما يتعلق بالأسماء والصفات، وغير ذلك كثير.

وفي جملة القول فقد بذل الإمامان جهداً كبيراً مما جعل كتابيهما من أشهر كتب التفسير وإن كان الثاني أكثر ذيوعاً وشهرة.

المقارنة:

- كتاب الخازن – رحمه الله – كتاب مختصر فريد في عرض مجمل التفسير، وكتاب ابن كثير – رحمه الله - من الكتب المتوسعة والمبسوطة في علم الفسير.
- كتاب الخازن – رحمه الله – من التفاسير المصنفة تحت ظل الرأي المحمود على ما فيه من الاعتماد على التفسير بالحديث والأثر، وكتاب ابن كثير – رحمه الله – ضمن كتب التفسير بالأثر وله فيه عناية فائقة.
- كلا التفسيرين قد حظي بعناية فائقة من قبل أهل العلم وإن كان كثير منهم يقدم تفسير ابن كثير لكثرة فوائده واشتماله على منقولات السلف ومن جهة الدقة والجودة والله أعلم.

([1]) البدر الطالع 1|103 دار الكتب العلمية الطبعة الأولى 1418هـ- 1998م.

([2]) عمدة التفسير 1|9 لأحمد محمد\ شاكر، دار الوفاء الطبعة الثانية 1426هـ -2005م.

المبحث الرابع دوافع تأليف الكتابين

إن الذي دفع الإمام الخازن - رحمه الله - إلى تأليف كتابه فيما يظهر من مقدمته هو: أنه اطلع على تفسير البغوي – يرحمه الله - وما توسع فيه؛ فأحب أن يشارك في هذا العلم باختصار وترتيب هذا التفسير القيم لذلك يقول: (ولما كان هذا الكتاب كما وصفت أحببت أن أنتخب من غرر فوائده، ودرر فرائده، وزواهر نصوصه، وجواهر فصوصه، مختصراً جامعاً لمعاني التفسير، ولباب التأويل والتعبير، حاوياً لخلاصة منقوله متضمنا لنكته وأصوله، مع فوائد نقلتها لخصتها من كتب التفاسير المصنفة في سائر علومه المؤلفة ولم أجعل لنفسي تصرفاً سوى النقل والانتخاب مجتنباً حد التطويل والإسهاب وحذفت منه الإسناد لأنه أقرب إلى تحصيل المراد) [1].

ولا شك أن دافع التأليف عند الخازن من الدوافع السامية المشهورة والمعقولة المنتشرة التي سار في رحابها الكثير من أهل العلم في شتى المجالات العلمية وغيرها.

وأما التفسير الآخر للإمام ابن كثير - رحمه الله - فيبدو أنه لم يكن ثَّم سبب خاص دفعه إلى تأليفه؛ وإنما الذي حمله على ذلك السير على طريقة العلماء في تفريغ النفس لتدبر كلام خالقها ومحاولة فهم معانيه والدخول ضمن تحقيق الواجب الملقى على أهل العلم في بيان معاني القرآن، وفهم مراد الله تعالى، والنأي بالنفس عمن ذمهم الله بعدم تدبر كتابه كما قال رحمه الله في المقدمة: (فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله، وتفسير ذلك، وطلبه من مظانه، وتَعلُّم ذلك وتعليمه، كما قال تعالى: **{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ}** [2]، وقال تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ**

([1]) لباب التأويل المقدمة ص(3) دار الكتب العربية الكبرى.

([2]) سورة آل عمران آية: (187).

يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلا أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [1].

فذم الله تعالى أهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن كتاب الله إليهم، وإقبالهم على الدنيا وجمعها، واشتغالهم بغير ما أمروا به من اتباع كتاب الله.

فعلينا - أيها المسلمون - أن ننتهي عما ذمَّهم الله تعالى به، وأن نأتمر بما أمرنا به، من تَعَلُّم كتاب الله المنزل إلينا وتعليمه، وتفهمه وتفهيمه)[2].

فسبب تأليف ابن كثير لكتابه واضح جداً وهو من أبرز دوافع التأليف عند طائفة كبيرة من المفسرين ألا وهو التأليف ابتداءً. وقد جاء هذا الدافع يرفل بثياب التجديد من جهة الترتيب والتنظيم والاعتماد على تفاسير السلف.

المقارنة:

- كان دافع التأليف بالنسبة للإمام الخازن – رحمه الله – هو الاختصار لكتاب سبقه والمشاركة لأهل العلم في فهم كتاب الله تعالى، أما ابن كثير فكان الدافع عنده لتأليف كتابه هو تدبر كتاب الله وتفريغ النفس لذلك فكان ابتداءً بدون سبق.

فكتاب الخازن - إذاً - مختصر من تفسير تقدمه وأما كتاب ابن كثير فقد ألفه ابتداءً وإن كان استفاد من غيره.

([1]) سورة آل عمران آية: (77).

([2]) تفسير القرآن العظيم المقدمة 1|6.

المبحث الخامس: مصادر الإمامين في الكتابين، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: : ذكر الخازن للمصادر وطريقته في العزو إليها.

المطلب الثاني: ذكر ابن كثير للمصادر وطريقته في العزو إليها.

من ذا الذي كُتب له الاستغناء عن المخلوقين وهو منهم؟ ومن الذي يملي العلم من ذات نفسه ولا يستفيد ممن تقدمه أو عاصره؟؛ إن العلم أمانة ألقيت على عواتق الكبار العظماء يتناقلونه فيما بينهم حتى يدفعوه إلى من جاء بعدهم؛ ليتلقاه الخلف عن السلف والجيل الولود عن الأشياخ الجدود؛ فيظل العلم رحماً بين أهله، وقد درج العلماء على هذا النهج من الاستفادة ممن تقدم، والاعتراف بالفضل لمن سبق فتراهم يشحنون كتبهم بالنقل عن غيرهم، ويكثرون من ذكر المصادر التي عليها يعتمدون كل في فنه فيظهر بذلك جمال تآليفهم، وعظيم ما بذلوا من جهد، وكثرة ما طالعوا من مصادر. وصدق من قال: من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله.

والذي يطالع الكتابين المباركين "اللباب" و"تفسير القرآن العظيم" يجد أنهما قد ذكرا الكثير من المصادر، وأحالا إلى كثير من الكتب العُمَد في فنون كثيرة؛ وفي هذا المبحث تعريف بطريقتهما في العزو وذكرهما للمصادر.

المطلب الأول: ذكر الخازن للمصادر وطريقته في العزو إليها:

قد أشار الإمام الخازن – رحمه الله – في المقدمة إلى أن عمدته في هذا الكتاب هو تفسير الإمام البغوي، وأنه محل دراسته لكن في الوقت ذاته لم يكن ليقتصر عليه، وإنما أشار إلى أنه سينقل عن غيره وسيجمع فوائد ما سواه كما قال – رحمه الله - (مع فوائد نقلتها لخصتها من كتب التفاسير المصنفة في سائر علومه المؤلفة ولم أجعل لنفسي تصرفاً سوى النقل والانتخاب مجتنباً حد التطويل والإسهاب) [1].

ولا شك أن الخازن قد بذل جهداً كبيراً في مطالعة المصادر الأخرى ولكنه أهمل ذكر الكثير منها لعل ذلك طلباً منه للاختصار؛ ومن خلال تتبعي للمصادر التي ذكرها

([1]) لباب التأويل المقدمة ص3 دار الكتب العربية الكبرى.

المصنف في كتابه محل دراستي (من سورة مريم إلى آخر سورة سبأ) وكذلك طريقته في العزو إليها تبين لي ما يأتي:

- العمدة الأولى لتفسير الخازن هو "تفسير البغوي" بل هو مختصر منه، وتنقيح له، ولذلك فإن الخازن لا يحتاج إلى الإحالة إليه بديهياً وإنما يحيل عليه إذا انفرد بإسناد حديث أو ما ينقله من أسانيد الثعلبي كما ذكر ذلك في المقدمة قائلاً: **(وما لم أجده في هذه الكتب ووجدت البغوي قد أخرجه بسند له انفرد به قلت: روى البغوي بسنده وما رواه البغوي بإسناد الثعلبي قلت: روى البغوي بإسناد الثعلبي)**[1].

هذا هو الأصل؛ وقد خرج عن هذا الأصل حينما صرح بالإحالة إلى البغوي إذ يقول: **(قال البغوي: وهذه التأويلات لنفي الكذب عن إبراهيم والأولى هو الأول للحديث)**[2][3]. وهذا نادر.

---

(1) المصدر السابق المقدمة ص3 دار الكتب العربية الكبرى.

(2) لباب التأويل 3|263.

(3) كان البغوي – رحمه الله – قد ذكر عدة أوجه عن العلماء في توجيه: { بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا } من سورة الأنبياء - حيث توهم بعض الناس الكذب على الخليل عليه السلام -، وأفاد أن هذه التوجيهات إنما هي لنفي الكذب عن الخليل عليه السلام ولكن الأولى هو الإبقاء على ظاهر النص لحديث أبي هريرة الذي أورده هناك، قال – رحمه الله -: (.....{ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا } غضب من أن تعبدوا معه هذه الصغار وهو أكبر منها فكسرهن، وأراد بذلك إبراهيم إقامة الحجة عليهم، فذلك قوله: { فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ } حتى يخبروا من فعل ذلك بهم.

قال القتيبي: معناه بل فعله كبيرهم إن كانوا ينطقون على سبيل الشرط، فجعل النطق شرطاً للفعل، أي إن قدروا على النطق قدروا على الفعل، فأراهم عجزهم عن النطق، وفي ضمنه أنا فعلت.

وروي عن الكسائي أنه كان يقف عند قوله { بَلْ فَعَلَهُ } ويقول: معناه فعله من فعله، والأول أصح لما روي عن أبي هريرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات، اثنتان منهن في ذات الله، قوله: { إني سقيم }، وقوله: { بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ } وقوله لسارة { هذه أختي })) وقيل في قوله: { إِنِّي سَقِيمٌ } أي سأسقم، وقيل: سقم القلب أي مغتم بضلالتكم، وقوله لسارة: هذه أختي أي في الدين، وهذه التأويلات لنفي الكذب عن إبراهيم، والأولى هو الأول للحديث فيه)؛ هذا ما ذهب إليه البغوي – رحمه الله – انظر تفسيره 5|523 .

ولعل الأقرب أن هذا من باب المعاريض والتوريات ففيها سعة ولو أطلق عليها لفظ الكذب؛ قال الفخر الرازي – رحمه الله -: ....فهو محمول على المعاريض على ما قال عليه السلام (إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب) مفاتيح الغيب 22|161.

قال النووي: ..... فمعناه ان الكذبات المذكورة إنما هي بالنسبة إلى فهم المخاطب والسامع وأما في نفس الامر فليست كذباً مذموماً لوجهين:

أحدهما: أنه ورى بها فقال: في سارة أختي في الإسلام وهو صحيح في باطن الأمر وسنذكر إن شاء الله تعالى تأويل اللفظين الآخرين والوجه الثاني: أنه لو كان كذباً لا تورية فيه لكان جائزاً =

- في إحالة الخازن للكتب التي يستقي منها معلوماته أحياناً يسميها ويبهم أصحابها كما قال: **(قال صاحب الكشاف.....)** [1] وقد يهمل صاحب الكتاب رأساً كما قال: **(وقال في الكشاف .....)**[2]، وأحياناً يذكر المؤلف دون الكتاب وهذا كثير كما قال: **(قال الإمام فخر الدين الرازي.....)**[3] وقوله: **(قال سليمان الخطابي....)**[4] وقوله: **(قال ابن قتيبة....)**[5] وقوله: **(قال القتيبي....)**[6] وقوله: **(أخرجه عبد الرحمن بن**

= في دفع الظالمين وقد اتفق الفقهاء على أنه لو جاء ظالم يطلب إنسانا مختفياً ليقتله أو يطلب وديعة لإنسان ليأخذها غصبا وسأل عن ذلك وجب على من علم ذلك اخفاؤه وإنكار العلم به وهذا كذب جائز بل واجب لكونه في دفع الظالم فنبه النبي - صلى الله عليه و سلم - على أن هذه الكذبات ليست داخلة في مطلق الكذب المذموم قال المازري: وقد تأول بعضهم هذه الكلمات وأخرجها عن كونها كذباً قال: ولا معنى للامتناع من إطلاق لفظٍ أطلقه رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قلت أما إطلاق لفظ الكذب عليها فلا يمتنع لورود الحديث به وأما تأويلها فصحيح لا مانع منه .....) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج 15|123 لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية ، 1392م.

وقد قال الخازن:(.... فإن قلت : قد سماها النبي - صلى الله عليه وسلم - كذبات بقوله: لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات وقال في حديث الشفاعة ويذكر كذباته . قلت : معناه أنه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب ، وإن كان حقاً في الباطن إلا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها أشفق إبراهيم عليه الصلاة والسلام منها بمؤاخذته بها...) اللباب 3|263.

وقال معاصره ابن كثير: (....ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يذم فاعله، حاشا وكلا وإنما أطلق الكذب على هذا تجوزا، وإنما هو من المعاريض في الكلام لمقصد شرعي ديني، كما جاء في الحديث: ((إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب)) تفسير ابن كثير 7|24.

وقال ابن عاشور:(..... فالمراد من الحديث أنها كذبات في بادىء الأمر وأنها عند التأمل يظهر المقصود منها . وذلك أن النهي عن الكذب إنما علته خدع المخاطب وما يتسبب على الخبر المكذوب من جريان الأعمال على اعتبار الواقعُ بخلافه . فإذا كان الخبر يُعقب بالصدق لم يكن ذلك من الكذب بل كان تعريضاً أو مزحاً أو نحوهما. وأما ما ورد في حديث الشفاعة (فيقول إبراهيم : لست هناكم ويذكر كذَبات كذبها) فمعناه أنه يذكر أنه قال كلاماً خِلافاً للواقع بدون إذن من الله بوحي ، ولكنه ارتكب قولَ خلاف الواقع لضرورة الاستدلال بحسب اجتهاده فخشي أن لا يصادف اجتهاده الصواب من مراد الله فخشي عتاب الله فتخلص من ذلك الموقف) التحرير والتنوير 17|101 للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ط : دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - 1997 م.

وبهذا تتوافق الأصول مع ظاهر الآية والحديث، وتتوائم الألفاظ مع المعاني، والوهم والتعارض إنما هما في الأذهان وإلا فكلام الله وحديث رسوله عليه الصلاة والسلام بريئان منهما؛ فرحم الله تلك العقول الراجحة ولا حرمهم مثوبة المحاماة عن الصفوة المختارة عليهم الصلاة والسلام.

(1) لباب التأويل 3|242.
(2) المصدر السابق 3|297.
(3) المصدر السابق 3|250.
(4) المصدر السابق 3|250.
(5) المصدر السابق 3|250.
(6) المصدر السابق 3|414.

حميد الكشي....)[1]، وقوله: **(وقال الزجاج.....)**[2] وقوله: **(وقال ابن الجوزي.....)**[3] وأيضاً قوله: - وقد كرره كثيراً لا سيما في ذكر الغزوات – **(روى محمد بن إسحاق بسنده....)**[4]. وأحياناً يذكر المؤلف ويصرح بكتابه كما قال: **(أخرجه مالك في الموطأ....)**[5]، وقوله: (**أخرجه أبو عبد الله السبع في صحيحه....)**[6].

وقد يبهم المصدر وصاحبه كما قال: **(وفي بعض المسانيد.....)**[7] وقوله: **(ما ذكره بعض المفسرين.....)**[8].

- نقل الخازن الكثير عن كتب السنة ودواوين الإسلام وهو في الغالب يؤخر المصدر فيها إلا ما كان من فعله بالصحيحين فإنه يقدم الرمز لهما؛ لكثرة دورانهما في الكتاب – والله أعلم - وقد يعكس في الأمرين؛ ومن الكتب التي أوردها في كتابه: صحيحا البخاري ومسلم وسنن أبي داوود والنسائي وجامع الترمذي وموطأ مالك.

- هذا ما تيسر الوقوف عليه وذكره من منهج الخازن في المصادر والعزو إليها مما هو ضمن (محل الدراسة) ومن خلاله يتبين أن الخازن لم يكن قد سار على وتيرة واحدة في المراجع.بل ذلك بحسب ما تيسر له إذا ما استثني من ذلك صنيعه بالصحيحين والترميز لهما.

---

[1] لباب التأويل 3|328.

[2] المصدر السابق 3|366.

[3] المصدر السابق 3|393.

[4] المصدر السابق 3|371.

[5] المصدر السابق 3|330.

[6] المصدر السابق 3|342.

[7] المصدر السابق 3|252.

[8] المصدر السابق 3|427.

المطلب الثاني: ذكر ابن كثير للمصادر وطريقته في العزو إليها:

لقد بذل الحافظ ابن كثير – رحمه الله - جهداً كبيراً وطاقة عظيمة في تأليفه لهذا الكتاب المبارك سواء كان ذلك في حسن التصنيف أو في ما اطلع عليه من كتب أهل العلم وأودع دررها كتابه هذا، وإن المتأمل في ثنايا كتابه لا ينقضي عجبه مما بذله الإمام في مطالعة كتب التفسير، والحديث، والعقيدة، والفقه، واللغة، وغير ذلك على أنه صرح بذكر بعضها وأغفل البعض الآخر. ولما كانت دراستي محدودة في تفسيره آثرت ذكر بعض المصادر التي استقى منها الإمام معلوماته وأودعها كتابه التفسير، وكيف تعامل معها وطريقة عزوه إليها ويمكن تلخيص ذلك كما يأتي:

- يذكر ابن كثير – رحمه الله - المؤلف والمصدر أولاً ثم يسرد السند ثم المنقول وهذا هو الغالب لا سيما فيما يتعلق بالمرويات الحديثية والآثار وأمثلته أكثر من أن تحصر ومن ذلك قوله: **(كما قال ابن أبي حاتم في تفسيره: حدثنا أحمد بن سِنَان، حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا شعبة، عن السُّدِّي: أنه سمع مُرَّة يحدث عن عبد الله...)**[1].
- يذكر المؤلف مع السند دون ذكر المصدر كما قال: **(قال أبو بكر بن مَرْدُويه: حدثنا محمد بن علي بن سهل، حدثنا محمد بن حسن الأنماطي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن عَرْعَرَة، حدثنا يزيد بن أبي حكيم، حدثنا الحكم - يعني: ابن أبان - عن عكرمة، عن ابن عباس.....)**[2]
- يذكر المصدر مع مؤلفه – في غير المرويات الحديثية - وقد يهمل اسم المصدر ويكتفي بالمؤلف فمن الأول:

- (قال الإمام أبو نصر إسماعيل بن حَمَّاد الجوهري في كتاب "الصحاح في اللغة".....)[3].

---

(1) تفسير القرآن العظيم 5|411.
(2) المصدر السابق 5|379.
(3) المصدر السابق 6|12.

ومن الثاني:

- (من أشهر ذلك ما رواه ابن عبد البر.....)[1].

وعندما يقدم ذكر المصدر يعبر بقوله: **روى[2] أو ذكر[3] أو قال[4] أو أسند[5] أو نص[6]** وغير ذلك وقد يؤخر المصدر، وقد ينص على الكتاب أو الباب من ذلك المصدر وهذه أمثلة مرتبة:

- (.....ذكره أبو عمر في استيعابه)[7].

- (قال الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، رحمه الله، في كتاب التفسير من سننه.....)[8].

- (وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي في كتابه "الجُمل" في باب النداء منه.....)[9].

ومن خلال هذه النقاط السريعة يظهر عناية ابن كثير بالعزو إلى المصادر بطريقة علمية تتوافق مع العصر الذي كان يعيشه رحمه الله في ظل غياب المطابع التي تضبط أرقام الصفحات.

وأما المصادر التي أشار إليها أو ذكرها في تفسيره (محل البحث) فكثيرة جداً أبدؤها بذكر المتعلق منها بالتفسير لقوة العلاقة بين الكتاب وهذه المصادر.

فإنه لما كان موضوع هذا الكتاب المبارك هو تفسير كتاب الله العزيز كان من البديهي أن يعتني ابن كثير – رحمه الله - بكتب التفسير عناية تفوق ما سواها من

---

(1) تفسير القرآن العظيم 6|325.

(2) المصدر السابق (6|326).

(3) المصدر السابق (5|239)

(4) المصدر السابق (6|12)

(5) المصدر السابق (5|271).

(6) المصدر السابق (5|440).

(7) المصدر السابق (5|272.

(8) المصدر السابق (5|284).

(9) المصدر السابق (6|497).

المصادر وهذا هو الذي صنعه – رحمه الله - ولا غرو فهو مقدم في التفسير مطلع على غالبية كبرى منها وقد جمع بعض الباحثين مصادر ابن كثير في التفسير؛ وإنما سأذكر ههنا ما صرح بأسمائها مما هو محل دراستي؛ وهي كالتالي:

تفسير الإمام ابن جرير الطبري وقد أكثر منه وله عناية بنقل كلامه، وتتبعه، واختياراته واهتمام ملحوظ في ذلك وسيأتي ذلك في ذكر ترجيحاته إن شاء الله.

إضافة إلى تفسير ابن أبي حاتم، وتفسير عبد الرزاق الصنعاني، وابن مردويه، والبغوي، وعبد بن حميد، وأبي جعفر الرازي، وسنيد، وأخيراً التفسير المنسوب إلى الإمام مالك.

وأما من علوم القرآن فالناسخ والمنسوخ لأبي عبيد وهذا الوحيد الذي ذُكر مما هو محل الدراسة وإلا قد ذكر في المقدمة غير ذلك كفضائل القرآن لأبي عبيد، والتبيان للنووي، وشرح الشاطبية لأبي شامة وغيرها.

وأما ما ذكره من كتب العلوم الأخرى فكالتالي:

- كتب السنة: قد أكثر من النقل عن كتب السنة كالصحيحين والسنن الأربعة ومسند الإمام أحمد وأكثر عنه جداً حتى كاد يستوعبه وكذلك تكملة ابنه عبد الله ونقل أيضاً عن غير هذه كمسند الطيالسي، والبزار، والأحاديث المختارة للضياء المقدسي، والمستخرج له، ومسند أبي يعلى، ومعجم الطبراني، ودلائل البيهقي، ومراسيل أبي داوود، ومسند الهيثم بن كليب، وسنن سعيد بن منصور، ومصنف ابن أبي شيبة، والجهاد لأبي داوود، ومشكل الحديث لابن قتيبة، والجامع لآداب الراوي والسامع للخطيب، وعمل اليوم والليلة للنسائي.
- ومن كتب العقيدة والفقه: الرد على الجهمية لأحمد، والقدر للترمذي، وكتاب التوحيد لابن خزيمة، والسنة للالكائي، والأم للشافعي، والاستيعاب لابن عبد البر.
- ومن كتب التاريخ والتراجم: التاريخ للبخارين والإكليل للهمداني، والإنباه على ذكر أصول قبائل الرواة لابن عبد البر، والقصد والأمَمْ له، ومعرفة الصحابة

لأبـي نعـيم، وتـاريخ دمـشق لابـن عـساكر، والعجائـب والغرائـب لابـن المنـذر، والشفاء للقاضي عياض، والسيرة لابن إسحاق.

- ومن كتب الرقاق والأخلاق: مكارم الأخلاق للخرائطي، والتفكر والاعتبار لابن أبي الدنيا، والورع والتقوى والتواضع والخمول له، وفضل الصلاة على النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لإسماعيل بن إسحاق القاضي.
- كما أنه – رحمه الله - نقل من كتب اللغة كالصحاح للجوهري والجمل للزجاجي.

وجمـاع القول أن الحـافظ ابن كثير لـه اهتمـام واضـح بالمصـادر وعزو الأقوال إلـى أصحابها بمنهجية بينة فرحمه الله تتمثل في ذكر المصدروالمؤلف غالباً وربمـا تعدى ذلك إلى ذلك المصدر من باب وفصل ونحوه.

المقارنة:

- المصادر التي استفاد منه الخازن أقل بكثير من تلك التي استفاد منها ابن كثير.
- يبدو أن الخـازن لـم يعتمد طريقـة معينـة فـي العزو وأمـا ابـن كثير وإن تنوعت طرائق في العزو فمردها إلى نمط معين من الاهتمام بذكر المصدر و مؤلفه.

الباب الثاني

المقارنة بين منهجي المؤلفين في كتابيهما من خلال (سورة مريم إلى نهاية سورة سبأ)
وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: وفيه المقارنة بين منهجيهما في التفسير بالمأثور.

الفصل الثاني: وفيه المقارنة بين (اهتمامات الشيخين) في كتابيهما.

الفصل الثالث: وفيه المقارنة بين منهجي الإمامين في سرد تفسير الآيات وصياغة الكلام عليها.

الفصل الأول

منهجهما في التفسير بالمأثور؛ وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

التمهيد: وفيه لمحة يسيرة عن عناية الإمامين بالتفسير بالمأثور والمنهج العام في إيراده وترتيبه.

المبحث الأول: وفيه المقارنة بين منهجيهما في تفسير القرآن بالقرآن.

المبحث الثاني: وفيه المقارنة بين منهجيهما في تفسير القرآن بالسنة.

المبحث الثالث: وفيه المقارنة بين منهجيهما في تفسير القرآن بأقوال - الصحابة رضي الله عنهم - والتابعين.

المبحث الرابع: المقارنة بين موقفيهما من المرويات الإسرائيلية وكيف تسربت إليهما.

الفصل الأول

منهجهما في التفسير بالمأثور

تمهيد

قبل الشروع في تفاصيل هذا المبحث يجدر الإشارة بأن تفسير إمامنا الخازن – رحمه الله - معدود ضمن التفاسير التي فسرت القرآن بالرأي الجائز وليس بالأثر وقد ذكر ذلك العلماء المعتنون بهذا الشأن كالدكتور الذهبي – رحمه الله – في (التفسير والمفسرون).[1] وغيره وقد مرت الإشارة إلى هذا في تمهيد الرسالة.

وعلى أن هذا التفسير معدود بين التفاسير التي فسرت القرآن بالرأي إلا أنه ملئ بالأحاديث والآثار المتعلقة بتفسير الآيات حتى إن الناظر في بعض مباحثه ليصنفه ضمن تفاسير الأثر؛ وهذا مثال على ذلك قال - رحمه الله -: عند تفسير قوله تعالى:

- { إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا } [2] **قال ابن عباس: هم اليهود والنصارى والمشركون فأما اليهود فقالوا: "عزير ابن الله" "ويد الله مغلولة" وقالوا "إن الله فقير ونحن أغنياء" وأما النصارى فقالوا: "المسيح ابن الله" "وثالث ثلاثة" وأما المشركون فقالوا: "الملائكة بنات الله" و"الأصنام شركاؤه"؛ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((يقول الله عز وجل: كذبني ابن آدم، ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته وأما شتمه إياي، فقوله اتخذ ولداً وأنا الأحد الصمد لم يلد، ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد))** [3].

([1]) التفسير والمفسرون 1|220 مكتبة وهبة.

([2]) سورة الأحزاب آية: (57).

([3]) رواه البخاري في كتاب التفسير باب تفسير قوله (قل هو الله أحد) برقم 4690 و4691.

(ق)[1] عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((قال الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي أقلب الليل والنهار)) [2] معنى هذا الحديث: أنه كان من عادة العرب في الجاهلية أن يذموا الدهر ويسبوه عند النوازل، لاعتقادهم أن الذي يصيبهم من أفعال الدهر فقال الله تعالى: أنا الدهر أي أنا الذي أحل بهم النوازل، وأنا فاعل لذلك الذي تنسبونه إلى الدهر في زعمكم، وقيل معنى يؤذون الله يلحدون في أسمائه وصفاته وقيل: هم أصحاب التصاوير.

(ق) عن أبي هريرة قال سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول (قال الله عز وجل: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة وليخلقوا حبة أو شعيرة) [3][4].

فكما هو واضح لكل من نظر في هذه المقطوعة من تفسيره أن هذه المقطوعة أثرية ثرية بالنقل؛ ومن أجل هذا قال الدكتور الذهبي – رحمه الله -: (وهو مكثر من رواية التفسير المأثور إلى حد ما،.....) [5].

ومما يضع المرء في محل قريب من الحق - لو حكم بأن تفسير الخازن تفسير بالمأثور في كثير من مواضعه - أن هذا التفسير القيم إنما هو مختصر من تفسير البغوي والذي عده العلماء وأهل الاختصاص من نوع التفسير بالمأثور؛ فهذا التفسير إذاً يتردد في مواضع متعددة منه بين التفسير بالمأثور والرأي المحمود على ما

---

(1) سيأتي في مبحث التفسير بالسنة: أن هذا من رموز الخازن والتي رمز فيها لما اتفق عليه البخاري ومسلم.

([2]) رواه الشيخان واللفظ للبخاري هكذا (...بيدي الأمر أقلب...) ولمسلم (...بيدى الليل...)؛ أما البخاري ففي كتاب التفسير باب تفسير سورة حم الجاثية برقم 4549 وأما مسلم ففي كتاب الألفاظ من الأدب باب النهي عن سب الدهربرقم: 6000.

([3]) رواه البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: { والله خلقكم وما تعلمون} برقم: 7120. ومسلم في كتاب اللباس والزينة باب (لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة) برقم:5665.

([4]) لباب التأويل 3|477.

([5]) التفسير والمفسرون 1|221.

اصطلح عليه من التفريق بينهما؛ على أن الخازن – رحمه الله - قد أبتعد بكتابه عن التفسير بالمأثور من جهة عدم تعرضه لأحد أركان هذا النوع من التفسير ألا وهو تفسير القرآن بالقرآن فإنه لا يكاد يتناول هذا النوع - على أهميته وعظيم فوائده – إلا في مواضع يسيرة لربما تعد على الأصابع ومن أمثلة ذلك:

- {... إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى} [1] يعني ما يلهم ثم فسر ذلك الإلهام وعدد نعمه عليه فقال: (أن اقذفيه في التابوت ...)[2].

فكما ترى أن الخازن فسر الإيحاء والإلهام في الآية بمضمون الآية التي بعدها وستأتي أمثلة أخرى في مبحث التفسير بالقرآن بحول الله وقوته.

ولم يكن للخازن – رحمه الله – منهج واضح في التفسير بالأثر لا من جهة استيعاب أركانه ولا من جهة ترتيبه؛ فالذي طغا على تفسيره هو التفسير بالرأي المحمود والاختصار والإجمال والاعتناء بذكر العلل والحكم وتتبع المشكلات والإجابة عليها.

- **وأما إمامنا الثاني ابن كثير – رحمه الله – فمن التعسف والتكلف أن تُوضَعَ** له مقدمة في عنايته بالتفسير بالمأثور؛ إذ أن كتابه من أبرز من اعتنى بهذا النوع ومن أحسن من تكلم فيه وقد سار – رحمه الله – في هذا النوع على منهج مرسوم رسمه لنفسه وهو البداءة بتوضيح آي القرآن بما يعين على فهمها من كتاب الله نفسه ثم من سنة نبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - إن وجد ثم من آثار الصحابة والتابعين ومضى – رحمه الله - على هذا المنهج تنظيراً وتطبيقاً؛ فقد قرر ذلك في مقدمة كتابه أحسن وأبين تقرير إذ يقول: (فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟

فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يُفَسَّر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِل في مكان فإنه قد فُسِّر في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، رحمه الله: كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن. قال الله تعالى: {**إِنَّا أَنزَلْنَا**

([1]) سورة طه آية: (38).

([2]) لباب التأويل 3|238.

إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا} [1]، وقال تعالى: {**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نزلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** } [2] ، وقال تعالى: {**وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**} [3].

ولهذا قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : ((ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه)) [4] يعني: السنة. والسنة أيضًا تنزل عليه بالوحي، كما ينزل القرآن؛ إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن، وقد استدل الإمام الشافعي، رحمه الله وغيره من الأئمة على ذلك بأدلة كثيرة ليس هذا موضع ذلك.

والغرض أنك تطلب تفسيرَ القرآن منه، فإن لم تجدْه فمن السنة، كما قال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - لمعاذ - رضي الله عنه - حين بعثه إلى اليمن: ((بم تحكم؟ قال: بكتاب الله. قال: فإن لم تجد؟ قال: بسنة رسول الله. قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد برأيي. قال: فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره، وقال: الحمد لله الذي وفَّق رَسُولَ رسولِ الله لما يرضى رسول الله)) [5] وهذا الحديث في المسانيد والسنن بإسناد جيد، كما هو مقرر في موضعه.

وحينئذ، إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم،

([1]) سورة النساء آية: (105)

([2]) سورة النحل آية: (44).

([3]) سورة النحل آية: (64).

([4]) رواه أحمد 28|410 برقم:17174.

([5]) رواه احمد في المسند 36|333 برقم:22007، وأبو داوود في كتاب الأقضية باب اجْتِهَادِ الرَّأى فِى القَضَاءِ برقم: 3495. والترمذي في كتاب البيوع باب ما جاء في القاضي كيف يقضي برقم: 1327.

كالأئمة الأربعة والخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، وعبد الله بن مسعود، رضي الله عنه[1].

وقد عمل – رحمه الله - جاهداً على تطبيق هذا التأصيل وسار عليه ما أمكنه ذلك وواتته قريحته؛ فلا تكاد تمر به آية إلا وذكر شواهدها وأشباهها من كتاب الله - عز وجل - ثم ينتقل إلى السنة الشريفة ثم إلى الآثار المروية والمتعلقة بالآية وهذه أمثلة على صنيعه من مواضع مختلفة من تفسيره (محل الدراسة).

- وقوله: {وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ}[2] كقوله تعالى: في سورة {لا أقسم بيوم القيامة} { لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ } [3]، وثبت في الصحيح عن ابن عباس؛ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم – ((كان يعالج من الوحي شدّة، فكان مما يحرّك لسانه، فأنزل الله هذه الآية)) [4] يعني: أنه، عليه السلام، كان إذا جاءه جبريل بالوحي، كلما قال جبريل آية قالها معه، من شدّة حرصه على حفظ القرآن، فأرشده الله تعالى إلى ما هو الأسهل والأخف في حقه؛ لئلا يشق عليه. فقال: { لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ } [5] أي: أن نجمعه في صدرك، ثم تقرأه على الناس من غير أن تنسى منه شيئًا، { فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ } [6] وقال في هذه الآية: { وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ

([1]) انظر تفسير القرآن العظيم 1|7 ، ومجموع فتاوى شيخه ابن تيمية 13|364، ط: دار ابن القاسم.

(2) سورة طه آية: (114).

([3]) سورة القيامة آية: (16-19).

([4]) رواه البخاري في كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم – برقم: 5.

([5]) سورة القيامة آية: (16_17).

([6]) سورة القيامة آية: (18_19).

وَحْيُهُ } [1] أي: بل أنصت، فإذا فرغ الملك من قراءته عليك فاقرأه بعده، { وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا } أي: زدني منك علمًا.

قال ابن عُيَيْنَة - رحمه الله-: ولم يزل - صلى الله عليه وسلم - في زيادة من العلم حتى توفاه الله عز وجل [2].

وقد أفاض وتوسع في ذلك عند قوله سبحانه **{إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}** [3] حيث قال:

- هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها، فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها؛ فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب، { لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إلا هُوَ} [4] وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ومَنْ شاء الله من خلقه. وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه الله تعالى سواه، ولكن إذا أمر بكونه ذكرا أو أنثى، أو شقيا أو سعيدا علم الملائكة الموكلون بذلك، ومَنْ شاء الله من خلقه. وكذلك لا تدري نفس ماذا تكسب غدا في دنياها وأخراها، { وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ } [5] في بلدها أو غيره من أي بلاد الله كان، لا علم لأحد بذلك. وهذه شبيهة بقوله تعالى: { وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إلا هُو} الآية[6]، وقد وردت السنة بتسمية هذه الخمس: مفاتيح الغيب.

قال الإمام أحمد: حدثنا زيد بن الحباب، حدثني حسين بن واقد، حدثني عبد الله بن بُرَيدة، سمعت أبي -بُرَيدة - يقول: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يقول:

([1]) سورة طه آية: (114).

([2]) تفسير القرآن العظيم 5|319.

([3]) سورة لقمان آية: (34).

([4]) سورة الأعراف: (187).

([5]) سورة لقمان آية: (34).

([6]) سورة الأنعام آية: (59).

((خمس لا يعلمهن إلا الله عز وجل: { إِنَّ اللَّـهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ })) [1].

هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجوه.

وأخذ يسرد الأحاديث المتعلقة بذلك في توسع، فما إن انتهى منها حتى أتى على الآثار فقال: **(وقال ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد: جاء رجل من أهل البادية فقال: ((إن امرأتي حبلى، فأخبرني ما تلد؟ وبلادنا جَدبَةٌ، فأخبرني متى ينزل الغيث؟ وقد عَلمتُ متى وُلدتُ فأخبرني متى أموت؟ فأنزل الله عز وجل: {إِنَّ اللَّـهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ}، إلى قوله: { إِنَّ اللَّـهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}. قال مجاهد: وهي مفاتيح الغيب التي قال الله تعالى: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إلا هُوَ}))** [2] **رواه ابن أبي حاتم**[3]**، وابن جرير**[4]**.**

وقال الشعبي، عن مسروق، عن عائشة، رضي الله عنها، أنها قالت: ((مَنْ حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت: {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا})) [5]**.** [6]

فهذا المنهج هو الأصل في تفسيره – رحمه الله – إذا توفر لديه ما يتعلق بالآية من أنواع التفسير بالمأثور وقد يقتصر- أحياناً - على ما تجود به قريحته أو ما وجد من متعلقات الآية فأحياناً يقتصر على تفسير القرآن بمثله فقط كما فعل عند قوله تعالى: { **وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**} [7] قال:

([1]) رواه أحمد في المسند 38|90 برقم: 22986.

([2]) سورة الأنعام آية: (59).

([3]) تفسير ابن أبي حاتم 9|3101.

([4]) جامع البيان في تأويل القرآن 20|160: لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ، 1420 هـ - 2000 م.

([5]) جامع البيان 21|56.

([6]) تفسير القرآن العظيم 6|352 وما بعدها.

([7]) سورة الروم آية (19).

- وقوله: {وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا } كقوله: {وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون } [1] وقال: {وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ . ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ } [2] وقال: {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } [3] ولهذا قال هاهنا: {وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ} [4].

{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [5][6].

وأحياناً يكتفي بتوضيح الآية بالكتاب والسنة فقط كما فعل عند قول تعالى:

- {لَعَلَّكَ تَرْضَى} [7] قال: { لَعَلَّكَ تَرْضَى} كما قال تعالى: {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى} [8].

وفي الصحيح: يقول الله: ((يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك؟ فيقول:

([1]) سورة يس آية: (33، 34).

([2]) سورة الحج آية: (5 -7).

([3]) سورة الأعراف آية: (57).

([4]) سورة الروم آية: (19).

([5]) سورة الروم آية: (21).

([6]) تفسير القرآن العظيم 6|308.

([7]) سورة طه آية: (130).

([8]) سورة الضحى آية: (5).

إني أعطيكم أفضل من ذلك. فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدًا)) [1].

وفي الحديث الآخر يقال: ((يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعدا يريد أن يُنْجزكُمُوه. فيقولون: وما هو ؟ ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويزحزحنا عن النار، ويدخلنا الجنة؟ فيكشف الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم خيرًا من النظر إليه، وهي الزيادة)) [2][3].

وأحياناً أخرى يكتفي بذكر الآثار الواردة عن السلف كما قال في تفسير {**تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ**} [4]

- قال: وقال الضحاك: { تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ } أي: يتشققن فرَقًا من عظمة الله. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: {وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ } أي: غضبًا لله، عز وجل. {وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا} قال ابن عباس: هدمًا.

وقال سعيد بن جبير: { هَدًّا } ينكسر بعضها على بعض متتابعات.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عبد الله بن سُوَيْد المقبري، حدثنا سفيان بن عيينة، حدثنا مسعر، عن عون بن عبد الله قال: ((إن الجبل لينادي الجبل باسمه: يا فلان، هل مر بك اليوم ذاكرُ الله عز وجل ؟ فيقول: نعم، ويستبشر . قال عون: لهي للخير أسمع، أفيسمعن الزور والباطل إذا قيل ولا يسمعن غيره، ثم قرأ: { تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا })) [5] [6].

([1]) رواه البخاري في كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار برقم: 6183.

([2]) رواه أحمد في المسند 38|403 برقم: 18177. وابن ماجه في المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية برقم: 187 بألفاظ متقاربة.

([3]) تفسير القرآن العظيم 5|326

([4]) سورة مريم آية: (90).

([5]) رواه الطبراني في المعجم الكبير 9|103 برقم: 8542.

([6]) تفسير القرآن العظيم 5|266.

وأما طريقته في سردها وترتيبها فهو يراعي الترتيب المنطقي الشرعي في إيرادها فيبدأ بتفسير الآيات بآيات مشابهة لها في المعنى أو موضحة لها أو متعلقة بها ثم يثني بالأحاديث عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ثم بآثار الصحابة فالتابعين

وقد يخالف هذا الترتيب على قلة لحاجة أو لسبب يقتضيه المقام ولا يكاد يفعل هذا إلا لسبب يعرف من خلال تدبر سياق كلامه والنظر في إيراده النصوص وقد حاولت الوقوف عند هذه القضية فرأيت من صنيعه – رحمه الله – الشيء العجيب فمن ذلك:

- أنه قدم حديثاً على آية أراد بذلك تفسير لفظة في الآية بالحديث قبل تفسيرها بمثيلاتها من كتاب الله عز وجل وذلك عند قوله تعالى: {**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ**} [1] قال:

- **(هذا تنبيه من الله، عز وجل، على اقتراب الساعة ودنوها، وأن الناس في غفلة عنها، أي: لا يعملون لها، ولا يستعدون من أجلها.وقال النسائي: حدثنا أحمد بن نصر، حدثنا هشام بن عبد الملك أبو الوليد الطيالسي، حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((**{فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ} قال: في الدنيا**)) [2].**

فبعد إيراده لهذا الحديث والذي أورده من أجل بيان معنى الغفلة عاد ليفسر الآية بآيات مشابهة لها فقال: **....وقال تعالى: { أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ}** [3] **، وقال تعالى : {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ}** [4][5]

وأحياناً يقدم الأثر على الحديث لسبب يقتضيه المقام وقد أكثر من هذا الصنيع إلى حد ما، فمن ذلك تمثيلاً لا حصراً أنه لما ذكر آثار السلف فيما يتعلق بذي الكفل أورد

([1]) سورة الأنبياء آية: (1).

([2]) رواه النسائي في السنن الكبرى كتاب التفسير باب قوله تعالى: {وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها} برقم: 11332.

([3]) سورة النحل آية: (1).

(4) سورة القمر آية: (1،2).

([5]) تفسير القرآن العظيم 5|331.

بعدها حديثاً مرفوعاً لكن بلفظ (الكفل) فلعل تأخيره للحديث لأجل أن لفظه كان أبعد لمعنى الآية من ألفاظ السلف المصرحة بذي الكفل ومن أجل ذلك قال في نهاية تعليقه على الحديث:

- هكذا وقع في هذه الرواية الكفل، من غير إضافة، فالله أعلم. وهذا الحديث لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة وإسناده غريب، وعلى كل تقدير فلفظ الحديث إن كان الكفل، ولم يقل: ذو الكفل ، فلعله رجل آخر، والله أعلم [1].

- ومما يزيد في توضيح ذلك أنه قد يورد الحديث مُؤخَراً عن الأثر لأن إيراد الحديث كان من أجل تأييد معنى في الأثر المذكور قبله كما فعل عند قوله تعالى: { **فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ** } [2] قال – رحمه الله -:

- (وقال الأعمش، عن أبي ظِبْيَان، عن ابن عباس في قوله: (({ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ}، قال: قيام على ثلاث قوائم، معقولة يدُها اليسرى، يقول: بسم الله والله أكبر، اللهم منك ولك)) [3]. وكذلك روى مجاهد، وعلي بن أبي طلحة، والعَوْفي، عن ابن عباس، نحو هذا.

وقال ليث. عن مجاهد: ((إذا عُقلت رجلها اليسرى قامت على ثلاث)) . ورَوَى ابن أبي نَجِيح، عنه، نحوه. وقال الضحاك: ((تُعقل رجل واحدة فتكون على ثلاث)) .

فبعد إيراده لهذه الآثار ذكر حديث الصحيحين وما ذكره - والله أعلم - إلا ليبين أن ما ذكر في الآثار من كيفية الذبح هو صحيح قد ورد به الحديث ولكن لم يوجد في الحديث لفظ الصواف فلهذا أخره. فقال: **وفي الصحيحين عن ابن عمر: ((أنه أتى**

([1]) تفسير القرآن العظيم 5|365.

([2]) سورة الحج آية: (36).

([3]) رواه ابن أبي حاتم في التفسير 8|2494 برقم: 14776، تحقيق: أسعد محمد الطيب ط: المكتبة العصرية – صيدا، وكذلك رواه الطبري في التفسير 35|632-633، تحقيق: أحمد محمد شاكر ط: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ، 1420 هـ - 2000 م. ورواه غيرهما بزيادات أخرى.

على رجل قد أناخ بَدَنته وهو ينحرها، فقال: ابعثها قيامًا مقيدة سنة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم)) [1] [2].

وقد يقدم أثر التابعي على الأثر المروي عن الصحابي لعلة أيضاً كما فعل عند قوله سبحانه {**وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ**} [3] فإنه قال:

- **(قال ابن جُرَيج: قال عطاء في قوله: {وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ}، قال: البقرة، والبعير. وكذا رُوي عن ابن عمر، وسعيد بن المسيب، والحسن.** فكما ترى أنه قدم قول عطاء على قول ابن عمر رضي الله عنه؛ ولعل السبب في ذلك أن المروي عن ابن عمر رضي الله عنه لم يكن عنده مقطوع الصحة فقد عبر عنه بقوله (روي) وهي من صيغ التمريض (التضعيف) والله أعلم[4].

المقارنة:

- الأصل في تفسير الخازن – رحمه الله - أنه تفسير بالرأي ويتعرض للتفسير بالآثار كثيراً أما ابن كثير - رحمه الله - فإن الأصل في تفسيره هو التفسير بالمأثور وله فيه عناية فائقة.
- لم يلتزم الخازن ترتيباً معيناً في هذا الباب، (باب التفسير بالمأثور) على عكس ما انتهجه ابن كثير في السير على منهج واحد في الترتيب إذا ما استثني من ذلك مواضع خالف فيها لسبب.
- ليس للخازن عناية كبيرة بتفسير القرآن بالقرآن؛ وهذا خالفه فيه ابن كثير والذي أبدع في هذا الباب وفاق وسما؛ فإنه حشد من الآيات حول كل موضوع يريده ما يصعب الاستدراك عليه بآية واحدة.

([1]) رواه البخاري في كتاب الحج باب نحر الإبل مقيدة برقم: 1627، ومسلم في كتاب الحج باب نحر البدن قياما مقيدة برقم: 3255.

([2]) تفسير القرآن العظيم 5|427.

([3]) سورة الحج آية: (36).

([4]) تفسير القرآن العظيم 5|425.

- للخازن اهتمام كبير بالتفسير بالسنة والأثر وقد ضرب فيها بسهم لكنه لم يبلغ ما بلغه ابن كثير في الكثرة والاستيعاب والاستقصاء.
- يهمل الخازن الإسناد بخلاف ابن كثير فله عناية خاصة بالإسناد حتى ليخيل للرآئي فيه أنه كتاب حديثي.
- لا يعول الخازن في الغالب على ذكر المصادر، ولا يعزو غالباً – إذا استثني من ذلك المرويات الحديثية - وعلى العكس منه ابن كثير فإنه غالباً ما يذكر مصادر الروايات والآثار ويعزوها إلى أصحابها.

المبحث الأول: المقارنة بين منهجيهما في تفسير القرآن بالقرآن

بعد هذه اللمحة التمهيدية عن المنهج العام عند الإمامين فيما يتعلق بالتفسير بالمأثور آن الخوض في معرفة هذا النوع من التفسير في منهجي الإمامين على سبيل التفصيل والبسط وذلك بذكر كل فرع من فروع التفسير بالمأثور على حدة، والمقارنة بينهما فيه. ومبتدأ ذلك التفسير بالقرآن الكريم وآياته المحكمة.

*** كما تقدم أن الخازن – رحمه الله – كان مقلاً من هذا النوع من التفسير** وأن ذلك كان نادراً في تفسيره، وأنه لم يورد إلا مواضع يسيرة في كتابه إلا أنها مع قلتها قد تنوعت عنده وتغايرت في الأسلوب؛ فتارة يورد الآيات المتشابهات بقصد التدليل على معنى ذكره من دفع توهم أو رد شبهة كما قال:

- وقوله تعالى { لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى } [1] **أي يتعظ ويخاف ويسلم فإن قلت: كيف قال: { لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ} وقد سبق في علمه أنه لا يتذكر ولا يسلم.**

قلت: معناه اذهبا على رجاء منكما وطمع وقضاء الله وراء أمركما، وقيل هو إلزام الحجة وقطع المعذرة كقوله تعالى: { وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ....} [2].

وتارة ليربط بينها كما فعل عند قوله:

- {... كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا } [3] **أي مطلوباً وذلك أن المؤمنين سألوا ربهم في الدنيا حين قالوا: { رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً }** [4] **وقالوا { رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ }** [5] **يقول: كان إعطاء الله المؤمنين جنة وعداً،**

([1]) سورة طه آية: (44)

([2]) لباب التأويل 3|239.

([3]) سورة الفرقان آية: (16).

([4]) سورة البقرة آية: (16)

([5]) سورة آل عمران آية: (194).

وعدهم على طاعتهم إياه في الدنيا ومسألتهم إياه ذلك الوعد وقيل الطلبة من الملائكة للمؤمنين وذلك قولهم {ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم} [1] [2].

وتارة يشير إلى تفسير الآية بما بعدها وقد ذكر ذلك في عدة مواضع:

1- **{... إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى} [3] يعني ما يُلْهم ثم فسر ذلك الإلهام وعدد نعمه عليه فقال {أن اقذفيه في التابوت ...} [4].**

2- **قوله عز وجل {ولوطاً إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة} أي الفعلة القبيحة {ما سبقكم بها من أحد من العالمين} أي لم يفعلها أحد من قبلكم ثم فسر الفاحشة فقال { أئنكم لتأتون الرجال} [5] يعني أنكم تقضون الشهوة من الرجال)...[6].**

3- **...{آية} أي دلالة على وحدانيتنا وقدرتنا ثم فسر الآية فقال تعالى: {جنتان} [7] أي بستانان {عن يمين وشمال...} [8].**

فهذا ما تكلم به الخازن – رحمه الله – فيما يتعلق بتفسير القرآن بالقرآن وهو كمٌ ضئيل جداً بالنسبة لما ذكره معاصره ابن كثير فرحمهما الله جميعاً.

وتذييلاً على ما سبق فقد ذكر بعض أهل العلم: أن القراءة القرآنية للآية الواحدة بمنزلة الآية المستقلة؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية[9] – رحمه الله -: (ومن القراءات ما يكون المعنى فيها متفقًا من وجه متبايناً من وجه، كقوله : { **يخدعون** } و {

([1]) سورة غافر آية: (8).

([2]) لباب التأويل 3|345.

([3]) سورة طه آية: (38).

([4]) لباب التأويل 3|238.

([5]) سورة العنكبوت آية: (29).

([6]) لباب التأويل3|430.

([7]) سورة سبأ آية: (15).

([8]) لباب التأويل3|486.

([9]) هو شيخ الإسلام: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، النميري الحراني. انظر ترجمته في (العقود الدرية) ص25 لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي تحقيق: محمد حامد الفقي. ط: دار الكاتب العربي – بيروت.

يُخَادِعُونَ }[1] [2] و { **يكذبون** } [3] و { **يكذّبون** } [4] و{ **لَمَسْتُم**} [5] و{ **لامستم** } [6] و { **حَتَّىَ يَطْهُرْنَ** } [7] و { **يطَّهَّرن** } [8] ونحو ذلك فهذه القراءات التي يتغاير فيها المعنى كلها حق، وكل قراءة منها مع القراءة الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها، واتباع ما تضمنته من المعنى علما وعملاً، لا يجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى؛ ظنًا أن ذلك تعارض، بل كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: من كفر بحرف منه فقد كفر به كله)[9][10].

وقال الإمام ابن الجزري[11] – رحمه الله –: (وكل ما صح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من ذلك فقد وجب قبوله ولم يسع أحداً من الأمة رده ولزم الإيمان به

([1]) قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو. والباقون بغير ألف مع فتح الياء والدال. انظر التيسير في القراءات السبع ص(59) لأبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو الداني دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة: الثانية 1404هـ1984م.

([2]) سورة البقرة آية: (9).

([3]) قراءة عاصم وحمزة والكسائي والباقون بضمها مشدداً. التيسير(60).

([4]) سورة البقرة آية: (10).

([5]) حمزة والكسائي بغير ألف والباقون بالألف. التيسير (73).

([6]) سورة النساء آية: (43).

([7]) شعبة وحمزة والكسائي بفتح الطاء والهاء مع تشديدهما والباقون باسكان الطاء وضم الهاء. التيسير (64).

([8]) سورة البقرة آية: (222).

(9) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة 1|258، تحقيق أحمد بن سعد الغامدي، ط: دار طيبة، الرياض السعودية.

([10]) مجموع الفتاوى 13|391.

([11]) هو: الحافظ المقرئ شيخ الإقراء في زمانه شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد ابن علي بن يوسف الدمشقي الشافعي. ذيل التذكرة، ص376 للسيوطي، ط: دار الكتب العلمية.

وأن كله منزل من عند الله إذ كل قراءة منها مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها واتباع ما تضمنته من المعنى علماً وعملاً)[1].

وبناء على هذا التقرير فإن مما يدخل تحت تفسير القرآن بمثله التفسير بالقراءات القرآنية. هذا وقد ذكر الخازن – رحمه الله – من ذلك كماً لا بأس به تجاوز عشرة مواضع، ومنهجه في ذلك أنه يذكر القراءة أحياناً لبيان معانيها وتوجيهها كقوله:

- قوله عز وجل: {واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً} [2] قرئ بكسر اللام[3] أي أخلص العبادة، والطاعة لله تعالى ولم يراء وقرئ بالفتح أي مختاراً اختاره الله تعالى ثم استخلصه واصطفاه)[4].

وكقوله أيضاً في سورة (طه):

- {لن تخلفه} [5] قرئ بكسر اللام[6] ومعناه لن تغيب عنه ولا مذهب لك عنه بل توافيه يوم القيامة، وقرئ بالفتح أي لن تكذبه ولم يخلفكه الله بل يكافئك على فعلك [7]. وقد يفيض في توجيه القراءة ويبني على ذلك المعنى المراد منها فقد قال – رحمه الله في قوله تعالى-:

- { غَيْر أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَال } [8] قرئ غير بنصب الراء[9] قال هو بمعنى الاستثناء ومعناه يبدين زينتهن للتابعين إلا ذا الإربة منهم فإنهن لا يبدين زينتهن

([1]) النشر في القراءات العشر 1|51 أشرف على تصحيح: علي محمد الضباع دار الكتب العلمية بيروت- لبنان.

([2]) سورة مريم آية: (51).

([3]) قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر و قرأ أهل الكوفة عاصم وحمزة والكسائي بالفتح. التيسير (102).

([4]) لباب التاويل 3|223.

([5]) سورة طه آية: (97).

([6]) قراءة ابن كثير وابي عمرو، والباقون بفتحها. التيسير (104).

([7]) لباب التاويل 3|246.

([8]) سورة النور آية: (31).

([9]) قراءة شعبة وابن عامر والباقون بجرها. التيسير (108).

لمن كان منهم ذا إربة وقرئ غير بالجر على نعت التابعين والإربة والأرب الحاجة والمراد بالتابعين غير أولي الأربة هم الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم لا همة لهم إلا ذلك ولا حاجة لهم في النساء) [1].

وربما يكتفي بذكر القراءة فقط وبدون تعليق، أو شرح فقد قال: - رحمه الله – في قوله تعالى:

- {ولا تصاعر} [2] قرئ تصعر[3].... [4].

وأما ذكره للقراءات الشواذ فقليل جداً ربما يذكرها ليؤيد بها معنى ذكره عند تفسير الآية، كما فعل عند قوله تعالى:

- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [5] وقال الأكثرون يقدم السلام فيقول سلام عليكم أأدخل وتقدير حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا وكذا هو في مصحف ابن مسعود[6] [7].

هذا مجمل القول فيما يتعلق باهتمام الخازن – رحمه الله – بشأن التفسير بالقرآن والقراءات.

([1]) لباب التاويل 3|327.

([2]) سورة لقمان آية: (18)

([3]) قراءة ابن كثير وعاصم وابن عامر والباقون بالألف وتخفيف العين. التيسير (116).

([4]) لباب التاويل 3|440.

([5]) سورة النور آية 27.

(6) هو مصحف اختصه – رضي الله عنه- لنفسه ورتبه ترتيباً معيناً فيه بعض الاختلافات عن مصحفنا اليوم. انظر تفسير القرآن العظيم 1|48، ومناهل العرفان 1|353.

([7]) لباب التاويل 3|325.

- **والآن مع ابن كثير– رحمه الله– وكيف كانت عنايته بتفسير القرآن بالقرآن.**

لقد اعتنى ابن كثير – رحمه الله - بهذا الباب عناية فائقة حتى كان من أبرز من تكلم فيه ومن أحسنهم استحضاراً؛ وقد ظهر ذلك في تفسيره بما لا يدع مجالاً للشك أو الريب؛ علاوة على ما قرر ذلك في مقدمة تفسيره – رحمه الله – من أن هذا النوع من التفسير هو أحسن أنواع التفسير، ومما يزيد توكيد ذلك أنه لم يزل يقرر هذا الأصل حتى في ثنايا كتابه إشادة منه بأهمية هذا النوع واهتمامه به يقول – رحمه الله-:

- وأقرب الأقوال في ذلك ما رواه العَوْفِيّ، عن ابن عباس في قوله: {وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ } [1] ، قال: ((المعين الماء الجاري))[2]، وهو النهر الذي قال الله تعالى: {قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا } [3].

وكذا قال الضحاك، وقتادة: { **إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ** }: هو بيت المقدس. فهذا والله أعلم هو الأظهر؛ لأنه المذكور في الآية الأخرى. والقرآن يفسر بعضه بعضاً. وهو أولى ما يفسر به، ثم الأحاديث الصحيحة، ثم الآثار [4].

وقال – عند قوله تعالى: { **وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ** } - :

- وأحسن ما يفسّر بما بعده وهو قوله: {الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} [5].

والمتأمل في هذا الكتاب المبارك لا يكاد ينقضي عجبه؛ وذلك لشدة استحضار هذا الإمام للآيات القرآنية المتشابهة والمتماثلة في المعنى وهذا الأمر واضح جداً في الكتاب، وطاغ عليه، ولعلي أنقل بعض المواضع التي تدل بقوة على قوة استحضاره وجمعه، وتنسيقه؛ لتكون كالمقدمة بين يدي عناية هذا الإمام بهذا النوع من التفسير فمن ذلك قوله:

([1]) سورة الأنبياء آية: (50)

(2) رواه الطبري في التفسير 19|39.

([3]) سورة مريم آية: (24).

([4]) تفسير القرآن العظيم 5|477.

([5]) المصدر السابق 5|425.

- وقوله: { وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا} [1] نصب على التمييز، أي: هو عالم بكل شيء، {أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} [2]،{ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا } [3] ، فلا { يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ } [4] ، {وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } [5] {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } [6] والآيات في هذا كثيرة جدًّا[7].

وقال أيضاً:

- قال الله تعالى: { لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلا عَنْ ظُهُورِهِمْ } [8] أي: لو تيقنوا أنها واقعة بهم لا محالة لما استعجلوا، به ولو يعلمون حين يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم، {لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ} [9]، {لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ} [10]، وقال في هذه الآية: {حِينَ لا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلا عَنْ ظُهُورِهِمْ } وقال: { سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ } [11] ، فالعذاب محيط بهم من جميع جهاتهم، {وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ } أي: لا ناصر لهم كما قال: {وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ } [12][13].

([1]) سورة طه آية:(98).

([2]) سورة الطلاق آية: (12).

([3]) سورة الجن آية: (28)

([4]) سورة سبأ: (3).

([5]) سورة الأنعام آية: (59).

([6]) سورة هود: آية: (6)

([7]) تفسير القرآن العظيم 5|314.

([8]) سورة الأنبياء آية: (39).

([9]) سورة الزمر آية: (16).

([10]) سورة الأعراف آية: (41)

([11]) سورة إبراهيم آية: (50).

([12]) سورة الرعد آية: (34).

([13]) تفسير القرآن العظيم 5|343.

وقال كذلك:

- وقوله: { ثَانِيَ عِطْفِهِ } [1] قال ابن عباس وغيره: مستكبرًا عن الحق إذا دعي إليه. وقال مجاهد، وقتادة، ومالك عن زيد بن أسلم: { ثَانِيَ عِطْفِهِ} أي: لاوي عنقه، وهي رقبته، يعني: يعرض عما يدعى إليه من الحق رقبَته استكبارًا، كقوله تعالى: {وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ . فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ} [2]، وقال تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا } [3] وقال: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ} [4]: وقال لقمان لابنه: {وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاس} [5] أي: تميله عنهم استكبارًا عليهم، وقال تعالى: { وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [6][7].

وقال – في قوله تعالى -:

- { حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [8]. يخبر تعالى عن حال المحتضر عند الموت، من الكافرين أو المفرطين في أمر الله تعالى، وقيلهم عند ذلك، وسؤالهم الرجعة إلى الدنيا، ليصلح ما كان أفسده في مدة حياته؛ ولهذا قال: {رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلا } [9] كما قال تعالى: {وَأَنْفِقُوا مِنْ

([1]) سورة الحج آية: (9).

([2]) سورة الذاريات آية: (38-39).

([3]) سورة النساء آية: (61).

([4]) سورة المنافقون: (5).

([5]) سورة لقمان آية: (18).

([6]) سورة لقمان آية: (18).

([7]) تفسير القرآن العظيم (5|399).

([8]) سورة المؤمنون آية: (100).

([9]) سورة المؤمنون آية: (99 ، 100).

مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ . وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [1]**، وقال تعالى: {وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ}** [2] **، وقال تعالى: { يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ }** [3] **، وقال تعالى: { وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ}** [4] **، وقال تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ }** [5] **، وقال تعالى: { وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ }** [6] **، وقال تعالى: { قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ }** [7] **، وقال تعالى: { وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ }** [8][9]**.**

([1]) سورة المنافقون آية: (10 ، 11).

([2]) سورة إبراهيم آية: (44).

([3]) سورة الأعراف آية: (53).

([4]) سورة السجدة آية: (12).

([5]) سورة الأنعام آية: (27 ، 28).

([6]) سورة الشورى آية:(44).

([7]) سورة غافر آية: (11، 12).

([8]) سورة فاطر آية : (37).

([9]) تفسير القرآن العظيم 5|493.

والأمثلة في ذلك كثيرة جداً فالمقصود أن هذا الإمام قوي الاستحضار حسن الإيراد لكأنما القرآن بين عينيه يأخذ منه ما شاء على ما يشاء.

هذا وقد تنوعت طرائقه في هذا النوع من التفسير فأحياناً يورد ما يماثل الآية في اللفظ أو المعنى كما مر. وأحياناً يورد الآية ليستشهد بها على المعنى المراد عنده كما قال عند قوله تعالى:

- { يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ} [1] أي: لا تطعه في عبادتك هذه الأصنام، فإنه هو الداعي إلى ذلك، والراضي به، كما قال تعالى: { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ } [2] وقال: { إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلا شَيْطَانًا مَرِيدًا } [3][4].

وأحيانا يورد الآية من أجل بيان معنى لفظة في الآية المراد تفسيرها كما قال في قوله تعالى:

- {ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا} [5]. قال العَوْفي، عن ابن عباس: يعني: قعودا كقوله: { وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً } [6] [7].

وقد يورد الآية من أجل بيان معنى حرف قال –رحمه الله - عند قوله تعالى:

- { ثُمَّ اهْتَدَى } [8]. وثم هاهنا لترتيب الخبر على الخبر، كقوله: { ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بالْمَرْحَمَةِ} [9] [10].

([1]) سورة مريم آية: (44).

([2]) سورة يس آية: (60).

([3]) سورة النساء آية: (117).

(4) تفسير القرآن العظيم 5|235.

([5]) سورة مريم آية: (68).

([6]) سورة الجاثية آية: (28).

([7]) تفسير القرآن العظيم 5|251.

([8]) سورة طه آية: (82).

([9]) سورة البلد آية: (17).

([10]) تفسير القرآن العظيم 5|309.

ومن حسن صنيعه – رحمه الله - في هذا النوع من التفسير أنه يربط الآيات بعضها ببعض بطريقة تجعل المعنى أجلى وأوضح للناظر فيها، وكثيراً ما يصنع هذا فعلى سبيل التمثيل حينما أتى على قوله تعالى: {**سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي** } [1] قال:

- أي: ولكن سأسال الله تعالى فيك أن يهديك ويغفر ذنبك، { إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا } ....إلى أن قال: **....وقد استغفر إبراهيم لأبيه مدة طويلة، وبعد أن هاجر إلى الشام وبنا المسجد الحرام، وبعد أن ولد له إسماعيل وإسحاق، عليهما السلام، في قوله: { رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ }** [2].

وقد استغفر المسلمون لقراباتهم وأهليهم من المشركين في ابتداء الإسلام، وذلك اقتداء بإبراهيم الخليل في ذلك حتى أنزل الله تعالى: { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} [3] **الآية ، يعني إلا في هذا القول، فلا تتأسوا به. ثم بين تعالى أن إبراهيم أقلع عن ذلك، ورجع عنه، فقال تعالى: { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ}** [4] [5].

ومن ذلك أنه يأتي إلى معنى الآية بكل ما يماثلها أو يقاربها في المعنى ويحشد الآيات بطريقة عجيبة كما فعل عند قول الله تعالى: {**وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**} [6] قال:

([1]) سورة مريم آية: (47)

([2]) سورة إبراهيم آية: (41).

([3]) سورة الممتحنة آية: (4).

([4]) سورة التوبة آية : (113).

([5]) تفسير القرآن العظيم 5|237.

([6]) سورة الروم آية: (19).

- كقولـه: { وآيـة لهـم الأرض الميتـة أحييناهـا وأخرجنـا منهـا حبـا فمنـه يـأكلون . وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنـا فيهـا من العيون } [1]، وقـال: {وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ . ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُور} [2]، وقال: { وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [3]؛ ولهذا قال هاهنا: { وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ}.

{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)} [4][5].

فكما هو ملاحظ فابن كثير أودع في كتابه من هذا النوع من التفسير الشيء الكثير بحيث لا يدع للقارئ فيه أدنى شك في تقدمه وسبقه وعلو كعبه في هذا الشأن.

وتذييلاً على ما سبق أذكر هاهنا اهتمام الحافظ ابن كثير – رحمه الله - في القراءات كما فعلت ذلك في منهج الخازن رحمهما الله جميعاً.

الحافظ ابن كثير – رحمه الله – وإن لم يستوعب الكثير من المواضع المتعلقة بالقراءات القرآنية إلا أنه قد ذكر كماً هائلاً تجاوز به عشرين موضعاً تنوعت أساليبه وطرائقه في ذكرها؛ فتارة يذكر القراءات المتعلقة بالآية المراد تفسيرها ويبدأ بشرح كل قراءة على حده مبيناً معناها مستدلاً لها كما فعل في قوله تعالى:

([1]) سورة يس آية: (33، 34).

([2]) سورة الحج آية: (5 -7)

([3]) سورة الأعراف آية: (57).

([4]) سورة الروم آية: (21).

([5]) تفسير القرآن العظيم 6|308.

- {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا} [1]. قال: قرأ بعضهم[2] بكسر اللام، من الإخلاص في العبادة.

قال الثوري، عن عبد العزيز بن رُفَيع، عن أبي لبابة قال: قال الحواريون: ((يا روح الله، أخبرنا عن المخلص لله. قال: الذي يعمل لله، لا يحب أن يحمده الناس)) [3].

وقرأ الآخرون بفتحها، بمعنى أنه كان مصطفى، كما قال تعالى: {إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاس} [4][5].

وأحياناً أخرى يذكر القراءة ثم يطلب توجيهها والشواهد عليها؛ قال:

- عند قوله تعالى:{ لأوتَيَنَّ مَالا وَوَلَدًا } [6] قرأ بعضهم[7] بفتح الواو من {ولدا} وقرأ آخرون بضمها، وهو بمعناه، قال رؤبة:

الحمْدُ للهِ العزيز فَرْدًا لَمْ يتخذ مِنْ وُلْد شيء وُلْدا

وقال الحارث بن حلزة:

وَلَقد رأيتُ معَاشـــرًا قد تـــــــمرُوا مالا وَوِلْدا

وقال الشاعر:

فَلَيت فُلانًا كانَ في بَطْن أمه وَليتَ فُلانًا كان وُلْد حِمَار

وقيل: إن الوُلْد بالضم جمع، والوَلَد بالفتح مفرد، وهي لغة قيس، والله أعلم [8].

([1]) سورة مريم آية:(51).

([2]) قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر و قرأ أهل الكوفة عاصم وحمزة والكسائي بالفتح. التيسير (102).

([3]) رواه ابن أبي حاتم في التفسير 1|246. برقم: 1317.

([4]) سورة الأعراف آية: (144).

([5]) تفسير القرآن العظيم 5|237.

([6]) سورة مريم آية: (77).

([7]) قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وعاصم وقرأ حمزة والكسائي بضم الواو وإسكان اللام. انظر التيسير (102).

([8]) تفسير القرآن العظيم 5|260.

ومثال آخر: ذكره عند قوله تعالى: **{ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ}** [1]. قال – رحمه الله -:

- ومن قرأ من القُرَّاء[2] (يُسَبَّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ) - بفتح الباء من يُسبح على أنه مبني لما لم يسم فاعله - وقف على قوله: {والآصَالِ } وقفًا تامًا، وابتدأ بقوله: {رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ} وكأنه مفسر للفاعل المحذوف، كما قال الشاعر:

لِيُبْكَ يزيدُ، ضارعٌ لخُصُومة ومُخْتَبِطٌ مما تُطيح الطّوَائحُ[3]

كأنه قال: من يبكيه؟ قال: هذا يبكيه. وكأنه قيل: من يسبح له فيها؟ قال: رجال. وأما على قراءة مَنْ قرأ: { يسبِّح } - بكسر الباء - فجعله فعلاً وفاعله: {رِجَالٌ } فلا يحسن الوقف إلا على الفاعل؛ لأنه تمام الكلام[4].

كما أن ابن كثير – رحمه الله - لا يقف عند حد التوجيه وتفسير المعنى بل يغوص متأملاً في ما يترتب على القراءة ويمعن النظر فيها؛ فإنه لما ذكر القراءة الشاذة المتعلقة بقوله تعالى: **{الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا}** [5] وهي: **{الَّذِينَ يَأْتُونَ مَا أَتَوْا }** - بدون مد الهمز - قال بعدها:

- .....والمعنى على القراءة الأولى - وهي قراءة الجمهور: السبعة[6] وغيرهم - أظهر؛ لأنه قال: { أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}، فجعلهم من

([1]) سورة النور آية: (36).

([2]) ابن عامر وشعبة بفتح الباء والباقون بكسرها ينظر التيسير (109).

([3]) الضارع: الخاضع المستكن من الضراعة وهي الخضوع والتذلل والمختبط: الذي يأتيك للمعروف من غير وسيلة، والطوائح: جمع مطيحة وهي القواذف. كلها بتصرف من معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (1|203) لعبد الرحيم بن أحمد العباسي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: عالم الكتب، بيروت، 1367هـ 1947م.

([4]) نفسير ابن كثير 6|67.

([5]) سورة المؤمنون آية:

([6]) أي القراء السبعة: نافع المدني وابن كثير المكي وأبو عمرو البصري وابن عامر الشامي وعاصم الكوفي وحمزة الكوفي والكسائي الكوفي. انظر التيسير ص (3) وما بعدها.

السابقين. ولو كان المعنى على القراءة الأخرى لأوشك ألا يكونوا من السابقين، بل من المقتصدين أو المقصرين، والله تعالى أعلم [1].

وأما اختياره للقراءة وتقديم بعضها على بعض فلم يكن هذا من صنيعه – رحمه الله - بل قصارى ما يفعله أن يبين أيّ القراءة أظهر في الإعراب كما ظهر ذلك من صنيعه في سورة مريم عند قوله تعالى: { **قَوْلَ الْحَقِّ** } [2] قال:

- ولهذا قرأ الأكثرون[3]: قول الحق برفع قول. وقرأ عاصم، وعبد الله بن عامر: {قَوْلَ الْحَقِّ}.

وعن ابن مسعود أنه قرأ: ذلك عيسى ابن مريم قالُ الحق[4]، والرفع أظهر إعرابًا، ويشهد له قوله تعالى: (الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ)[5] [6].

على أنه قد يكتفي بذكر القراءة فقط وبدون أي تعليق وأقرب مثال عليه:

- (فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ)[7]، وقرأ آخرون: {بعد بين أسفارنا} [8][9].

وقد يورد القراءة الشاذة ويحتفل بها ويبين وجهها ومن أمثلة ذلك عند قوله تعالى:

- {يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ} [10]. قال: ثم إن قراءة الجمهور بنصب {الْحَقَّ} على أنه صفة لدينهم، وقرأ مجاهد بالرفع، على أنه نعت الجلالة.

([1])نفسير ابن كثير 5|481.

([2]) سورة مريم آية: (60).

([3]) وهم نافع وابن كثير وأبو عمر وحمزة والكسائي. انظر التيسير (109).

([4]) البحر المحيط (6|187).

([5]) سورة آل عمران آية: (59 ، 60).

([6]) تفسير القرآن العظيم 5|230.

([7]) سورة سبأ آية: (19).

([8]) قراءة ابن كثير وأبي عمرو وهشام بتشديد العين من غير ألف والباقون بالألف مع التخفيف. انظر التيسير (118).

([9]) تفسير القرآن العظيم 6|509.

([10]) سورة النور آية: (25).

وقرأها بعض السلف في مصحف أبي بن كعب: يومئذ يوفيهم الله الحقّ دينهم[1] [2].

بل لربما أوردها لتقوية معنى ذكره من أقوال المفسرين كم صنع تحت قول الله سبحانه: - {**وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ** } [3] فقد أورد آثاراً كثيرة في أن المعنى غفور لهن (أي للمُكَرهات) والإثم على من أكرههن؛ ثم أعقب ذلك بقوله:

- وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرْعَة، حدثنا يحيى بن عبد الله، حدثني ابن لَهيعَة، حدثني عطاء، عن سعيد بن جُبَيْر قال: في قراءة عبد الله بن مسعود: {فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ لَهُنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} وإثمهن على من أكرههن[4].

وفي الحديث المرفوع[5]، عن - رسول الله صلى الله عليه وسلم - أنه قال: ((رُفِع عن أمَّتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه)) [6] [7].

المقارنة:

- الإمام الخازن أهمل تفسير القرآن بالقرآن إلا في مواضع يسيرة جداً لا يمكن لها أن تنافس في هذا المضمار؛ بخلاف الحافظ ابن كثير فقد أبدع في هذا الباب وجاء به على أجمل وأكمل الوجوه مع حسن استحضار وجمال ترتيب.
- قد ضرب الإمام الخازن بسهم في مجال القراءات وتكلم عليها بكلام حسن لكنه لم يستوعب ولم يأت بما أتى به ابن كثير؛ أما الحافظ ابن كثير وإن لم يستوعب

([1]) ذكر هذه القراءات الشاذة الطبري في التفسير (12|141).

([2]) تفسير القرآن العظيم 6|34.

([3]) سورة النور آية: (33).

([4]) رواه ابن أبي حاتم في التفسير8|2592 برقم: 14536 بتقديم وتأخير طفيف.

([5]) الحديث الذي: أضيف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة. انظر التقييد والإيضاح: للعراقي 725 - 806 هـ تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط: المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1389هـ/1969م.

([6]) رواه ابن ماجه كتاب الطلاق باب طلاق المكره والناسي برقم: 2045.

([7]) تفسير القرآن العظيم 6|56.

في باب القراءات إلا إنه جاء بكثير من المهمات التي يحتاج إليها المفسر والتي لها علاقة مباشرة بالآية وتزيد في توضيحها مع كثرة وحسن إيراد.

- كل من الشيخين تكلم على القراءات الشاذة بكلام يسير وإن كان ابن كثير يحتفل بها أحياناً.
- كل من الشيخين اهتم بتوجيه القراءات.
- كل من الشيخين لم يفضل قراءة على أخرى.
- كل من الشيخين أهملا نسبة القراءة إلى قائليها إذا استثني من ذلك مواضع يسيرة.

المبحث الثاني: المقارنة بين منهجيهما في تفسير القرآن بالسنة

للسنة عند العلماء وأهل الاصطلاح عدة إطلاقات؛ فتارة تطلق ويراد بها العقيدة كما هي عناوين كثير من كتب المتقدمين[1] وقد يراد بها ما يقابل البدعة[2]؛ وتارة تطلق ويراد بها طريق النبي – صلى الله عليه وعلى آله وسلم [3] وتطلق عند الفقهاء والأصوليين ويراد بها ما يقابل الواجب[4] وكذلك المصدر التشريعي الثاني وهذا الإطلاق هو المراد ههنا؛ فالسنة هي المصدر الثاني في التشريع الإسلامي وهي في اصطلاح العلماء: ما صدر من الرسول - صلى الله عليه وسلم - من الأقوال والأفعال والتقرير[5]. وهي بذلك تكون مرادفة للحديث عند المحدثين مع فرق يسير ليس هو مقصوداً ههنا.

وهذا النوع من التفسير هو النوع الثاني من أنواع التفسير بالمأثور وهو من الأهمية بمكان؛ ذلك أن الله تعالى لما أنزل على نبيه – صلى الله عليه وآله وسلم – القرآن آتاه معه الحكمة التي هي السنة لتكون شارحة للقرآن مبينة لمعانيه موضحة لمراد الرب تبارك وتعالى وقد أشار النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – إلى هذا المعنى بقوله: ((ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السبع، ولا لقطة معاهد، إلا أن يستغني عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه؛ فإن لم يقروه فله أن يعقبهم[6]

([1]) ككتاب (السنة) لعبد الله بن الإمام احمد و(السنة) للخلال وغيرها كثير.

([2]) البحر المحيط في أصول الفقه(4|163)، لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، حرره عمر سليمان الأشقر ط: وزارة الأوقاف الكويتية، دار الصفوة 1409هـ - 1988م

([3]) المصدر السابق (4|163).

([4]) المصدر السابق (4|163).

([5]) انظر المصدر السابق (4|163).

([6]) أي يأخذ منهم عِوَضاً عمَّا حرَمُوه من القِرَى . وهذا في المضْطَرّ الذي لا يَجدُ طعاماً ويخاف على نفسه التَّلَفَ. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر (3|269) لأبي السعادات المبارك بن=

بمثل قراه))[1]؛ قال ابن القيم[2]- رحمه الله -: (وهذا هو السنة بلا شك)[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -: (فإن قال قائل : فما أحسن طريق التفسير؟ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له) ...إلى أن قال:.....(والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه فإن لم تجده فمن السنة كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: ((بم تحكم ؟ قال بكتاب الله قال: فإن لم تجد ؟ قال بسنة رسول الله قال فإن لم تجد ؟ قال أجتهد رأيي قال: فضرب رسول الله صلى الله عليه و سلم في صدره وقال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي الله)) وهذا الحديث في المساند والسنن بإسناد جيد) [4].

قال السيوطي[5] – رحمه الله – (قال العلماء من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولاً من القرآن فما أجمل منه في مكان فقد فسر في موضع آخر وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر منه) [6].

= محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، ط: مؤسسة التاريخ العربي - بيروت.

([1]) سنن أبي داوود كتاب السنة (باب لزوم السنة) برقم: 4606.

([2]) الشيخ الإمام العلامة: شمس الدين محمد ين أبي بكر بن أيوب الزرعي، المعروف بابن قيم الجوزية ت|751. انظر ترجمته في البداية والنهاية 14|270.

([3]) التبيان في أقسام القرآن 1|153، طبعة: دار الفكر.

([4]) مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية تحقيق :د. عدنان زرزور ط: الطبعة الثانية 1392-1972م. والحديث تقدم تخريجه في ص 78

([5]) الحافظ: جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن ابن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين أبي بكر ابن عثمان بن محمد بن خضر بن أيوب بن محمد بن الشيخ همام الدين الخضيري السيوطي الشافعي انظر شذرات الذهب (10|74).

([6]) الإتقان 6|2274.

ونقولات أهل العلم في أهمية التفسير بالسنة أكثر من أن تورد في هذا المكان وإنما المقصود ههنا هو النظر فيما انتهجه الإمامان الخازن وابن كثير – رحمهما الله - في هذا الباب وعنايتهما به.

- **أما الإمام الخازن – رحمه الله – وبالرغم من أن تفسيره معدود ضـــــــمن** التفسير بالرأي المحمود إلا أنه لم يهمل النظر في السنة والاستدلال بها وإيرادها بقصد توضيح معاني الآيات ولا عجب في ذلك إذا علم أنه قد وصف بالمحدث[1] وأنه قد انتخب تفسيره من كتاب محدث ومفسر في آن واحد قد ملء تفسيره بالحديث والأثر رواية بأسانيدها.

ذلك هو الإمام البغوي - رحمه الله -؛ ثم إن الخازن – رحمه الله – قد ذكر منهجاً سار عليه في بيان القرآن بالسنة لمزيد من العناية بها والاهتمام بشأنها قال: - رحمه الله - (....فما أوردت فيه من الأحاديث النبوية والأخبار المصطفوية على تفسير آية أو بيان حكم - فإن الكتاب يطلب بيانه من السنة وعليهما مدار الشرع وأحكام الدين - عزوته إلى مخرجه وبينت اسم ناقله وجعلت عوض كل اسم حرفاً يعرف به ليهون على الطالب طلبه فما كان من صحيح أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري فعلامته قبل ذكر اسم الصحابي الراوي للحديث (خ) وما كان من صحيح أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري فعلامته (م) وما كان مما اتفقا عليه فعلامته (ق) وما كان من كتب السنن أبي داوود والترمذي والنسائي فإني أذكر اسمه بغير علامة وما لم أجده في هذه الكتب ووجدت البغوي قد أخرجه بسند له انفرد به قلت روى البغوي بسنده وما رواه البغوي بإسناد الثعلبي[2] قلت روى البغوي بإسناد الثعلبي وما كان فيه من أحاديث زائدة وألفاظ متغيرة فاعتمده[3] فإني اجتهدت في

([1]) انظر ص من هذا الرسالة.

([2]) المفسر المشهور: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري ؛ كان أوحد زمانه في علم التفسير ت| 427. انظر وفيات الأعيان 1|79، لابن خلكان تحقيق : إحسان عباس، ط: دار صادر – بيروت.

(3) كذا في المطبوع بهمزة وصلية والأقرب للسياق فأعتمده بهمزة قطعية.

تصحيح ما أخرجته من الكتب المعتبرة عند العلماء كالجمع بين الصحيحين[1] للحميدي[2] وكتاب جامع الأصول[3] لابن الأثير الجزري[4] ثم إني عوضت عن حذف الإسناد شرح غريب الحديث وما يتعلق به) [5].

ومن خلال هذه المقدمة المتعلقة بالحديث يمكن تلخيص منهج الخازن – رحمه الله – في نقاط:

- عزو الحديث إلى مخرجه.
- وضع رمز مكان المخرج للحديث؛ وهي: (خ) للبخاري و(م) لمسلم و(ق) لما اتفقا عليه وما عدا ذلك يصرح باسمه.
- ما انفرد به البغوي صرح بقوله: (رواه البغوي بسنده) وكذلك ما رواه عن طريق الثعلبي يقول فيه: (رواه البغوي بإسناد الثعلبي).
- تصحيح ما يجده من ألفاظ أو مفردات متغايرة في الحديث بالرجوع إلى مصادر معتمدة كالجمع بين الصحيحين ونحوه.
- التعويض عن ذكر الإسناد بشرح الغريب.

وإذا ما تتبع القارئ هذه النقاط من خلال تفسيره – رحمه الله - وجد ذلك مطبقاً واضحاً بيّن الوضوح؛ فأما عزوه الحديث إلى مخرجه فكثير جداً؛ وهذا مثال يجمع كثيراً من معاني النقاط السابقة:

وهو ما ذكره في بداية تفسير سورة المؤمنون؛ قال – رحمه الله -:

---

(1) مطبوع متداول ، طبعة: دار ابن حزم .

(2) الإمام محمد بن فتوح أبي نصر بن عبد الله بن فتوح بن حميد أبو عبد الله الحميدي الأندلسي الحافظ انظر تاريخ دمشق 55|77.

(3) مطبوع متداول منه طبعة: دار الفكر، ودار البيان.

(4) الإمام: المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد مجد الدين أبو السعادات الشيباني الجزري الشافعي، المعروف بابن الأثير صاحب جامع الاصول والنهاية، ت|606. انظر البداية والنهاية 13|65.

(5) لباب التأويل المقدمة ص3 دار الكتب العربية الكبرى.

- ..... (ق) عن عائشة قالت : ((سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الالتفات في الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد)) [1] الاختلاس هو الاختطاف، عن أبي ذر عن النبيّ - صلى الله عليه وسلم - قال : ((لا يزال الله مقبلاً على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت فإذا التفت انصرف عنه)) وفي رواية (أعرض عنه) أخرجه أبو داوود[2] والنسائي[3].

وقيل الخشوع هو أن لا يرفع بصره إلى السماء (خ) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم فاشتد قوله في ذلك حتى قال: لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم)) [4].

وقال – رحمه الله- **.....وقيل الخشوع هو أن لا يعبث بشيء من جسده في الصلاة لما روي أن النبيّ - صلى الله عليه وسلم – ((أبصر رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة فقال: لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه)) ذكره البغوي بغير سند[5]. عن أبي ذر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يمسح الحصى فإن الرحمة تواجهه)) أخرجه أبو داوود[6] والترمذي[7] والنسائي[8] . وقيل**

([1]) رواه في البخاري كتاب صفة الصلاة باب الالتفات في الصلاة برقم: 718 وقد ذكره الحميدي من أفراد البخاري. انظر الجمع بين الصحيحين 4|152 برقم: 38 عن مسروق بن الأجدع. تحقيق : د. علي حسين البواب، دار النشر و دار ابن حزم – لبنان، بيروت الطبعة: الثانية، 1423هـ - 2002م.

([2]) كتاب الصلاة باب باب الالْتِفَاتِ فِى الصَّلاَةِ. برقم: 910.

([3]) كتاب صفة الصلاة باب التشديد في الالتفات في الصلاة برقم: 1118.

([4]) رواه البخاري في كتاب صفة الصلاة باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة برقم: 171.

([5]) رواه البغوي في معالم التنزيل 5|409.

([6]) كتاب الصلاة باب في مسح الحصى في الصلاة برقم: 946

([7]) أبواب الصلاة باب ما جاء في كراهية مسح الحصى في الصلاة برقم: 379.

([8]) كتاب صفة الصلاة باب النهي عن مسح الحصى في الصلاة برقم: 1191.

الخشوع في الصلاة هو جمع الهمة والإعراض عمّا سوى الله والتدبر فيما يجري على لسانه من القراءة والذكر[1].

وقال - عند قوله سبحانه -:

-{ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ } [2] أي قريب يشفع لنا، يقول ذلك الكفار حين يشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون، والصديق هو الصادق في المودة مع موافقة الدين عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه سلم - يقول: ((إن الرجل يقول في الجنة ما فعل بصديقي فلان وصديقه في الجحيم، فيقول الله عز وجل أخرجوا له صديقه إلى الجنة، فيقول من بقي فما لنا من شافعين ولا صديق حميم)) رواه البغوي بإسناد الثعلبي[3][4].

وأما شرحه لألفاظ الحديث الذي يورده فالأمثلة كثيرة جداً وهذا مثال يجمع رمز الإمام مسلم مع شرح الغريب؛ قال - رحمه الله -:

- (م) عن أبي موسى قال: كان النبي - صلى الله عليه وسلم – يسمي، لنا نفسه أسماء فقال ((أنا محمد وأنا أحمد وأنا المقفي وأنا الماحي ونبي التوبة ونبي الرحمة)) [5] المقفي هو المولى الذاهب، يعني آخر الأنبياء المتبع لهم فإذا قفي فلا نبي بعده [6].

وأما تصحيح الألفاظ فلم أظفر به في (محل الدراسة) وهو موجود في غيرها.

([1]) لباب التأويل (3|300).

([2]) سورة الشعراء آية: (101).

([3]) لباب التأويل (3|366).

([4]) رواه الثعلبي في (الكشف والبيان) (7|172)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة: الأستاذ نظير الساعدي، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - 1422 هـ - 2002 م، الطبعة: الأولى؛ وهو في (معالم التنزيل) (6|120) للبغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، ط: دار طيبة، الطبعة: الرابعة 1417 هـ - 1997 م.

([5]) رواه مسلم في كتاب الفضائل باب في أسمائه صلى الله عليه وعلى آله وسلم برقم: 6254.

([6]) لباب التأويل 3|470.

ومع تطبيقه لهذه النقاط التي ضمنها مقدمته إلا أنه قد يخرج عنها أحياناً لا سيما في ذكر من أخرج الحديث؛ فكثيراً ما يورد أحاديث لا زمام لها ولا خطام بدون مصدر ولا راوٍ قال – رحمه الله -:

- قيل للنبي - صلى الله عليه وسلم - متى كنت نبياً قال: ((كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد)) [1][2].

وقال:

-.... وفي الخبر ((لو وقع مقمع من حديد في الأرض ثم اجتمع عليه الثقلان ما أقلوه من الأرض)) [3][4].

والأمثلة من ذلك كثيرة.

ومما يخالف به بعض النقاط المتقدمة أيضاً، - لكن على وجه الندور - التصريح بمن وعد بأن يرمز له، كما قال في نهاية روايته لحديث الإفك:

- هذا حديث متفق على صحته أخرجاه في الصحيحين[5].

والناظر في كتاب الخازن - رحمه الله – يجد أن له عناية بالسنة وإيرادها؛ وطريقة إيراده لها في الغالب بذكر الراوي الأعلى (الصحابي) وقبله رمز من أخرجه إن كان في الصحيحين أو أحدهما؛ أما ما أخرجه غيرهما كالنسائي والترمذي فإنه يؤخر ذلك ويصرح به. وهو مع هذا يختصر ما يذكره البغوي من السند ويكتفي بعزوه إليه مع التنبيه إن أخرجه بدون سند.

([1]) رواه ابن أبي شيبة في كتاب المغازي باب ما جاء في مبعث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم برقم: 37708.

([2]) لباب التأويل 3|220.

([3]) رواه الحاكم في كتاب الأهوال، برقم: 8773 بلفظ (لو أن مقمعاً...) ولفظ الخازن تابع فيه البغوي في التقسير5|375 إلا أن في تفسير البغوي: (لو وضع.....) والحديث فيه دراج عن أبي الهيثم، وقد ضعف الألباني في الجامع الصغير 1|1028 برقم:10278 والأرنؤوط في تحقيق المسند 17|334 برقم: 11233.

([4]) لباب التأويل 3|285.

([5]) لباب التأويل 3|320.

هذا منهجه العام المتوافق مع مقدمته؛ وهو بذلك لا يلحق بابن كثير كما سيأتي من عنايته بالحديث وإسناده والحكم عليه.

وأما الحكم على الحديث فإنه لا يعتني به؛ ولربما ذكر ذلك عرضاً؛ يفعل ذلك في مواضع يسيرة وبعبارة مختصرة كما قال في سورة سبأ:

- وقد صح في الحديث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((كان داوود عليه السلام لا يأكل إلا من عمل يده)) [1] [2].

ولعل السبب في ذلك هو اعتماده على الإحالة إلى المصدر وركونه إلى أن غالب ما في الكتب التي أحال عليها صحيح؛ لا أدل على ذلك من تنحيته لسنن ابن ماجه ؛ لما فيه من أحاديث ضعيفة كثيرة والله أعلم.

وأن ما يذكره عن البغوي والثعلبي يكفي فيه الإحالة على أسانيدهما من الكتاب المختصر "معالم التنزيل"؛ ولكن يشكل على هذا الاعتذار أنه لا يتوافق مع الأحاديث التي يوردها ولم يذكر لها مصدراً ولا مخرجاً إلا أن يكون قصد بتلك الأحاديث كونها من فضائل الأعمال والله أعلم.

والإمام الخازن – رحمه الله - كثيراً ما يمضي في تفسيره بدون ذكر أي حديث لا من قريب ولا من بعيد بل يكتفي بذكر المعنى العام للآية أو أقوال المفسرين، ثم يأتي إلى بعض المواضع ليشعر الناظر فيه أن كتابه كتاب تفسير بالمأثور أكثر منه بالرأي وذلك من كثرة ما يسرد من أدلة وأحاديث، كما فعل عند تفسير لقوله تعالى: **{ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا }** [3][4]، وقد يسرد الحديث بطوله ثم يتفرغ لشرحه وبيان

([1]) رواه البخاري في كتاب البيوع باب كسب الرجل وعمله بيده برقم: 1976.

([2]) لباب التأويل 3|483.

([3]) سورة مريم: (71).

([4]) (لباب التأويل) (3|227).

معانيه، مثل ما فعل في إيراد **حديث الإفك**[1]، و**قصة يأجوج ومأجوج**[2]؛ ومع ما يطيل من سرد الأحديث فلا يبلغ مبلغ ابن كثير – رحمهما الله جميعاً – يظهر ذلك جلياً في حديث الفتون؛ فإن ابن كثير ذكره كله في أكثر من صفحة وذكره الخازن بأسطر يسيرة [3].

ثم إن الخازن – رحمه الله – قد يورد الحديث لعلاقة له بالآية المراد تفسيرها ولو لم يكن نصاً في تفسيرها بل لعلاقة قريبة، أو بعيدة، فمن الأول:

- إيراده حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: **((إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما)) أخرجه الترمذي[4].**

أورده عند قوله تعالى **{ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا }**[5][6] وذلك لوجود الدرجات العلى في كل من الآية و الحديث.

- ومن الثاني إيراده حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: **((سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة)) أخرجه مسلم[7].** أورده عند قوله تعالى: {**وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ**} [8] [9].

([1]) لباب التأويل 3|318 وما بعدها، وحديث الإفك: هي القصة التي روي فيها تجني المنافقين على الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وتبرئة الله لها في كتابه وقد ذكرها الخازن كاملة هناك.

([2]) لباب التأويل 3|276.

([3]) لباب التأويل 3|238 وتفسير القرآن العظيم 5|285.

([4]) كتاب المناقب باب مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه برقم: 3658.

([5]) سورة طه آية: (75).

([6]) لباب التأويل 3|243.

([7]) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب ما في الدنيا ن أنهار الجنة برقم: 7340.

(8) سورة المؤمنون آية: (18).

([9]) لباب التأويل 3|302.

والعلاقة ههنا إنزال الماء وكون سيحان وجيحان من الجنة من العلو وهي بعيدة عن ظاهر معنى الآية كما هو ظاهر بل يحتاج المرء مع ذلك إلى إعمال فكر وتدبر.

ومن طريقته – رحمه الله – أنه لا يلتزم ترتيباً معيناً كما هو الحال عند ابن كثر – رحمه الله – على ما سيأتي – إن شاء الله - بل تارة يأتي بالحديث مباشرة بعد المقطع المراد تفسيره أو بعد كلمات يسيرة من تفسير المقطع؛ فأحياناً يقدم الحديث وأحياناً يؤخره وهكذا الشأن مع الأثر فتارة يقدم الحديث عليه وأخرى يقدمه على الحديث.

- فمن الأول - ما ذكره عند قوله سبحانه -: **{أخرجنا لهم من دابة الأرض}**[1] **(م) عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم – قال: ((بادروا بالأعمال قبل ست: طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخويصة أحدكم وأمر العامة))** [2][3].

- ومن الثاني – ما ذكره عند قوله سبحانه -: **{ يُصَبُّ مِنْ فَوْق رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ } أي الماء الحار الذي انتهت حرارته {يصهر به} أي يذاب بالحميم الذي يصب من فوق رؤوسهم {ما في بطونهم} من الشحوم والأحشاء {والجلود} عن أبي هريرة أنّ رسول الله _ صلى الله عليه وسلم – قال: ((إنّ الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ حتى يخلص إلى جوف أحدهم، فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان)) أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن غريب صحيح**[4][5].

---

(1) سورة النمل آية: (82).

(2) رواه مسلم بلفظ (بادروا بالأعمال ستاً....) كتاب الفتن وأشراط الساعة باب فى بقية من أحاديث الدجال برقم: 7584- 7585.

(3) لباب التاويل3|392.

(4) كتاب صفة جهنم باب ما جاء في صفة شراب أهل النار برقم: 2582.

(5) لباب التأويل 3|285.

- ومثال تقديم الحديث على الأثر والذي هو الترتيب المنطقي؛ ما ذكره عند قوله تعالى: **{وَمِنَ النَّاسِ من يشْتري لَهْوَ الحَديثِ....}** [1] قال بعد ذكره لأسباب نزولها:

- ....وقيل هو شراء القينات والمغنين، ومعنى الآية: ومن الناس من يشتري ذات لهو أو ذا لهو الحديث؛ وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن وأثمانهن حرام) وفي مثل ذلك نزلت هذه الآية: {ومن الناس من يشتري لهو ليضل عن سبيل الله} وما من رجل يرفع صوته بالغناء إلا بعث الله له شيطانين أحدهما: على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذي يسكت))[2] أخرجه الترمذي وهذا لفظه عن أبي أسامة[3] أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم – قال: ((لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن، ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام)) وفي مثل هذا نزلت { وَمِنَ النَّاسِ من يشْتري لَهْوَ الحَديثِ } الآية[4]، وعن أبي هريرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((نهى عن ثمن الكلب وكسب المزمار))[5] وقال مكحول من اشترى جارية ضرابة ليمسكها لغنائها وضربها مقيماً عليه حتى يموت لم أصل عليه إن الله تعالى يقول: {ومن الناس من يشتري لهو الحديث} الآية. وعن أبي مسعود وابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا: لهو الحديث هو الغناء والآية نزلت فيه ومعنى تشتري يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن.

([1]) سورة لقمان آية: (6).

([2]) رواه الثعلبي في (الكشف والبيان) (7|310) وبإسناده رواه البغوي في التفسير (6|284).

([3]) تنبيه:

وقع الحديث في طبعات تفسير الخازن التي بين يدي: من رواية أبي أسامة وليس كذلك إنما هو من رواية أبي أمامة.

([4]) رواه الترمذي في كتاب البيوع باب ما جاء في كراهية بيع المغنيات برقم: 1282. وقال عَقِبهُ: قال أبو عيسى: حديث أبي أمامة إنما نعرفه مثل هذا من هذا الوجه وقد تكلم بعض أهل العلم في علي بن يزيد وضعفه وهو شامي.

([5]) رواه البغوي بلفظ: (.....وكسب الزمارة) في التفسير (6|284).

وقال أبو الصهباء: سألت ابن مسعود عن هذه الآية فقال: ((هو الغناء والله الذي لا إله إلا هو يرددها ثلاث مرات))[1] وقال إبراهيم النخعي الغناء ينبت النفاق[2].

وقد يقدم الأثر المروي عن الصحابي على الحديث مثل:

- {والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً} قال: هذا وصف لليلهم، والمعنى يبيتون لربهم في الليل بالصلاة سجداً على وجوههم وقياماً على أقدامهم.

قال ابن عباس: ((من صلّى بعد العشاء الأخيرة ركعتين أو أكثر فقد بات لله ساجداً وقائماً)) [3] **(م) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف الليل ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة))** [4][5].

بل لربما قدم قول من دون الصحابي من التابعين فمن بعدهم على الحديث كما ذكر ذلك عند قوله سبحانه:

- { وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا } [6] **أي يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات، وقيل معناه يعملون ما عملوا من أعمال البر { وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ } أي خائفة أن ذلك لا ينجيهم من عذاب الله وأنّ أعمالهم لا تقبل منهم { أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ } أي إنهم يوقنون أنهم إلى الله صائرون.**

قال الحسن: عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا أن ترد عليهم، عن عائشة قالت: ((قلت يا رسول الله {والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة} هم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال: (لا يا بنت الصدّيق ولكنهم الذي يصومون

([1]) رواه الطبري في التفسير (20|127). وذكره البغوي في التفسير (6|284) بغير سند.

([2]) (لباب التأويل) (3|438).

(3) هكذا ذكره البغوي بدون إسناد 6|94 ولم أجده مسنداً إلى الساعة.

([4]) رواه مسلم بلفظ (فكأنما قام نصف الليل.....) في كتاب المساجد باب فضل صلاة العشاء والصبح فى جماعة برقم: 1523. ولعل الذي جعل المصنف يورد هذا اللفظ نظره في تفسير الثعلبي 2|197 والبغوي 6|304 فإنهما هكذا روياه.

([5]) لباب التأويل 3|354.

([6]) سورة المؤمنون آية: (60).

ويتصدّقون ويخافون أن لا يقبل منهم {أولئك يسارعون في الخيرات})) . أخرجه الترمذي[1][2].

هذا مجمل القول فيما يتعلق بمنهج الخازن – رحمه الله – في تفسير القرآن بالسنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وهو منهج اتسم بالعناية بالسنة والترميز لبعض مصادرها ولكنه نأى عن معايير الترتيب والاستقصاء.

- **أما الإمام الثاني ابن كثير – رحمه الله - فقد عني بهذا المبحث عناية فائقة**

وأولاه أهمية كبيرة تنظيراً وتطبيقاً؛ وقد أشاد بهذا النوع من التفسير واعتمد عليه كونه المصدر الثاني لمعرفة معاني القرآن الكريم قال في مقدمته: **(فإن أعياك ذلك** – أي التفسير بالقرآن - **فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له....)[3].**

وإن المتأمل في هذا التفسير المبارك يجد ابن كثير قد بذل وسعاً كبيراً وجهداً عظيماً لا يكاد يُدرك ولا يُلحق؛ فإنه قد أودع كتابه هذا كمية هائلةً جداً من الأحاديث النبوية الشريفة حتى كأنه كتاب حديثي مستقل شامل لأبواب الجوامع وأحاديث المسانيد وأنه كاد أن يأتي على مسند أحمد على ضخامته وموسوعيته.

وإذا ما رجع القارئ إلى ترجمة ابن كثير وثناء العلماء عليه ذهب عنه ذلك التعجب إذ كان – رحمه الله - من كبار المحدثين والحفاظ المشاهير في عصره؛ كما أنه تلميذ مقرب لأحد أعلام الحديث في عصره شيخه وصهره أبي الحجاج المزي[4] – رحمة الله على الجميع-.

أما استحضاره للحديث وإيراده له فمما يَكِلُّ عن وصفه القلم ويتعب في تتبعه الذهن؛ فالذي يطالع في كتابه ويتأمل فيه يعلم ما آتاه الله من قوة العارضة وسعة الحفظ ودقة الاستحضار وجمال الربط حتى لكأن مسند أحمد بين يديه يأخذ منه ما يشاء متى ما

([1]) كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة المؤمنون برقم: 3175.

([2]) لباب التأويل 3|307.

([3]) تفسير القرآن العظيم (المقدمة) (1|7).

([4]) الإمام العالم الحبر الحافظ الأوحد محدث الشام: جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف القضاعي ثم الكلبي الدمشقي. الشافعي انظر تذكر الحفاظ 4|193.

شاء ولا أحسن في هذا الصدد من قول بعض السلف: ((ما انتبهت من الليل إلا أصبت إبراهيم بن أدهم[1] يذكر الله فأغتم ثم أتعزى بهذه الآية **{ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ }**)) [2][3].

ومن أمثلة استحضاره وجمعه للأحاديث تمثيلاً لا حصراً جمعه للأحاديث المتعلقة بالدابة عند قوله تعالى:

- {وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ} [4][5]**، والأحاديث المتعلقة بأزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - وآل بيته عليهم شآبيب الرضوان والرحمة عند قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلا وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا}** [6][7]**، وقوله تعالى:{... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}** [8][9]وكذا الأحاديث المتعلقة بالصلاة عليه؛ عليه كوامل الصلوات وجوامع التسليمات عند قوله تعالى: { **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**} [10][11].

([1]) الزاهد الشهير: إبراهيم بن أدهم بن منصور أبو إسحاق. ت|161هـ. انظر الثقات لابن حبان 6|24.

([2]) جزء من آية في سورة المائدة (54) والحديد (21) والجمعة(4).

([3]) حلية الأولياء 8|22، مطبعة السعادة، 1399هـ- 1979م.

([4]) سورة النمل آية: (82).

([5])تفسير القرآن العظيم 6|210.

([6]) سورة الأحزاب آية: (28 ، 29).

([7]) تفسير القرآن العظيم 6|401.

([8]) سورة الأحزاب آية: (33).

([9]) تفسير القرآن العظيم 6|408.

([10]) سورة الأحزاب آية: (56).

([11]) تفسير القرآن العظيم 6|457.

والإشارة إليها كافٍ فلا يحتمل البحث سردها وإنما المراد الإشارة إلى سعة حفظه – رحمه الله - واستحضاره وعنايته بالسنة.

وقد تمثلت هذا العناية منه – رحمه الله - في عدة جوانب هي:

- الاعتماد عليها في تفسير كتاب الله عز وجل لا سيما مع عدم وجود آية تفسره، كما أفاد ذلك في المقدمة من كتابه. وكتابه طافح بذلك، فمن أمثلته ما أورده عند الكلام على قول الله تعالى:**{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا}** [1] قال:

- يخبر تعالى أنه يغرس لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات، وهي الأعمال التي ترضي الله، عز وجل، لمتابعتها الشريعة المحمدية - يغرس لهم في قلوب عباده الصالحين مودة، وهذا أمر لا بد منه ولا محيد عنه. وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من غير وجه.

قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا أبو عَوَانة، حدثنا سُهَيْل، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال: يا جبريل، إني أحب فلانًا فأحبه. قال: فيحبه جبريل. قال: ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يحب فلانًا. قال: فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وإن الله إذا أبغض عبدًا دعا جبريل فقال: يا جبريل، إني أبغضُ فلانًا فأبغضه. قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه. قال: فيُبْغضُه أهل السماء، ثم يوضع له البغضاء في الأرض)) [2][3].

وأخذ في سرد بقية الأحاديث.

([1]) سورة مريم آية: (96).

([2]) رواه أحمد 15|205 برقم: 9352.

([3]) تفسير القرآن العظيم 5|267.

ومما يحرص عليه - رحمه الله - في تفسيره بالسنة أنه يأتي بالحديث أو الأحاديث التي لها علاقة بالآية من قريب أو من بعيد. فمن الأول ما ذكره عند قوله تعالى:

- {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى} [1].

قال: **يذكر تعالى نعمه على بني إسرائيل العظام، ومننه الجسام، حيث نَجَّاهم من عدوهم فرعون، وأقر أعينهم منه، وهم ينظرون إليه وإلى جنده قد غرقوا في صبيحة واحدة، لم ينج منهم أحد، كما قال: {وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ}** [2]**.**

وقال البخاري: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا رَوْح بن عبادة، حدثنا شعبة، حدثنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: ((لما قدم - رسول الله صلى الله عليه وسلم - المدينة واليهود تصوم عاشوراء، فسألهم فقالوا: هذا اليوم الذي أظفر الله فيه موسى على فرعون، فقال: نحن أولى بموسى فصوموه)) [3] **رواه مسلم أيضًا في صحيحه**[4]**.**

فلم يكن في إيراد الحديث تفسير للآية إلا أن ثَمَّ علاقة وهي ذكر يوم النصر لبني إسرائيل في الآية والحديث وهي علاقة قريبة.

ومن الثاني ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:

- { الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ } [5].

([1]) سورة طه آية: (80).

([2]) سورة البقرة آية: (50).

([3]) تفسير القرآن العظيم 5|308.

([4]) رواه البخاري في كتاب التفسير باب قوله { ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي ...}الآية برقم: 4460 ومسلم في كتاب الصيام باب صوم يوم عاشوراء برقم: 2712 .

([5]) سورة النور آية: (26).

قال: **ويشبه هذا ما رواه الإمام أحمد في المسند مرفوعاً: ((مثل الذي يسمع الحكمة ثم لا يُحدِّث إلا بشرٍّ ما سمع، كمثل رجل جاء إلى صاحب غنم، فقال: أجْزرني[1] شاة. فقال: اذهب فخُذ بأذُن أيها شئتَ. فذهب فأخذ بأذن كَلْب الغنم)) [2].**

وفي الحديث الآخر: ((الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها أخذها)) [3][4].

---

(1) قال السندي في حاشيته على مسند الإمام أحمد: بِجِيمٍ وَزَاي مُعْجَمَة وَرَاء مُهْمَلَة مِنْ أَجْزَرْت إذَا أَعْطَيْته شَاة تُذبح وَقَالَ السُّيُوطِيُّ في حاشية ابن ماجه أي أعطني شَاة تَصْلُح لِلذَّبْح. حاشية السندي على مسند أحمد 6|84 برقم: 4274

([2]) رواه أحمد في المسند 14|284 برقم: 8639.

([3]) وجدته بهذا اللفظ في مسند الفردوس للديلمي (2|152) برقم: (2770)، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، ط: الكتب العلمية، بيروت 1406 هـ - 1986م.

وقد ورد الحديث بلفظ: (الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها) عند الترمذي كتاب العلم باب ما جاء في عالم المدينة برقم: 2687. وورد بلفظ: (.... وجد المؤمن ضالته فليجمعها إليه)في مسند الشهاب للقضاعي تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية ، 1407 – 1986م. وروي بلفظ: (حيث وجدها اخذ بها) قال ابن الجوزي - في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية -: (هذا حديث لا يصح؛ قال: يحيى ابراهيم ليس حديثه بشيء) العلل المتناهية (1|95)، تحقيق خليل الميس، ط: دار الكتب العلمية بيروت 1403هـ وضعفه الألباني في ضعيف الجامع ص625 برقم: 4302.

وفي فتاوى اللجنة الدائمة بالمملكة العربية السعودية - بعد ذكر شيء من تخريجه -: (والحديث ضعيف جداً، لا تصح نسبته للرسول - صلى الله عليه وسلم ..... وأما معنى الحديث فتشهد له عمومات النصوص، وهو أن الكلمة المفيدة التي لا تنافي نصوص الشريعة ربما تفوه بها من ليس لها بأهل، ثم وقعت إلى أهلها، فلا ينبغي للمؤمن أن ينصرف عنها، بل الأولى الاستفادة منها والعمل بها من غير التفات إلى قائلها.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم. أعضاء الفتوى: بكر أبو زيد وصالح الفوزان وعبد الله بن غديان والرئيس: عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ. (فتاوى اللجنة الدائمة) 26| 358 ، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش ط: اللجنة.

([4]) تفسير القرآن العظيم 6|35.

فكما هو بيّن ليس هناك معنى قريب بين الحديث والآية وإنما ثَم معنى خارجي بعيد يحتاج إلى تأمل، وهو أن الخبيث يتبع الخبث، بخلاف المؤمن فإنه يسير مع الكلمة الطيبة أيِّن كانت، ويأخذ الحكمة من أي وعاء خرجت.

وهذا المعنى وإن كان قوياً بين الآية والحديث إلى أنه ليس بتفسير مباشر لها، وإنما يُجمع بينها وبين الحديث بالتأمل والاستنباط والله أعلم.

وأما طريقته في التعامل مع الأحاديث فقد تنوعت كثيراً؛ لعل ذلك بحسب المقام والمكان المناسب الذي يراه، على أنه لا يقدم إيرادها على الآية إلا في النادر ويكون ذلك لعلة اقتضت التقديم كما مر في المبحث الأول ثم إنه في الغالب يورد الأحاديث بأسانيدها ومتونها كاملة مصدراً ذلك بمن أخرجه وغالباً ما يبدأ بمسند الإمام أحمد مع عناية فائقة بالصحيحين أو أحدهما وهذا هو الغالب، ومن أمثلته قوله:

- ....ثم قال تعالى: { وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ }[1] أي: أنذر الخلائق يوم الحسرة، { إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ } أي: فصل بين أهل الجنة وأهل النار، ودَخل كل إلى ما صار إليه مخلدًا فيه، { وَهُمْ } أي: اليوم { فِي غَفْلَةٍ } عما أنذروا به { وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ } أي: لا يُصَدقون به.

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، يجاء بالموت كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة، هل تعرفون هذا؟ قال: فيشرئبون[2] فينظرون ويقولون: نعم هذا الموت. قال: فيقال: يا أهل النار، هل تعرفون هذا؟ قال: فيشرئبون فينظرون ويقولون: نعم، هذا الموت قال: فيؤمر به فيذبح قال: ويقال: يا أهل الجنة، خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت قال: ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه

([1]) سورة مريم آية: (39).

(2) قال ابن حجر في "فتح الباري": فيشرئبون: بمعجمة وراء مفتوحة ثم همزة مكسورة ثم موحدة ثقيلة مضمومة أي يمدون أعناقهم ينظرون 8|428 ، فتح الباري دار المعرفة - بيروت ، 1379 م.

وسلم: { وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ } وأشار بيده قال: أهل الدنيا في غفلة الدنيا)) .

هكذا رواه الإمام أحمد[1] وقد أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما[2]، من حديث الأعمش، به. ولفظهما قريب من ذلك [3].

وقد يخرج – رحمه الله – عن هذا الأصل فيذكر الحديث بدون إسناد بل، ولا حتى مصدر؛ وقد يكون عذره في ذلك الاعتماد على الشهرة في صحة الحديث كما فعل في:

- ذكر مكاتبات النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لهرقل [4]؛ وقد يذكر ذلك عرضاً كما قال:

- وقد ((زوَّج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذلك الرجل الذي لم يجد إلا إزاره ، ولم يقدر على خاتم من حديد، ومع هذا فزوّجه بتلك المرأة، وجعل صداقها عليه أن يعلمها ما يحفظه من القرآن)) [5][6].

أورد هذا الحديث في معرض تقريره بأن الزواج سبب لإغناء الله للعبد؛ ولذلك قال بعد إيراده: **والمعهود من كرم الله تعالى ولطفه أن يرزقه وإياها ما فيه كفاية له ولها.**

ثم إنه في الغالب يبدأ بذكر من أخرج الحديث فسلسلة الإسناد مختتمة بالراوي الأعلى (الصحابي). وقد يحذف الإسناد ويذكر الراوي الأعلى مع الحديث، أو يذكر الراوي الأعلى مع سلسلة الإسناد ثم يذكر من أخرجه وقد فعل هذا في كثير من المواضع،

([1]) رواه أحمد 17|120 برقم: 11066.

([2]) رواه البخاري في كتاب التفسير باب وأنذرهم يوم الحسرة برقم: 4453.ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم: 7360.

([3]) تفسير القرآن العظيم 5|233.

([4]) المصدر السابق 5|297.

([5]) رواه البخاري في كتاب النكاح باب السلطان ولي برقم: 4842.

([6]) تفسير القرآن العظيم 6|52.

منها على سبيل التمثيل؛ أولاً: ذكر الراوي الأعلى مجرداً من السند وتأخير المصدر، قال – رحمه الله -:

- فعن أمير المؤمنين عثمان بن عفان، رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله، بنى الله له مثله في الجنة)) [1]. أخرجاه في الصحيحين[2].

ثانياً: ذكر السند وتأخير المصدر، قال:

- ....وعن علي بن الحسين، عن أبي رافع؛ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم – ((كان إذا ضحى اشترى كبشين سمينين أقرنين أملحين، فإذا صلى وخطب الناس أتى بأحدهما وهو قائم في مصلاه فذبحه بنفسه بالمدية، ثم يقول: اللهم هذا عن أمتي جميعها، مَنْ شهد لك بالتوحيد وشهد لي بالبلاغ. ثم يُؤتى بالآخر فيذبحه بنفسه، ثم يقول: هذا عن محمد وآل محمد فيُطعمها جميعًا المساكين، ويأكل هو وأهله منهما)) .رواه أحمد[3]، وابن ماجه[4][5].

وقد يذكر من أخرجه مقدماً مع الراوي الأعلى بدون ذكر السند كما قال:

- وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: ضرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ((مثل البخيل والمتصدق، كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد، أو جنتان من حديد. قد اضطرت أيديهما إلى ثديهما وتراقيهما، فجعل المتصدق، كلما تصدق بصدقة انبسطت عنه، حتى تغشى أنامله، وتعفو أثره، وجعل البخيل كلما همَّ بصدقة

([1]) رواه البخاري في كتاب المساجد باب من بنى مسجدا برقم: 439 ومسلم في كتاب المساجد باب فضل بناء المساجد والحث عليها 1217.

([2]) تفسير القرآن العظيم (6|62)

([3]) رواه أحمد في المسند: 45|186برقم: 27190.

([4]) رواه ابن ماجه في كتاب الأضاحي باب أضاحي رسول الله - صلى الله عليه و سلم - برقم: 3122.

([5]) تفسير القرآن العظيم 5|427.

قلصت، وأخذت كل حلقة مكانها. قال أبو هريرة: فأنا رأيت - رسول الله صلى الله عليه وسلم – يقول بإصبعه هكذا في جيبه. فلو رأيته يوسعها ولا يتسع)) [1][2].

ومع عنايته الفائقة بالمصدر والسند فإنه يزيد على ذلك العناية بالحكم على الأحاديث وقد حكم على كثير من الأحاديث صحة وضعفاً، تارة قبل إيراد الحديث وكأنه أنما أورده لينبه على ضعفه، وتارة أخرى بعد إيراد الحديث كما هي العادة في هذا الشأن وأمثلة ذلك كالتالي: فمن الأول قوله :

- .... وقد روى ابن أبي حاتم في ذلك حديثا غريبًا جدا، فقال: حدثنا الفضل بن يعقوب الرُّخَّاني، حدثنا سعيد بن مسلمة بن عبد الملك، حدثنا الليث بن أبي سليم، عن مُغيث، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ((﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [3] قال: عيسى، وعُزَير، والملائكة)) [4] [5].

ومن الثاني - وهو كثير قوله - :

- .....وقال ابن أبي حاتم أيضًا: حدثنا الربيع بن سليمان، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا دراج أبو السمح، عن ابن حُجَيْرة - اسمه عبد الرحمن - عن أبي هريرة، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((المؤمن في قبره

([1]) رواه البخاري في عدة مواضع من الصحيح، فمنها في كتاب اللباس باب جيب القميص من عند الصدر وغيره برقم: 5461 ومسلم كتاب الزكاة باب مثل المنفق والبخيل برقم: 2407 واللفظ لمسلم عدا (أو جبتان من حديد) فإنه رواها في موضع آخر برقم: 2406 من نفس الكتاب والباب.

([2]) تفسير القرآن العظيم (6|419).

([3]) سورة الأنبياء آية: (101).

([4]) رواه ابن أبي حاتم في التفسير8|2468 برقم: 13734 . تحقيق : أسعد محمد الطيب ط المكتبة العصرية - صيدا.

([5]) تفسير القرآن العظيم 5|379.

في روضة خضراء، ويرحب[1] له في قبره سبعون ذراعا، وينور له قبره كالقمر ليلة البدر، أتدرون فيم أنزلت هذه الآية: {فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا} [2] ؟ أتدرون ما المعيشة الضنك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: عذاب الكافر في قبره، والذي نفسي بيده، إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تِنِّينًا، أتدرون ما التنين؟ تسعة وتسعون حية، لكل حية سبعة رؤوس، ينفخون في جسمه، ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم يبعثون)) [3].

رفعه منكر جدًا[4].

و قد يزيد على حكمه على الحديث بيان العلة وسبب الضعف كما فعل حينما أورد حديث الثرى[5] في أول سورة (طه) قال عقبه: **(...هذا حديث غريب جدًا، وسياق عجيب، تفرد به القاسم بن عبد الرحمن هذا، وقد قال فيه يحيى بن معين: ليس يساوي شيئًا وضعفه أبو حاتم الرازي، وقال ابن عدي: لا يعرف)[6].**

وقد يتوسع في ذلك بذكر أسانيد الحديث، ورجاله، ومن تفرد به، ويسرد الروايات، ويحقق فيها كما فعل ذلك في قصة الغرانيق، فقد وقف عندها وقفة طويلة، فنَّدها وتكلم عليها سنداً ومتناً رواية ودراية[7].

---

(1) أي: يوسع له. انظر تاج العروس 2|409 مادة (رحب).

([2]) سورة طه آية: (124).

([3]) رواه ابن أبي حاتم في التفسير 7|2439 برقم: 13465 ط المكتبة العصرية - صيدا، تحقيق: أسعد محمد الطيب.

([4]) تفسير القرآن العظيم 5|323.

(5) حديث الثرى: حديث طويل وفيه: ((.....فما تحت الهواء؟ قال: "الثرى". قال: فما تحت الثرى؟ ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء، وقال: "انقطع علم المخلوقين عند علم الخالق، أيها السائل، ما المسئول عنها بأعلم من السائل"....)) كان قد ذكره ابن كثير قبل المثال المذكور أعلاه؛ وهو في الدر المنثور 5|552.

([6]) تفسير القرآن العظيم 5|274.

([7]) تفسير القرآن العظيم 5|441.

وقد يهمل الكلام على الحديث ويكتفي بإيراده ويترك الرواية بدون نقد ولا حكم وقد صنع هذا في عدة مواضع من الكتاب منها:

قال رحمه الله -:

- وقال البزار: حدثنا محمد بن يحيى الأزدي، حدثنا محمد بن عمرو حدثنا هشام بن سعد، عن سعيد بن أبي هلال، عن أبي حُجَيْرة عن أبي هريرة، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في قول الله عز وجل: { فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا } قال: ((المعيشة الضنك الذي قال الله تعالى: أنه يسلط عليه تسعة وتسعون حية، ينهشون لحمه حتى تقوم الساعة)) [1][2].

المقارنة:

- مع أن الخازن – رحمه الله – قد أورد كماً كبيراً من الأحاديث إلا أن ذلك لم يكن بحجم ما أورده ابن كثير؛ فإن ابن كثير يورد تحت الآية الواحدة أكثر مما يورد الخازن بكثير وكذلك من جهة الجملة فابن كثير أورد أكثر مما أورده الخازن.
- لا يعتني الخازن – رحمه الله – بذكر سند الحديث بل قد جعل عوضاً عنه ذكر الغريب الموجود في الحديث، بينما ابن كثير – رحمه الله – يعتني بذكره ويحتفل به.
- يذكر الخازن مصدر الحديث قبل الراوي الأعلى في الغالب ويرمز له برمز معين أما إذا لم يكن ثَمَّ رمز فإنه يؤخر مصدر الحديث ويقدم الراوي الأعلى؛ أما ابن كثير فهو في الغالب يذكر المصدر فالسند، وقد يعكس بينها أحياناً، وقد يكتفي بالمصدر والراوي الأعلى فقط بدون ذكر السند.
- لا يهتم الخازن بتصحيح الحديث غالباً بينما ابن كثير يحرص على ذلك ولربما توسع فيه وذكر علله ورواياته ورواته.

([1]) كشف الأستار 3|59 برقم: 2233. ط مؤسسة الرسالة تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي 1404هـ- 1984.

([2]) تفسير القرآن العظيم 5|322.

- يختصر الخازن عن طريق الرموز بعض المخرجين للحديث بينما ابن كثير لا يفعل ذلك.
- الخازن يكثر من النقل عن الصحيحين وهكذا ابن كثير لكنه يزيد عليه بالإكثار من بعض المصادر الأخرى كمسند أحمد وتفسير ابن أبي حاتم وغيرهما.
- المصادر الحديثية عند الخازن أقل بكثير منها عند ابن كثير.
- لم يحافظ الخازن على طريقة معينة في إيراد الحديث بخلاف ابن كثير فإنه سار على طريقة معينة، وترتيب منطقي في ذلك.

المبحث الثالث: المقارنة بين منهجيهما في تفسير القرآن بأقوال الصحابة - رضي الله عنهم - والتابعين

لا شك أن لهذا النوع من التفسير أهمية كبيرة تتمثل في أناس شاهدوا تنزيل القرآن، وعايشوا أسباب نزوله، وكانوا هم المخاطبين الأولين به على ما أوتوا من معرفة لغته - التي أنزل بها - بطريقة السليقة والجبلة، ووجود المفسر الأول - صلى الله عليه وآله وسلم - بينهم يسألونه عما أشكل، ويفهمون عنه مراد الله تعالى وقد نقلوا ما حملوه من علم وفهم إلى من بعدهم من تلامذتهم ومحبيهم لتأتي أهمية التفسير بالنسبة لمن بعدهم.

قال شيخ الإسلام - رحمه الله -: (وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة؛ فإنهم أدرى لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصوا بها ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين....) إلى أن قال: (إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر[1] فإنه كان آية في التفسير)[2].

وقال السيوطي – رحمه الله -: (....وقد قال الحاكم[3] في المستدرك إن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل له حكم المرفوع)[4].

([1]) المفسر الشهير: مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكى مولى عبد الله بن السائب، القارئ ت| 103هـ. انظر التاريخ الكبير للبخاري 7|411 ط: دار الكتب العلمية.

([2]) مقدمة في أصول التفسير ص 100.

([3]) الإمام: محمد بن عبدالله الضبي النيسابوري الحاكم، أبو عبد الله الحافظ، صاحب التصانيف ت|405 انظر ميزان الاعتدال (3|608) : للذهبي، تحقيق: علي البجاوي، ط: دار المعرفة لبنان بيروت.

([4]) الإتقان (6|2275).

لعل السيوطي يشير إلى قول الحاكم في مستدركه: (...ليعلم طالب هذا العلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي و التنزيل عند الشيخين حديث مسند)[1].

*** من أجل هذا كله عني إمامنا الخازن بهذا الباب عناية بينة على قلة ما أورده** بالنسبة لما فعله ابن كثير – رحمهما الله - ومن عجيب الإمام الخازن أن تمر بك مواضع كثيرة لا يكاد يذكر فيها أثراً، وأحياناً أخرى يأخذ بنَفَس أهل الأثر فتراه يورد الآثار سواء عن الصحابة أو التابعين بهمة وكثرة؛ كما أن له اهتماماً واضحاً بمرويات ابن عباس رضي الله عنهما، حاله في ذلك حال ابن كثير، مع الفرق الشاسع بين قلة الأول وكثرة الثاني. وفيما قرأته وتتبعته من صنيع الخازن في تفسيره بالأثر لم يتبين لي منهجاً واضحاً سار عليه. فإنه تارة يقدم الأثر على الحديث، وأخرى العكس، وأحياناً يقدم قول الصحابي على قول التابعي، وأخرى العكس وقد يصدر التفسير بالأثر، وقد يؤخره بعد كلام يذكره، وقد يصرح بأسماء أصحاب الآثار، وتارة لا يفعل، وتارة يقدم القائل على القول، وأخرى العكس، وقد يورد الأثر فيسلك به مسلك الحديث من تفسير غريبه. وهذه أمثلة على ذلك مرتبة بحسب الكلام المتقدم:

فمثال التفسير بالآثار قوله – عند قوله تعالى -:

- { فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا } روي عن ابن مسعود وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم أنهم قالوا: هو عذاب القبر. قال أبو سعيد: (يضغط في القبر حتى تختلف أضلاعه)[2] وفي بعض المسانيد مرفوعاً ((يلتئم عليه القبر حتى تختلف أضلاعه ،

([1]) المستدرك 2|283 تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ، 1411هـ – 1990م.

([2]) رواه الطبري في التفسير (18|393). قال السيوطي في الدر المنثور: (وأخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور ومسدد في مسنده وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي في كتاب عذاب القبر عن أبي سعيد الخدري مرفوعا في قوله : معيشة ضنكا قال : عذاب القبر وفي لفظ عبد الرزاق قال : يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه وفي لفظ ابن أبي حاتم عن ضمة القبر) الدر المنثور(5|607) دار الفكر بيروت ، 1993.

فلا يزال يعذب حتى يبعث)) [1] وقيل الزقوم والضريع والغسلين في النار ، وقيل الحرام والكسب الخبيث وقال ابن عباس: الشقاء وعنه قال كل ما أعطي العبد قل أم كثر فلم يتق فلا خير فيه وهو الضنك في المعيشة[2].

ومثال تقديم الحديث على الأثر– عند قوله تعالى -:

- { إلا من شاء الله } [3] روى أبو هريرة أن النبيّ - صلى الله عليه وسلم - : سئل عن قوله تعالى {إلا من شاء الله} قال: ((هم الشهداء متقلدون أسيافهم حول العرش))[4] وقال ابن عباس: هم الشهداء لأنهم أحياء عند ربهم لا يصل إليهم الفزع[5][6].

ومثال تقديم الأثر على الحديث:

- ..... عن سعيد بن جبير قال: سألني يهودي من أهل الحيرة أي الأجلين قضى موسى؟ قلت لا أدري حتى أقدم على خير العرب فاسأله فقدمت فسألت ابن عباس

([1]) هكذا ذكره الخازن تبعاً للبغوي في التفسير؛ ولعل مراده من ذلك هو معنى قطعة من حديث أبي هريرة في سؤال الميت في قبره، رواه أحمد في المسند (30|499) برقم: 18534. وابن حبان كتاب الجنائز باب المريض وما يتعلق به برقم:3113 بترتيب ابن بلبان تحقيق : شعيب الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، هـ 1414 – 1993م. والحاكم في المستدرك كتاب الإيمان برقم: 107.

وابن أبي شيبة في المصنف كتاب الجنائز في نفس الْمُؤْمِنِ كَيْفَ تَخْرُجُ وَنَفْسِ الْكَافِرِ (3|382) برقم: 12185 تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة .

([2]) لباب التاويل 3|252.

([3]) سورة النمل آية: (87).

([4]) رواه الثعلبي بإسناده في الكشف والبيان 8|254 وعزاه السيوطي لأبي يعلى والدار قطني في الأفراد وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث. الدر المنثور7|269.

([5]) ذكره البغوي في التفسير قال: وروى سعيد بن جبير، وعطاء عن ابن عباس: هم الشهداء لأنهم أحياء عند ربهم لا يصل الفزع إليهم. معالم التنزيل (6|182).

([6]) لباب التاويل 3|394.

فقال: ((قضى أكثرهما وأطيبهما لأن رسول الله إذا قال فعل)) .[1] وروي عن أبي ذر مرفوعاً: ((إذا سئلت أي الأجلين قضى موسى فقل خيرهما وأبرهما وإذا سئلت أي المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما وهي التي جاءت فقالت يا أبت استأجره فتزوج صغراهما وقضى أوفاهما)) [2][3].

ومثال تقديم قول الصحابي على قول التابعي:

- .....قالوا هذا الاستثناء[4] يرجع إلى رد الشهادة وإلى الفسق وإذا تاب تقبل شهادته ويزول عنه اسم الفسق . يروى ذلك عن عمر وابن عباس وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وطاوس وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والشعبي وعكرمة وعمر بن عبد العزيز والزهري وبه قال مالك والشافعي[5].

ومثال تقديم قول التابعي على الصحابي قوله - في الآية الكريمة من سورة النور -:

([1]) رواه البخاري في كتاب الشهادات باب من أمر بإنجاز الوعد برقم: 2538. بلفظ (إن رسول الله...) وليس (لإن رسول الله...) وهي هكذا - بلفظ البخاري - عند المفسرين بل حتى عند البغوي أصل تفسير الخازن فلعله سبق قلم لا سيما وجميع المطبوعات بين يدي بلفظ (لإن رسول الله) أو خطأ مطبعي والله أعلم.

([2]) رواه الطبراني في المعجم الأوسط 5|321 برقم: 5430. قال الهيثمي: (رواه الطبراني في الصغير والأوسط والبزار باختصار وفي إسناد الطبراني عويد بن أبي عمران الجوني ضعفه ابن معين وغيره ووثقه ابن حبان وبقية رجال الطبراني ثقات) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد 8|373 برقم:13778 ، دار الفكر تحقيق محمد عبد الله درويش.

([3]) لباب التأويل 3|403.

(4) المراد بالاستثناء ههنا ما ورد في الآية الكريمة من سورة النور: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ.....} سورة النور آية:(4 ، 5).

([5]) لباب التأويل (3|315).

- ....{ والله عليم } أي بأمور خلقه { حكيم } بما دبر وشرع، قال سعيد بن المسيب: يستأذن الرجل على أمه فإنما أنزلت هذه الآية في ذلك، وسئل حذيفة أيستأذن الرجل على والدته قال نعم إن لم تفعل رأيت منها ما تكره[1][2].

ومثال تصدير تفسير الآية بالآثار، تلك الآثار التي صدرها بعد قول الله تعالى:

- { ...إننا نخاف أن يفرط علينا } [3] قال ابن عباس : يعجل علينا بالقتل والعقوبة { أو أن يطغى } أي يجاوز الحد في الإساءة إلينا { قال } الله تعالى { لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى } قال ابن عباس : أسمع دعاءكما فأجيبه وأرى ما يراد بكما فأمنع لست بغافل عنكما فلا تهتما [4].

ومثال تأخير الآثار عن الكلام في الآية:

-..... { ثم ليقضوا تفثهم } [5] أي ليزيلوا أدرانهم وأوساخهم والمراد منه الخروج عن الإحرام بالحلق وقص الشارب ونتف الإبط وقلم الأظفار والاستحداد ولبس الثياب والحاج أشعث أغبر إذا لم يزل هذه الأوساخ . وقال ابن عمر وابن عباس: ((قضاء التفث مناسك الحج كلها)) [6] [7].

والأصل أنه يقدم القائل على القول كما مر في الأمثلة السابقة؛ وقد يعكس ذلك مثل قوله - عند قول الله تعالى -:

([1]) رواه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب النكاح باب استِئذَان المملُوك والطفل في العَورات الثلاثِ برقم: 13941.

([2]) لباب التاويل 3|339.

([3]) سورة طه آية: (45).

([4]) لباب التاويل 3|239.

([5]) سورة الحج آية: (29).

([6]) أثر ابن عمر رواه الطبري في التفسير (18|614) وأثر ابن عباس رواه ابن أبي حاتم في التفسير 8|2491 برقم: 13899 وانظر الدر المنثور (6|40).

([7]) لباب التاويل 3|287.

- { ولا تأخذكم بهما رأفة } أي رحمة ورقة فتعطلوا الحدود ولا تقيموها . وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبير والنخعي الشعبي وقيل معنى الرأفة أن تخففوا الضرب بل أوجعوهما ضرباً وهو قول سعيد بن المسيب والحسن [1].

ومثال تفسيره لغريب جاء في الأثر ما ذكره عند قول الله تعالى:

- .....{واقترب الوعد الحق} [2] أي القيامة قال حذيفة: ((لو أن رجلاً اقتنى فلواً بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة))[3]. الفلو: المهر[4].

وقد يهمل ذلك كما فعل في نفس الصفحة حينما ذكر أثر ابن مسعود - رضي الله عنه - وفيه كلمة التوابيت[5] ولم يتعرض لبيان معناها ولعل ذلك يرجع إلى ظهور معناها عند الكثير.

هذا ما تيسر من تتبع منهجه – رحمه الله – في التفسير بالآثار.

*** وأما بالنسبة لإمامنا الآخر الحافظ ابن كثير – رحمه الله – فالأمر يختلف تماماً**

فابن كثير مكثر من هذا اللون من التفسير، بل كتابه مشحون به ومن النادر أن تمر عليه آية أو آيات لا يورد عليها الآثار السلفية كما سيأتي - إن شاء الله - ومما يميز ابن كثير أيضاً في تفسيره بآثار السلف أنه سار وفق منهج واضح ومرتب في الغالب ولا يكاد يخرج عليه إلا لأمر ما؛ ذلك أنه يبدأ بالتفسير بالقرآن ثم، بالحديث ثم، بالآثار المتعلقة بالصحابة إن وجد ثم بآثار التابعين فمن بعدهم من مفسري السلف وهو في الغالب يذكر كل قول وقائله؛ أحياناً قبله وأخرى بعده ويذكر أقوال المفسرين مرتبة من الصحابة فالتابعين على حسب رتبهم في التفسير؛ وقد يجمع الأقوال في

([1]) لباب التاويل 3|313.

([2]) سورة الأنبياء آية: (97).

([3]) رواه الطبري بلفظ: (لو أن رجلا افتلى فَلوّا بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم القيامة) (18|533) ولفظ المصنف ذكره البغوي (5|355) بدون سند وهو هكذا عند الثعلبي (6|308).

([4]) لباب التاويل 3|277.

([5]) جمع تابوت: وهو الصندوق. تاج العروس (2|78) مادة (توب).

قول واحد وقد يبهم القائل بلفظ قال (بعض السلف)؛ وقد تقدمت أمثلة على ترتيبه للتفسير بالأثر عموماً وهذه أمثلة على ترتيب أقوال الصحابة والتابعين واختصار الأقوال ونسبتها وتقديم وتأخير الأقوال وقائليها مرتبة، قال عند قوله تعالى:

- { أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا } [1] قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: تغويهم إغواء.

وقال العوفي عنه: تحرضهم على محمد وأصحابه.

وقال مجاهد: تُشليهم إشلاء .

وقال قتادة: تزعجهم إزعاجا إلى معاصي الله.

وقال سفيان الثوري: تغريهم إغراء وتستعجلهم استعجالا.

وقال السدي: تطغيهم طغيانا.

وقال عبد الرحمن بن زيد: هذا كقوله تعالى: { وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ } [2][3].

ومن أمثلة اختصار الأقوال في قول واحد قوله – عند قوله تعالى:

- {ألا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا}[4]-:.... قال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، ووهب بن منبه، والسدي وقتادة وغير واحد: اعتقل لسانه من غير مرض [5].

ومثال عدم نسبة القول ما ذكره عند قوله سبحانه:

- { إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا } [6]: إن الله يعلم القلب التقي، ويسمع الصوت الخفي.

وقال بعض السلف: قام من الليل، عليه السلام، وقد نام أصحابه، فجعل يهتف بربه يقول خفية: يا رب، يا رب، يا رب فقال الله: لبيك، لبيك، لبيك [7].

([1]) سورة مريم آية: (83).

([2]) سورة الزخرف آية: (36).

([3]) تفسير القرآن العظيم 5|262.

(4) سورة مريم آية: (10).

([5]) تفسير القرآن العظيم 5|215.

([6]) سورة مريم آية: (3).

([7]) تفسير القرآن العظيم 5|211.

ومثال تقديمه القول على القائل ما سبق وأما العكس فكقوله:

- ..... وقوله: { لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا } [1] قيل: المراد ما بين أيدينا: أمر الدنيا، وما خلفنا: أمر الآخرة، { وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ } ما بين النفختين. هذا قول أبي العالية، وعكرمة، ومجاهد، وسعيد ابن جبير. وقتادة، في رواية عنهما، والسدي، والربيع بن أنس وقيل: { مَا بَيْنَ أَيْدِينَا } ما نستقبل من أمر الآخرة، { وَمَا خَلْفَنَا } أي: ما مضى من الدنيا، { وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ } أي: ما بين الدنيا والآخرة. يروى نحوه عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، والضحاك، وقتادة، وابن جريج، والثوري. واختاره ابن جرير أيضًا، والله أعلم. [2].

وهو في الغالب يورد الآثار بدون أسانيد، وقد ينشط ويوردها بأسانيدها كما فعل في أثر ابن مسعود - رضي الله عنه - في سورة مريم؛ ولعل السبب في ذلك أنه من الآثار التي لها حكم الرفع فقوى إيراده بذكر إسناده، فقال:

- وقد رواه ابن جرير[3]، عن أبي هريرة موقوفا، فقال: حدثني يعقوب، حدثنا ابن عُلَيَّة، حدثنا سعيد الجُرَيري، عن أبي نَضْرَة، عن سُمَيْر بن نهار قال: قال أبو هريرة: يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بمقدار نصف يوم. قلت: وما نصف يوم؟ قال: أوَما تقرأ القرآن؟ . قلت: بلى. قال: {وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ } [4][5].

المقارنة:

- الخازن وإن كان قد أورد كثيراً من الآثار في ثنايا تفسيره إلا أنه لم يبغ مبلغ ابن كثير لا من جهة كثرة النقول ولا كذلك من جهة كثرة المفسرين الذين نقل عنهم، بل إنه في الغالب يقتصر على الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما.

([1]) سورة مريم آية: (64).

([2]) تفسير القرآن العظيم (5|250)

([3]) رواه الطبري في التفسير (18|659).

([4]) سورة الحج آية: (47).

([5]) تفسير القرآن العظيم (5|440).

- لم يكن للخازن منهجٌ معينٌ يسير عليه في هذا النوع من التفسير بخلاف ابن كثير فقد سار على منهج علمي منطقي واضح الملامح.
- يهمل الخازن مصادر الرواية عن السلف لعل ذلك اعتماداً منه على الأصل وهو تفسير البغوي وهذا خلاف ما سار عليه ابن كثير فإنه يذكر كثيراً من المصادر المتعلقة بالآثار.
- الخازن وإن كان قد نسب بعض أقوال المفسرين إلى قائليها إلا أنه أهمل من ذلك الشيء الكثير وهذا عكس ما فعله ابن كثير الذي ما فتئ ينسب كل قول إلى قائله في الأعم الأغلب.
- ليس للخازن اهتمام ولا تعويل على ذكر السند على العكس من ابن كثير فقد أورد الكثير من الآثار المسندة إلى قائليها لا سيما الصحابة رضي الله عنهم.

المبحث الرابع: المقارنة بين موقفيهما من المرويات الإسرائيلية وكيف تسربت إليهما

تمهيد (المراد بالإسرائيليات):

قبل الشروع في بيان موقفي الإمامين – الخازن وابن كثير - ومنهجهما في إيراد الإسرائيليات ينبغي الوقوف وقفة سريعة في مفهوم الإسرائيليات والمراد منها وكيف وصلت إلى كتب التفسير وتسربت إليها ومن ثَم كيف وصلت إلى كتابي الإمامين الخازن وابن كثير.

أما مفهوم مصطلح الإسرائيليات عند أهل التفسير فيريدون به: (تلك الأخبارُ المنقولةُ عن طريقِ أهلِ الكتابِ، خاصةً اليهودَ، من كتبهم التي حُرِّفَتْ وبُدِّلَتْ)[1].

فـ(لفظ الإسرائيليات وإن كان يدل بظاهره على اللون اليهودي للتفسير، وما كان للثقافة اليهودية من أثر ظاهر فيه، إلا أنَّا نريد به ما هو أوسع من ذلك وأشمل، فنريد به ما يعم اللون اليهودي واللون النصراني للتفسير، وما تأثر به التفسير من الثقافتين اليهودية والنصرانية؛ وإنما أطلقنا على جميع ذلك لفظ (الإسرائيليات)، من باب التغليب للجانب اليهودي على الجانب النصراني، فإن الجانب اليهودي هو الذي اشتهر أمره فكثر النقل عنه، وذلك لكثرة أهله، وظهور أمرهم، وشدة اختلاطهم بالمسلمين من مبدأ ظهور الإسلام إلى أن بسط رواقه على كثير من بلاد العالم ودخل الناس في دين الله أفواجاً) [2].

وأما عن كيفية تسرب الإسرائيليات إلى كتب التفسير عموماً وإلى كتابي الخازن وابن كثير خصوصاً؛ فإن ذلك كان في ابتداء الأمر عبر أخذ بعض الصحابة من اليهود الذين أسلموا ودخلوا في الدين الجديد فكان بعض الصحابة - رضي الله عنهم - يسألهم عما ذكره القرآن ولم يفصل فيه كتفاصيل قصة البقرة ونحو ذلك على أنهم -

---

([1]) نحو منهج أمثل لتفسير القرآن ص(34) بحث من إعداد الشيخ الدكتور أحمد بن محمد الشرقاوي، الأستاذ المشارك بجامعة الأزهر، وبكلية التربية بالقصيم مقدَّم للمؤتمر الإسلامي العالمي عن مناهج المفسرين وشُرَّاح الحديث بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، المحور الرابع المناهج التجديدية في تفسير القرآن الكريم 1427هـ - 2006م.

([2]) التفسير والمفسرون 1|121.

رضي الله عنهم - كانوا يأخذون ذلك بحذر ومما لا يصادم الشريعة أو يخالف النهي النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام في هذا الصدد بل الأمر كما قال الدكتور الذهبي[1]: (فكان الصحابي إذا مَرَّ على قصة من قصص القرآن يجد من نفسه ميلاً إلى أن يسأل عن بعض ما طواه القرآن منها ولم يتعرض له، فلا يجد مَن يجيبه على سؤاله سوى هؤلاء النفر الذين دخلوا في الإسلام، وحملوا إلى أهله ما معهم من ثقافة دينية، فألقوا إليهم ما ألقوا من الأخبار والقصص الديني) [2].

وكان ذلك كله في حدود ما فهموه من الأذن في قول - صلى الله عليه وآله وسلم - ((حدثوا عن بني إسرائيل ولاحرج)) [3]. كما أشار إلى ذلك ابن تيمية [4].

قال ابن كثير: (ولهذا كان عبد الله بن عمرو يوم اليرموك قد أصاب زاملتين من كتب أهل الكتاب)، فكان يحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الإذن في ذلك [5].

ثم جاء من بعدهم التابعون فأكثروا من ذلك لدخول كثير من اليهود في الإسلام ثم جاء من بعدهم من شغف برواية الأخبار الإسرائيلية ثم جاء عصر التدوين فحمل التفسير بما معه من هذه الروايات؛ وهكذا تناقلت كثير من كتب التفسير الروايات الإسرائيلية بدون تمحيص أو تنبيه عليها وكان ممن اشتهر بذكر هذه الأخبار وتضمينها تفسيره الإمام الثعلبي – رحمه الله - والذي استفاد منه البغوي وأخذ عنه حتى قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -: (والبغوي تفسيره مختصر من الثعلبي، لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة)[6].

([1]) الدكتور محمد بن حسين الذهبي ت| 1977م. انظر كتابه التفسير والمفسرون 3|3 مكتبة وهبة.

([2]) التفسير والمفسرون 1|123.

([3]) رواه أبو داوود في كتاب العلم باب الْحَدِيثِ عَنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ برقم: 3664.

([4]) مقدمة في أصول التفسير ص (100).

([5]) تفسير القرآن العظيم المقدمة1|9.

([6]) مقدمة في أصول التفسير ص (76).

وقال في فتاواه - وقد سئل عن أي التفاسير أقرب إلى الكتاب والسُّنَّة؟ -: (وأما التفاسير الثلاثة المسئول عنها، فأسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة البغوي لكنه مختصر من تفسير الثعلبي وحذف منه الأحاديث الموضوعة والبدع التي فيه، وحذف أشياء غير ذلك).[1]

- **ليأتي بعد ذلك إمامنا الخازن – عليه رحمة الله – فيلخص "معالم التنزيل"**

للبغوي وينقل معه كثير من القصص والإسرائيليات ومن خلال هذه السلسلة يعرف كيف تسربت الإسرائيليات إلى كتاب إمامنا الخازن – رحمه الله - فإنه يذكر قصصاً ورواية كثيرة جداً من هذا القبيل لا سيما تلك التي يذكرها عن وهب بن منبه[2]، وكعب الأحبار[3] وهما من أقطاب الرواية الإسرائيلية على إمامتهما ومن الأمثلة على ذلك ذكره لنسب أيوب عليه الصلاة والسلام وأمواله في تفسير سورة طه[4].

ومع اشتهار الخازن – رحمه الله - بذكر الإسرائيليات ونقله لها فإن من الظلم أن يتهم بحب روايتها أو الولوع بها؛ فإنه قد قال في قصة الغرانيق:**....أنه لم يروها أحد من أهل الصحة ولا أسندها ثقة بسند صحيح أو سليم متصل وإنما رواها المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب الملفقون من الصحف كل صحيح وسقيم ....[5].**

على إن هذا الكلام وإن دل بمنطوقه ذم الخازن للمولعين بالغرائب والأخبار الملفقة لكنه لا يدل على أن الخازن مطرح للإسرائيليات بالمرة بل قد أتاح لقلمه رواية الكثير منها وتسطيرها في بياض تفسيره سائراً بذلك على طريق قديم عبّده كثير من المفسرين قبله، وجارياً على عادتهم.

([1]) مجموع الفتاوى (2|303).

(2) المفسر: وهب بن منبه الصنعاني الذماري، وذمار من صنعاء ت|80هـ. انظر الجرح والتعديل(9|24) لابن أبي حاتم، ط: دار إحياء التراث الطبعة الأولى.

(3) المفسر: كعب بن ماتع الحميري كنيته أبو إسحاق وهو الذي يقال له كعب الأحبار ت|34هـ. انظر الثقات(5|333) لابن حبان، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، ط: دار الفكر، الطبعة الأولى ، 1395هـ - 1975م.

([4]) لباب التأويل 3|268 وما بعدها، ومعالم التنزيل 5|337.

([5]) لباب التأويل 3|294.

وأما منهجه – رحمه الله – في هذا الباب فإنه أحياناً يقدم الرواية الإسرائيلية على التفسير وأحياناً يشير إلى معنى الآية ثم يشرع في سَوق هذه الروايات الإسرائيلية.

فمن الأول: ذكره لقصة أيوب - عليه الصلاة والسلام - فإنه لما جاء إلى تفسير قوله تعالى: **{ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ }** [1] قال:

- يعني دعا ربه (ذكر قصة أيوب عليه السلام) قال وهب بن منبه : كان أيوب رجلاً من الروم وهو أيوب بن أموص بن تارخ بن روم ....)[2].

ومن الثاني قوله عند قول الله جلا وعلا:

- {إن الله لا يحب المفسدين* قال} يعني قارون {إنما أوتيته على علم عندي} أي على فضل وخير علمه الله عندي فرآني أهلاً لذلك ففضلني بهذا المال عليكم كما فضلني بغيره.

وقيل هو علم الكيمياء وكان موسى يعلمه فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا ثلثه وعلم قارون ثلثه فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه، فكان يصنع من الرصاص فضة ومن النحاس ذهباً وكان ذلك سبب كثرة أمواله[3].

وقد يبني معنى الآية على سَبَبٍ ذُكر في الروايات الإسرائيلية كما فعل في سورة مريم حينما ذكر سبب رفع زكريا عليه السلام إلى السماء الرابعة [4].

ويورد هذه الروايات أيضاً لمعرفة المبهمات وتفاصيلها وما لا طائل تحته كما صنع ذلك عند ذكر النملة في سورة النمل [5].

والخازن - عفا الله عنه – مكثر جداً من رواية الإسرائيليات على أنه مع هذا كله يصدر كثيراً من هذه الأخبار بـ(قيل).

([1]) سورة الأنبياء آية: (83).

([2]) لباب التأويل 3|268.

([3]) المصدر السابق 3|412.

([4]) المصدر السابق 3|224.

([5]) المصدر السابق 3|379.

ولا يكتفي بروايتها بل قد يزيد على ذلك شرحها وتوجيهها بما يتوافق والعقيدة الصحيحة كما قال:

- **(...كما روي أنه مكتوب في التوراة جاء الله من سيناء، وأشرف من ساعين**[1]

واستعلى من جبال فاران ومعنى مجيئه من سيناء بعثه موسى منه، ومن ساعين بعثة المسيح ومن جبال فاران بعثة محمد - صلى الله عليه وسلم - وفاران اسم مكة) [2].

وهو – رحمه الله - لا يترك لهذه الروايات مدخلاً إلى أبواب العقيدة؛ فيعتمد عليها أو يجعلها أصولاً بل إنه يردها ويفنّدها إذا ما لامست روح العقيدة؛ وقد انتفض غيرة ودفاعاً عن العقيدة فرد هذه الروايات المشبوهة حينما ذكر قصة الغرانيق[3].

وإن كان قد سها – عفا الله عنه – حينما ذكر تلك الروايات والتي في مضمونها تفضيل لقمان على نبي الله داوود عليه الصلاة والسلام؛ فقد سردها بدون التعرض لها بنقد ولا رد فقال بعد كلام طويل عن لقمان:

- **....فأعطي الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها ثم نودي داوود بعده، فقبلها ولم يشترط ما اشترط لقمان فهوى في الخطيئة غير مرة كل ذلك يعفو الله عنه وكان لقمان يوازر داوود لحكمته** [4] ولا أدري هل يمكن الاعتذار له بمجرد التصدير لها بـ(قيل)، أو أن يكون ذلك منه سهواً، أو ذهولاً، أو أن المسألة كامنة في متابعته النقل عن البغوي[5] بدون استدراك عليه.

لعل الأخير أقربها، ولا يعتبر مبرراً في حقه أن يذكرها دون بيان موضع الخلل.

---

(1) ساعين: جاء في كثير من مصادر التفسير بالراء المهملة (ساعير) والمراد به وبما بعده أماكن محترمة، كما قال ابن كثير في التفسير: جاء الله من طور سيناء - يعني الذي كلم الله عليه موسى - وأشرق من سَاعيرَ - يعني بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسى- واستعلن من جبال فاران - يعني: جبال مكة التي أرسل الله منها محمدًا. تفسير القرآن العظيم 8|435.

(2) لباب التأويل 3|377.

(3) لباب التأويل 3|294.

(4) لباب التأويل 3|439.

(5) معالم التنزيل (6|287).

- وكذلك ما ذكره في شأن قصة نبي الله أيوب عليه السلام[1] فإنه ذكرها ولم يُعقّب عليها بنقد بل مر بها مرور الساكت المقر، ولم يلتزم المنهج الذي سار عليه في كثير من مواضع كتابه من الإنكار على ذلك؛ فلعله رأى أن ذلك لا يتنافى مع مقام النبوة وأن البلاء رفعة والله أعلم بما قصد ورأى حينها.

ولذلك قال الدكتور الذهبي يرحمه الله:

(وهو في الغالب لا يُعقّب على ما يذكر من القصص الإسرائيلي، ولا ينظر إليه بعين الناقد البصير، وإن كان فى بعض المواضع لا يترك القصة تمر بدون أن يُبَيِّن لنا ضعفها أو كذبها، ولكن على ندرة)[2].

وكما سبق لعل أحسن ما يمكن الاعتذار للخازن أن كتابه مختصر عن البغوي فهو صورة مصغرة عنه وإن كان له حق الحذف لكثير من هذه الروايات الإسرائيلية.

هذا وقد تتبعت كثيراً من الإسرائيليات التي أوردها الخازن فإذا هي موجودة في أصل المختصر تفسير "معالم التنزيل" كقصة إدريس عليه السلام[3]، وقصة عصا موسى عليه السلام[4]، وقصة ريح سليمان عليه السلام[5]، وخروج بني إسرائيل[6]، وزواج بَلْقِيس[7]، وبناء صرح فرعون[8]، وغيرها.

هذا ما يمكن قوله في هذا المبحث فغفر الله للخازن ورحمه.

- **أما الأمر بالنسبة لابن كثير فإنه يختلف كثيراً عن الخازن سواء ذلك في** التنظير، أوالتطبيق؛ فإن ابن كثير - رحمه الله - له موقف حازم من هذه الروايات صرح به غير مرة وهو عدم الركون إليها، ولا التعويل عليها، بل ونبذها لا سيما إذا

([1]) لباب التأويل 3|268 وما بعدها ومعالم التنزيل 5|337.

([2]) التفسير والمفسرون (1|222).

([3]) انظر لباب التأويل (3|224)، ومعالم التنزيل(5| 238).

([4]) انظر لباب التأويل (3|235)، ومعالم التنزيل(5| 266).

([5]) انظر لباب التأويل (3|268)، ومعالم التنزيل(5| 335).

([6]) انظر لباب التأويل (3|362)، ومعالم التنزيل(6| 114).

([7]) انظر لباب التأويل (3|386)، ومعالم التنزيل(6| 166).

([8]) انظر لباب التأويل (3|400)، ومعالم التنزيل(6| 209).

صادمت العقيدة، وخالفت المبادئ؛ وقد ذكر هذا المنهج في مقدمة تفسيره فقال: **(ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد، لا للاعتضاد، فإنها على ثلاثة أقسام:**

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذاك صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته لما تقدم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني؛ ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في هذا كثيرًا، ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك، كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعدّتهم، وعصا موسى من أي الشجر كانت؟ وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلَّم الله منها موسى، إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن، مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم. ولكن نَقْلُ الخلاف عنهم في ذلك جائز، كما قال تعالى: {سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلا قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا } [1][2].

وهذا التحقيق المتقن استله ابن كثير – رحمه الله - من مقدمة التفسير لشيخه ابن تيمية رحمهما الله جميعاً[3].

ولم يكتف – رحمه الله - في تقعيد ذلك في مقدمة الكتاب بل كان يركز على ذلك حتى في ثنايا التفسير، ويرى أن المبالغة في ذلك والاهتمام به من ضياع الزمان فيما لا فائدة فيه مع نقده - تلميحاً - لما سلكه بعض المفسرين في ذلك فيقول – رحمه الله -:

([1]) سورة الكهف آية: (22).

([2]) تفسير القرآن العظيم 1|9.

([3]) مقدمة في أصول التفسير ص96.

- وما يذكر من الأخبار عنه (أي إبراهيم عليه الصلاة والسلام) **- في إدخال أبيه له في السرب[1]، وهو رضيع، وأنه خرج به بعد أيام، فنظر إلى الكوكب والمخلوقات، فتبصر فيها وما قصه كثير من المفسرين وغيرهم - فعامتها أحاديث بني إسرائيل، فما وافق منها الحق مما بأيدينا عن المعصوم قبلناه لموافقته الصحيح، وما خالف شيئًا من ذلك رددناه، وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة لا نصدقه ولا نكذبه، بل نجعله وقفاً، وما كان من هذا الضرب منها فقد ترخص كثير من السلف في روايتها، وكثير من ذلك ما لا فائدة فيه، ولا حاصل له مما ينتفع به في الدين. ولو كانت فيه فائدة تعود على المكلفين في دينهم لبينته هذه الشريعة الكاملة الشاملة. والذي نسلكه في هذا التفسير الإعراض عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية، لما فيها من تضييع الزمان، ولما اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم، فإنهم لا تفرقة عندهم بين صحيحها وسقيمها كما حرره الأئمة الحفاظ المتقنون من هذه الأمة)[2].**

وقال – رحمه الله -:

- (ثم ليعلم أن أكثر ما يُحدّثون به غالبُه كذب وبهتان؛ لأنه قد دخله تحريف وتبديل وتغيير وتأويل، وما أقل الصدق فيه، ثم ما أقل فائدة كثير منه لو كان صحيحاً)[3].

وأما إيراده لهذه الروايات فهو يختلف عن الخازن، أولاً بقلة ما يورده منها، وثانياً بتهميشه لها وعدم الاعتماد عليها بل للتنبيه عليها، والتحذير منها.

فمن ذلك أنه قال:

- ذكر غير واحد من المفسرين: أن فرعون خرج في جحفل[4] عظيم وجمع كبير، وهو عبارة عن مملكة الديار المصرية في زمانه، أولي الحل والعقد والدول، من الأمراء والوزراء والكبراء والرؤساء والجنود، فأمَّا ما ذكره غير واحد من

([1]) السرب: الطريق. ينظر الصحاح (1|146) مادة (سرب).

([2]) تفسير القرآن العظيم 5|347،348.

([3]) تفسير القرآن العظيم 6|284.

([4]) الجحفل: الجيش. ينظر الصحاح (4|1652) مادة (جحفل).

الإسرائيليات، من أنه خرج في ألف ألف وستمائة ألف فارس، منها مائة ألف على خيل دُهْم[1]، وقال كعب الأحبار: فيهم ثمانمائة ألف حصان أدهم ، ففي ذلك نظر. والظاهر أنه من مجازفات بني إسرائيل، والله، سبحانه وتعالى، أعلم [2].

على أنه – رحمه الله – قد يذكر شيئاً من ذلك لكونه روي عن بعض الصحابة ثم ينبه على الإعراض عن كثير منها؛ فإنه لما ذكر قصة قارون أورد بعض أسباب خسفه ثم قال في آخرها:

- **(...وقد ذكر ها هنا إسرائيليات غريبة أضربنا عنها صفحًا)** [3]. وكان قد ذكر بعض هذه المرويات عن بعض الصحابة.

والذي يرجع إلى كتاب الخازن[4] – رحمه الله - يجد تلك الأخبار الكثيرة؛ ولعلها هي التي أشار إليها ابن كثير رحمهما الله جميعاً.

بل إنه أحياناً يشير إليها إشارة؛ وذلك للتنبيه عليها والحذر منها؛ قال - في تفسير قوله تعالى: **{فُتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ}** [5]-:

- وقد زعم بعضهم أن المراد بقوله: { فُتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ } أنها صخرة تحت الأرضين السبع، ذكره السُّدِّي بإسناده ذلك المطروق[6] عن ابن عباس وابن مسعود وجماعة من الصحابة إن صح ذلك، ويروى هذا عن عطية العوفي، وأبي مالك، والثوري، والمِنهال بن عمرو، وغيرهم وهذا والله أعلم، كأنه متلقى من الإسرائيليات التي لا تصدق، ولا تكذب.... [7].

---

(1) الدُّهْمَةُ السواد والأدْهَمُ الأسْود. لسان العرب 12|209، مادة (دهم).

(2) تفسير القرآن العظيم 6|143.

(3) المصدر السابق 6|257.

(4) لباب التأويل 3|411وما بعدها.

(5) سورة لقمان آية: (16).

(6) المطروق له عدة معان في اللغة أقربها إلى السياق أن المطروق ههنا: الضعيف أي الإسناد الواهي الرخو الضعيف. ينظر الصحاح (4|1514) مادة (طرق).

(7) تفسير القرآن العظيم 3|338.

وما إن تحوم هذه الروايات الإسرائيلية حول حمى العقيدة والمنطق إلا وينبري ابن كثير للوقوف أمامها والرد عليها؛ ولربما اكتفى بتهوين أمرها كونها من الإسرائيليات، قال:

- **وقد تكلف بعضهم لذكر شيء من تلك المآرب[1]** (أي المتعلقة بعصا موسى عليه السلام) **التي أبهمت، فقيل: كانت تضيء له بالليل، وتحرس له الغنم إذا نام، ويغرسها فتصير شجرة تظله، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة والظاهر أنها لم تكن كذلك، ولو كانت كذلك لما استنكر موسى صيرورتها ثعبانًا، فما كان يفر منها هاربًا، ولكن كل ذلك من الأخبار الإسرائيلية [2].**

ومع حرصه على عدم الاعتماد عليها وشدة التحرز منها إلا أن قد يورد أشياء منها بدون التنبيه عليها قد يكون المبرر الوحيد في إيرادها تصديرها بالرواية عن كعب أو ابن منبه لاشتهارهما بذلك أو على حد قوله في الكلام الذي تقدم: **(لكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد، لا للاعتضاد)**[3] وذلك كما فعل عند تفسير قوله تعالى: **{وَمَا تَحْتَ الثَّرَى}**[4] قال:

- **وقوله: { وَمَا تَحْتَ الثَّرَى } قال محمد بن كعب: أي ما تحت الأرض السابعة. وقال الأوزاعي: إن يحيى بن أبي كثير حدثه: أن كعبًا سُئِل فقيل له: ما تحت هذه الأرض؟ فقال: الماء. قيل: وما تحت الماء؟ قال: الأرض. قيل: وما تحت الأرض؟ قال: الماء. قيل: وما تحت الماء؟ قال: الأرض، قيل: وما تحت الأرض؟ قال: الماء. قيل: وما تحت الماء؟ قال: الأرض، قيل: وما تحت الأرض؟ قال الماء. قيل: وما تحت الماء؟ قال: الأرض، قيل: وما تحت الأرض؟ قال: صخرة. قيل: وما تحت**

([1]) المَآربُ: جمع المَأرُبة - بفتح الراء وضمها-: الحاجة. ينظر المصباح المنير في غريب الشرح الكبير(1|11) مادة (الأرب)، لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، ط المكتبة العلمية – بيروت.

([2]) تفسير القرآن العظيم 5|279.

([3]) المصدر السابق 1|9.

([4]) تفسير سورة طه آية: (6).

الصخرة؟ قال: ملك. قيل: وما تحت الملك؟ قال: حوت معلق طرفاه بالعرش، قيل: وما تحت الحوت؟ قال: الهواء والظلمة وانقطع العلم . [1].

ومن شدة تجافيه – رحمه الله - عن الإسرائيليات أنه يستغل الفرص السانحة للتنبيه عليها والتحذير منها، فمع شهرة كعب في نقل الإسرائيليات فإن ابن كثير لم يغفل التنبيه على ذلك حيث يقول في تفسير سورة مريم:

- **(هذا من أخبار كعب الأحبار الإسرائيليات، وفي بعضه نكارة، والله أعلم)** [2].

وقال في تفسير سورة الشعراء:

- **(ومن زعم أن إرم مدينة، فإنما أخذ ذلك من الإسرائيليات من كلام كعب ووهب، وليس لذلك أصل أصيل)**[3].

وذلك يؤكد صحة ما تقدم من أن إيراده لبعضها إنما مبرره التصدير بمن اشتهر عنه روايتها.

ومن هنا يتضح مدى الفرق بين إمامينا الجليلين في قضية شائكة عند المفسرين وهي قضية الإسرائيليات؛ وأن الخازن جرى على عادة الكثير من المفسرين بينما وُفِقَ ابن كثير لتحقيق المسألة فيها، والتجافي عنها إلى حد كبير.

المقارنة:

- لاشك أن الخازن – رحمه الله - قد نقل الكثير من الإسرائيليات حتى أصبح تفسيره مقترناً بها عند ذكره، ولعله جرى في ذلك مجرى كثير من المفسرين قبله. وهذا بخلاف المنهج الذي سار عليه ابن كثير – رحمه الله - فقد تبين من خلال تقريره وتفسيره شدة التجافي عنها إلا في حالات ضيقة ويسيرة.
- الخازن – رحمه الله – لا ينبه على الخطأ في هذه المرويات إلا في النادر بالنسبة لكثرة ما أورده منها؛ فهو إذن لم يلتزم منهجه في التنبيه على مداخل

([1]) تفسير القرآن العظيم 5|273.

([2]) المصدر السابق 5|241.

([3]) المصدر السابق 6|154.

الخلل فيها؛ وهذا عكس صنيع ابن كثير – رحمه الله - فإنه على حرصه على عدم إيرادها لا يكاد يوردها إلا ونبه عليها.

- إن الخازن – رحمه الله - يفندها ويردها إذا لامست جناب العقيدة في الغالب؛ وابن كثير يشاركه في ذلك.
- الخازن يطيل النَفَس في ذكر هذه المرويات وسرد تفاصيلها حتى تتجاوز صفحات بحيث يشعر القارئ كأنه يقرئ كتاباً في الأخبار؛ وعلى العكس منه كان ابن كثير فإنه يشير إليها إشارة، ويتعمد اطراحها ويرى ذكرها والتطويل فيه من ضياع الزمان.

الفصل الثاني

(اهتمامات الشيخين في كتابيهما)

ويشتمل على تمهيد وخمسة مباحث:

التمهيد: وفيه المراد بالاهتمامات وأهم الموضوعات والأمور التي عني بها الشيخان وشغلت مساحة من تفسيريهما.

المبحث الأول: وفيه المقارنة بينهما في الكلام على مسائل الاعتقاد والاهتمام بها وتقريرها.

المبحث الثاني: وفيه المقارنة بينهما في عرض الأحكام الفقهية والتدليل عليها وسرد الأقوال وترجيحها.

المبحث الثالث: وفيه المقارنة بينهما في الكلام على مباحث علوم القرآن، كالنسخ وأسباب النزول ونحوها واهتمامهما بذلك.

المبحث الرابع: وفيه المقارنة بينهما في تفسير القرآن من جهة اللغة العربية وأدواتها.

المبحث الخامس: وفيه المقارنة بينهما في الجانب التربوي والوعظ والإرشاد.

التمهيد:

لكل كاتب أو مؤلف أمور يظهر عنايته بها أثناء كتابته، واهتمامات تأخذ بزمام أفكاره وتأطُره على تسويدها والناظر في كتابي إمامينا الكريمين يجد ذلك واضحاً دون عناء فلكل واحد منهما اهتمامات وقضايا شغلت مساحة واسعة من تفسيره.

والمراد باهتمامات الإمامين هنا ما هو موضع عناية كل منهما ومحل قيامه به [1] أو الأمور التي كان لها حظ ونصيب مهم من تفسيري الإمامين وشغلت مساحة من فكريهما وحظيت بمزيد من عنايتهما.

وقد حاولت تقصي ذلك من خلال دراستي للكتابين وتصنيفها حسب الموضوع المناسب لها.

وكان أول ما يبدئ به الجانب العقدي لما له من الأهمية، ولأنه ما من كاتب ولا مؤلف إلا وهو يصدر عن عقيدته وينطلق من خلالها.

([1]) انظر لمعنى (الاهتمام) تاج العروس(39|121) مادة (عني) لمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط: دار الهداية، والمصباح المنير (2|641) للرافعي ط: المكتبة العلمية – بيروت، والمعجم الوسيط (2|995) لإبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ط: دار الدعوة.

المبحث الأول: المقارنة بينهما في الكلام على مسائل الاعتقاد والاهتمام بها وتقريرها

لا يختلف اثنان في أهمية العقيدة بالنسبة للفرد ومدى تأثيرها على سلوكه وأعماله ومن ذلك كتابته وتأليفه؛ ثم إنها الرأس والأساس في منح الأعمال صحتها من البطلان، ولذلك اهتم بها الشيخان الكريمان اهتماماً بالغاً، وأولياها عناية خاصة فلا تكاد تمر آية متعلقة بجانبها الخطير، وجنابها الجليل إلا وتحدثا عليه وبينا موضع خطأ بعض من أخطأ فيه، وقبل الشروع في ذلك ثَم وقفة في المراد بالعقيدة والتعريف بها.

العقيدة: مأخوذة في اللغة من مادة عقد، ومعاني عقد في اللغة تأخذ معنى: الشد والحزم والربط وشدة الوثوق[1] والمراد بها في الاصطلاح: الأمور التي يجب أن يُصَدِّقَ بها القلب، وتطمئن إليها النفس، حتى تكون يقيناً ثابتاً لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك[2].

والعقيدة كما هو معلوم إنما تؤخذ من مصدري التشريع الكتاب والسنة؛ ولذلك فإن من يتعرض لشرح كتاب الله وتفسيره لابد وإن يتعرض للكلام على العقيدة ويتحدث عنها؛ من هنا كان لابد من الوقوف على ما يسطره المفسرون في كتبهم فيما يتعلق بهذا الشأن ومن أولائك المفسرين الإمامان الجليلان الخازن وابن كثير وما سطراه واهتما به في شأن العقيدة.

أولاً اهتمام الإمام الخازن – رحمه الله - بالجانب العقدي:

إن الخازن – رحمه الله – قد أولى المسائل العقدية اهتمامه الواضح سواء كان ذلك في سبيل تقريرها أو الدفاع عنها والتحذير من الخارجين عليها. ومع ما يلحظه القارئ من اهتمامه بالعقيدة إلا أن أمراً ما قد شغل بال الخازن وأرق فكره؛ فتراه

([1]) انظر معجم مقاييس اللغة (4|86) مادة (عقد) لابن فارس، وتاج العروس (8|398) مادة (عقد).

([2]) الوجيز في عقيدة السلف الصالح ص (29) لعبد الله بن عبد الحميد الأثري، تقديم صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ط : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية،الطبعة : الأولى 1422هـ.

يتتبع مواضعه بدقه وينافح عنه منافحة المستميت؛ ذلك الأمر هو الجانب الإيماني والعقدي بالنسبة للأنبياء عليهم أكمل الصلوات وأتم التسليمات، وقد أبدى فيه وأعاد غير مرة يقرره تارة، ويدافع عنه أخرى، ويبين خطأ من أخطأ فيه ثالثة وقد أخبر أنه سيأخذ على عاتقه بيان الحق فيه في كل موضع بما يناسبه فبعد أن نافح ودافع عن آدم عليه الصلاة والسلام قال:

- **(قلت: إن درجة الأنبياء من الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظم سلطانه وقوة بطشه، مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والإشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم، وإنهم في تصرفهم بأمور لم ينهوا عنها ولم يؤمروا، وآتوها على وجه التأويل أو السهو وتزيدوا من أمور الدنيا المباحة أوخذوا عليها وعوتبوا بسببها أو حذروا من المؤاخذة بها فهم خائفون وجلون، وهي ذنوب بالإضافة إلى علو منصبهم ومعاص بالنسبة إلى كمال طاعتهم، لا أنها ذنوب كذنوب غيرهم ومعاصيهم كان هذا أدنى أفعالهم وأسوأ ما يجري من أحوالهم كما قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين، أي يرونها بالإضافة إلى علو أحوالهم كالسيئات وسنذكر في كل موضع ما يليق به وما قيل فيه إن شاء الله تعالى)**[1].

فهذا وعد منه بالعناية بجناب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ وهذا الوعد قد سال حبراً في صفحات كتابه ليحكي لنا قصة الوفاء منه لهم صلوات الله وسلامه عليهم ورحمه الله وأثابه.

بل إن هذه القضية هي الشامة التي زان بها الخازن – رحمه الله - تفسيره وزين بها كتابه فبها تميَّز وأفاد وأجاد؛ فرحمة الله عليه.

فمن ذلك ما قاله عند تفسير قوله تعالى: **{ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ }** [2] قال:

([1]) لباب التأويل 3|251.

([2]) سورة الشعراء آية: (213).

- الخطاب للنبي - صلى الله عليه وسلم - والمراد به غيره لأنه معصوم من ذلك. قال ابن عباس: ((يحذر بهم غيره يقول أنت أكرم الخلق علي، ولو اتخذت إلهاً غيري لعذبتك))[1][2].

وكذلك ما فعله عند قصة زواج زينب رضي الله عنها؛ بل قد عقد فصلاً مستقلاً له، قال:

- فإن قلت: ما ذكروه في تفسير هذه الآية، وسبب نزولها من وقوع محبتها في قلب النبي - صلى الله عليه وسلم - عندما رآها وإرادته طلاق زيد لها فيه أعظم الحرج، وما لا يليق بمنصبه - صلى الله عليه وسلم - من مد عينيه لما نهى عنه من زهرة الحياة الدنيا.

قلت : هذا إقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي - صلى الله عليه وسلم - وبفضله وكيف يقال رآها فأعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه - صلى الله عليه وسلم - وهو زَوَّجَها لزيد، فلا يشك في تنزيه النبي - صلى الله عليه وسلم - عن أن يأمر زيداً بإمساكها، وهو يحب تطليقه إياها[3]. وهو – رحمه الله - لا يكاد يجد فرصة سانحة تتعلق بالعقيدة إلا انتهزها واستغل الكلام عليها في توضيح الحق والدفاع عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومع أن تفسيره يعد من التفاسير المختصرة المجملة إلا أنه إذا أتى الكلام على العقيدة أطنب فيه وتوسع ونقل عن غيره لا سيما الإمام الرازي[4] - رحمهما الله - كما فعل عند قوله تعالى: **{ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى }** [5].

([1]) الأثر في معالم التنزيل (6|131-132).

([2]) لباب التأويل 3|371.

([3]) لباب التأويل 3|468.

([4]) هو العلامة الكبير ذو الفنون: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الطبرستاني الاصولي المفسر كبير الاذكياء والحكماء والمصنفين ت|606هـ. انظر سير أعلام = = النبلاء 21|500 ،للذهبي، تحقيق: بشار عواد و محيي هلال السرحان، ط مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1404 هـ- 1984م.

([5]) سورة طه آية: (47).

فإنه قال هناك:

- (فصل : في بيان عصمة الأنبياء وما قيل في ذلك) قال الإمام فخر الدين الرازي: اختلف الناس في عصمة الأنبياء وضبط القول فيها يرجع إلى أقسام أربعة:
أحدهما: ما يقع في باب الإعتقاد وهو اعتقاد الكفر والضلال فإن ذلك غير جائز عليهم.
والثاني: ما يتعلق بالتبليغ فقد أجمعت الأمة على كونهم معصومين عن الكذب مواظبين على التبليغ والتحريض. وإلا لارتفع الوثوق بالأداء واتفقوا على أن ذلك لا يجوز وقوعه منهم عمداً ولا سهواً ومن الناس من جوز ذلك سهواً قالوا لأن الاحتراز عنه غير ممكن.
الثالث: ما يتعلق بالفتيا فأجمعوا على أنه لا يجوز خطؤهم فيها على سبيل العمد وأجازه لبعضهم على سبيل السهو. الرابع: ما يقع في أفعالهم فقد اختلفت الأمة فيه على خمسة أقوال.
أحدها : قول من جوز عليهم الكبائر.
الثاني : قول من منع من الكبائر وجوز الصغائر على جهة العمد وهو قول أكثر المعتزلة.
الثالث: لا يجوز أن يأتوا بصغيرة ولا كبيرة البتة بل على جهة التأويل وهو قول الجبائي.
الرابع: أنه لا يقع منهم الذنب إلا على جهة السهو والخطأ.
الخامس: أنه لا يقع منهم لا كبيرة ولا صغيرة لا على سبيل العمد ولا على سبيل السهو ولا على سبيل التأويل، وهو قول الشيعة.
واختلفت الناس في وقت العصمة على ثلاثة أقوال: أحدها : قول من ذهب إلى أنهم معصومون من حين وقت الولادة وهو قول الشيعة.
الثاني : قول من ذهب إلى عصمتهم من وقت بلوغهم وهو قول أكثر المعتزلة.
الثالث قول من ذهب إلى أن ذلك لا يجوز منهم بعد النبوة وهو قول أكثر أصحابنا.....[1].

واستطرد في نقل كلام الرازي وغيره إلى أن قال: **فإن قلت: إذا نفيت عنهم الذنوب والمعاصي فما معنى قوله: { وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى }**[2] **وما تكرر في القرآن والحديث من اعتراف الأنبياء بذنوبهم، وتوبتهم، واستغفارهم، وإشفاقهم، وبكائهم على ما سلف منهم، وهل يتوب ويستغفر من لا شيء عليه.**
قلت: إن درجة الأنبياء من الرفعة، والعلو، والمعرفة بالله وسنته في عباده، وعظم سلطانه وقوة بطشه، مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله، والإشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم، وإنهم في تصرفهم بأمور لم ينهوا عنها ولم

([1]) لباب التأويل 3|250.

(2) سورة طه آية: (121).

يؤمروا، وآتوها على وجه التأويل أو السهو وتزيدوا من أمور الدنيا المباحة أوخذوا عليها وعوتبوا بسببها أو حذروا من المؤاخذة بها فهم خائفون وجلون، وهي ذنوب بالإضافة إلى علو منصبهم ومعاص بالنسبة إلى كمال طاعتهم، لا أنها ذنوب كذنوب غيرهم ومعاصيهم كان هذا أدنى أفعالهم وأسوأ ما يجري من أحوالهم كما قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين: أي يرونها بالإضافة إلى علو أحوالهم كالسيئات وسنذكر في كل موضع ما يليق به وما قيل فيه إن شاء الله تعالى[1].

ثم إن الخازن يعطي عقله أحياناً حرية التفكير والتوجيه في كلامه على بعض المسائل العقدية بما يتناسب مع المقام يقول - في تفسير سورة مريم -:

- فإن قلت: كيف يُدفع عن المؤمنين حر النار وعذابها، قلت: يحتمل أن الله تعالى يخمد النار فتعبرها المؤمنون، ويحتمل أن الله تعالى يجعل الأجزاء الملاصقة لأبدان الكفار من النار محرقة والأجزاء الملاصقة لأبدان المؤمنين تكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت في حق إبراهيم عليه السلام، وكما أن الملائكة الموكلين بها لا يجدون ألمها[2].

كما أن للخازن – رحمه الله - اهتماماً بتقرير العقيدة على طريقة أهل الكلام وكذلك النقل عنهم - يظهر ذلك في كلامه على دليل التمانع[3] عند قوله تعالى: **{ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا }** [4] فقد نقل كلاماً طويلاً عن الرازي وهو عكس ما صنعه قرينه ابن كثير - رحم الله الجميع -.

يقول الخازن – رحمه الله -:

- { لَوْ كَانَ فِيهِمَا } يعني في السماء والأرض { آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ } يعني غير الله { لَفَسَدَتَا} يعني لخربتا وهلك من فيهما الوجود. والتمانع من الآلهة؛ لأن كل أمر

---

(1) لباب التأويل 3|251.

(2) المصدر السابق 3|228.

(3) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (دليل التمانع: المشهور عند المتكلمين أنه لو كان للعالم صانعان لكان أحدهما إذا أراد أمرا وأراد الآخر خلافه مثل أن يريد أحدهما إطلاع الشمس من مشرقها ويريد الآخر إطلاعها من مغربها أو من جهة أخرى امتنع أن يحصل مرادهما لأن ذلك جمع بين الضدين فيلزم إما أن لا يحصل مراد واحد منهما فلا يكون واحد منهما رباً وإما أن يحصل مراد أحدهما دون الآخر فيكون الذي حصل مراده هو الرب دون الآخر) منهاج السنة 3|180 تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط: مؤسسة قرطبة ، الطبعة لأولى.

(4) سورة الأنبياء آية: (22).

صدر عن الاثنين فأكثر لم يجر على النظام وقال الإمام فخر الدين الرازي: قال المتكلمون: القول بوجود إلهين يفضي إلى المحال , فوجب أن يكون القول بوجود إلهين محالاً.....[1]. واستطرد الخازن بكلام طويل للفخر الرازي في شأن تقرير دليل التمانع.

ومع هذا كله فإنه يعود ويقرر العقيدة على طريقة السلف، يقول - عند قوله تعالى:**{ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ }** [2]-:

- أي ذوات العدل ومعنى وصفها بذلك لأن الميزان قد يكون مستقيماً وقد يكون بخلافه فبين أن تلك الموازين تجري على حد العدل ومعنى وضعها إحضارها {لِيومِ القِيَامَة} أي لأهل يوم القيامة قيل المراد بالميزان العدل والقسط بينهم في الأعمال، فمن أحاطت حسناته بسيئاته فاز ونجا وبالعكس ذل وخسر، والصحيح الذي عليه أئمة السلف أن الله سبحانه وتعالى يضع الموازين الحقيقية ويزن بها أعمال العباد، وقال الحسن: هو ميزان له كفتان ولسان وأكثر الأقوال أنه ميزان واحد وإنما جمع لاعتبار عدد الأعمال الموزونة به. وروي أن داوود عليه الصلاة والسلام (سأل ربه عزّ وجلّ أن يريه الميزان فأراه كل كفته ما بين المشرق والمغرب فلما رآه غشي عليه، ثم فاق فقال إلهي من الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات؟ قال يا داوود إني إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة)[3].

فعلى هذا ففي كيفية وزن الأعمال مع أنها أعراض طريقان:

أحدهما: أن توضع صحائف الأعمال فتوضع صحائف الحسنات في كفة، وصحائف السيئات في كفة.

والثاني: أن يجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة، وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة) [4].

---

(1) لباب التأويل 3|257.

([2]) سورة الأنبياء آية: (47).

([3]) هكذا بدون سند!! ذكره البغوي (5|321) والثعلبي (6|277).

([4]) لباب التأويل 3|261.

والناظر في هذا الكتاب المختصر يجد أن الخازن قد تكلم في موضوعات كثيرة في العقيدة بحسب ما أتيح له من الحديث عنها فقد تكلم على أفعال العباد، قال:

- { وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ } المزين هو الله لأنه الفعال لما يريد ، وإنما ذكر الشيطان لأنه سبب الإغواء [1].

وعلى حكم صاحب الكبيرة،ففي لباب التأويل:

- أنّ القذف من الكبائر لأن اسم الفاسق لا يقع إلا على صاحب كبيرة[2]

وعلى عصمة الأنبياء، يقول:

- قلت إن درجة الأنبياء من الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظم سلطانه وقوة بطشه،مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والإشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم، وإنهم في تصرفهم بأمور لم ينهوا عنها ولم يؤمروا ، وآتوها على وجه التأويل أو السهو وتزيدوا من أمور الدنيا المباحة أوخذوا عليها وعوتبوا بسببها أو حذروا من المؤاخذة بها فهم خائفون وجلون، وهي ذنوب بالإضافة إلى علو منصبهم ومعاص بالنسبة إلى كمال طاعتهم، لا أنها ذنوب كذنوب غيرهم ومعاصيهم كان هذا أدنى أفعالهم وأسوأ ما يجري من أحوالهم كما قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين، أي يرونها بالإضافة إلى علو أحوالهم كالسيئات وسنذكر في كل موضع ما يليق به وما قيل فيه إن شاء الله تعالى[3].

ونحو ذلك.

والمتأمل فيه أيضاً يجد أنه يهتم بالمسائل التي خالفت فيها المعتزلة فتراه يتعرض لهم بذكر عقيدتهم وردها أو بالتصريح بذكرهم وبيان خطأهم فمن الأول ما مر آنفاً من ذكر الميزان ومن الثاني قوله:

([1]) المصدر السابق 3|382.

([2]) المصدر السابق 3|315.

([3]) المصدر السابق 3|251 وغيرها كثير.

- .....{ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا } [1] أي الشرك { وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا } أي جميعاً، وقيل جاثين على الركب. قالت المعتزلة: في الآية دليل على صحة مذهبهم، في أن صاحب الكبيرة والفاسق يخلد في النار بدليل أن الله بين أن الكل يردونها ثم بين صفة من ينجو منها، وهم المتقون والفاسق لا يكون متقياً فبقي في النار أبداً.

وأجيب عنه: بأن المتقي هو الذي يتقي الشرك بقول لا إله إلا الله ويشهد لصحة ذلك أن من آمن بالله ورسوله، صح أن يقول إنه متق من الشرك ومن صدق عليه أنه متق من الشرك صح أنه متق، لأن المتقي جزء من المتقي من الشرك ومن صدق عليه المركب صدق عليه المفرد، فثبت أن صاحب الكبيرة متق وإذا ثبت ذلك وجب أن يخرج من النار بعموم قوله تعالى { ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا } فصارت الآية التي توهموها دليلاً لهم من أقوى الدلائل على فساد قولهم، وهذا من حيث البحث وأما من حيث النص فقد وردت أحاديث تدل على إخراج المؤمن الموحد من النار[2].

ويتميز رحمه الله بإيراد الإشكال والجواب المقنع عليه وهذا كثير، فمن ذلك قوله:

- فإن قلت: قد قال ها هنا ولا يتساءلون وقال في موضع آخر وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون.

قلت: قال: ابن عباس إن للقيامة أحوالاً ومواطن ففي موطن يشتد عليهم الخوف فيشغلهم عظم الأمر عن التساؤل فلا يتساءلون وفي موطن يفيقون إفاقة فيتساءلون [3]. وهو أحياناً يطيل النَفَس في الكلام على العقيدة كما مر في كلامه على الميزان وأحياناً يختصر جداً كما قال:

- {وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ} المزين هو الله لأنه الفعّال لما يريد، وإنما ذكر الشيطان لأنه سبب الإغواء[4].

([1]) سورة مريم آية: (72).

([2]) لباب التأويل 3|228.

([3]) المصدر السابق 3|311.

([4]) لباب التأويل 3|382.

ومجمل القول أن الخازن – رحمه الله – اهتم بالجانب العقدي تقريراً ودفاعاً وتتبعاً إلا أن ثمة قضية مهمة وقعت له في التفسير وهو ذلك التردد - في بعض المواضع - الذي تأرجح فيها بين منهجي السلف والخلف أو المتقدمين والمتأخرين كما يعبر هو – رحمه الله – وقد تقدم الكلام والأمثلة على ذلك في المبحث الرابع من الفصل الأول في أول بابي البحث والله ولي النعمة وهو الهادي إلى سواء السبيل.

- **ثانياً اهتمام الحافظ ابن كثير – رحمه الله – بالجانب لعقدي:**

أما بالنسبة لإمامنا الثاني ابن كثير فقد كان اهتمامه بالعقيدة واضحاً جلياً متمثلاً ذلك بتقريرها وسرد أدلتها ودفع الوهم عنها؛ وكذلك بيان أخطاء الفرق والرد عليها؛ ومن جميل ما يذكر له – رحمه الله - أنه يقرر بأن المرجع في الأمور كلها هو الشرع الكريم والسنة المطهرة على صاحبها الصلاة والسلام وذلك لأنه – صلى الله عليه وعلى آله وسلم - أعلم الناس بربه تبارك وتعالى، يقول – رحمه الله -:

- وقوله: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا} [1] أي: استعلم عنه من هو خبير به عالم به فاتبعه واقتد به، وقد عُلِم أنه لا أحد أعلم بالله ولا أخبر به من عبده ورسوله محمد، صلوات الله وسلامه، على سيد ولد آدم على الإطلاق، في الدنيا والآخرة، الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى فما قاله فهو حق، وما أخبر به فهو صدق، وهو الإمام المحكم الذي إذا تنازع الناس في شيء، وجب ردّ نزاعهم إليه، فما يوافق أقواله، وأفعاله فهو الحق، وما يخالفها فهو مردود على قائله وفاعله، كائناً من كان[2].

والتحيّز للدليل واضح جداً في بيانه للعقيدة حتى إنه قد يورد الحديث ويكتفي بإيراده ليلخص به المعتقد الصحيح؛ قال - في معرض ما وقع فيه النصارى من الخطأ في عبادة المسيح -:

- ....وقد جاء في الحديث الصحيح المتفق على صحته، عن عبادة بن الصامت، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: ((من شهد أن لا إله

([1]) سورة الفرقان آية: (59).

([2]) تفسير القرآن العظيم 6|119.

إلا الله وحده لا شريك لـه وأن محمدًا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منـه، وأن الجنـة حق، والنـار حق، أدخلـه الله الجنـة على ما كان من العمل)) [1][2].

فكأنه يقول: هذا هو الواجب اعتقاده في هذا الموضوع.

وابن كثير – رحمه الله - يشارك الخازن في استغلال أي مدخل للكلام على العقيدة على الآية.

انظر إليه وهو يقرر العقيدة من خلال منفذ ظهر له من قوله تعالى:**{وَكَانَ رَسُولا نَبِيًّا}** [3] قال:

- في هذا دلالة على شرف إسماعيل على أخيه إسحاق؛ لأنه إنما وصف بالنبوة فقط، وإسماعيل وصف بالنبوة والرسالة؛ وقد ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ...)) وذكر تمام الحديث، فدل على صحة ما قلناه [4][5].

وأسلوبه في الكلام على العقيدة يختلف باختلاف الآية التي يتحدث عنها فإذا كان الأمر يقتضي وعظاً سرد العقيدة المتعلقة بالآية بكمالها بطريقة وعظية تناسب المقام قال:

([1]) رواه البخاري في كتاب الأنبياء باب (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم...) برقم: 3252. ومسلم في كتاب الإيمان باب من لقى الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار برقم: 149-150- 151.

([2]) تفسير القرآن العظيم 5|232.

([3]) سورة مريم آية: (54).

([4]) رواه مسلم بلفظ: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ....) في كتاب الفضائل باب فضل نسب النبي - صلى الله عليه وسلم - وتسليم الحجر عليه قبل النبوة برقم: 6077. واللفظ الذي ذكر المصنف رواه الترمذي في كتاب المناقب باب في فضل النبي - صلى الله عليه و سلم - برقم: 3605.

([5]) تفسير القرآن العظيم 5|240.

- وقوله: { ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا } [1] أي: إذا مرّ الخلائق كلهم على النار، وسقط فيها من سقط من الكفار والعصاة ذوي المعاصي، بحسبهم، نجى الله تعالى المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم. فجوازهم على الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا، ثم يشفعون في أصحاب الكبائر من المؤمنين، فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون، فيخرجون خلقًا كثيرًا قد أكلتهم النار، إلا دارات وجوههم - وهي مواضع السجود- وإخراجهم إياهم من النار بحسب ما في قلوبهم من الإيمان، فيخرجون أولاً من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه حتى يخرجوا من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان ثم يخرج الله من النار من قال يومًا من الدهر: لا إله إلا الله ((وإن لم يعمل خيرًا قط)) [2]، ولا يبقى في النار إلا من وجب عليه الخلود، كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ولهذا قال تعالى: { ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا } [3].

وأما إن احتاج الأمر إلى تقرير وإثبات وليس ثَم وعظ يقتضي المقام فإنه ينحو بالكلام عليها منحى العقديين في كتبهم لا سيما الآيات التي يكثرون الكلام عليها؛ قال:

- وقوله {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}: تقدم الكلام على ذلك في سورة الأعراف، بما أغنى عن إعادته أيضًا، وأن المسلك الأسلم في ذلك طريقة السلف، إمرار ما جاء في ذلك من الكتاب والسنة من غير تكييف ولا تحريف، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تمثيل[4].

([1]) سورة مريم آية: (72).

([2]) قد ثبت بذلك أحاديث كثيرة منها حديث الشفاعة المشهور وهو مخرج في الصحيحين، البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة) برقم: 7001، ومسلم في كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية برقم: 472.

([3]) تفسير القرآن العظيم 5|256.

([4]) تفسير القرآن العظيم 5|273.

ومن طرائق تقريره للعقيدة أن يورد قولاً مقراً له مثنياً على صاحبه كما فعل مع أثر قتادة الذي قال فيه:

- وقال قتادة: إنما جعل الله هذه النجوم لثلاث خصلات: جعلها زينة للسماء، وجعلها يهتدى بها، وجعلها رجومًا للشياطين، فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال برأيه، وأخطأ حظه، وأضاع نصيبه وتكلَّف ما لا علم له به. وإن ناسًا جَهَلَة بأمر الله، قد أحدثوا من هذه النجوم كهانة: من أعْرَس[1] بنجم كذا وكذا، كان كذا وكذا. ومَنْ سافر بنجم كذا وكذا، كان كذا وكذا. ومَنْ ولد بنجم كذا وكذا، كان كذا وكذا. ولعمري ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود، والقصير والطويل، والحسن والدميم، وما علْمُ هذا النجم وهذه الدابة وهذا الطير بشيء من الغيب! وقضى الله: أنه لا يعلم مَنْ في السموات والأرض الغيب إلا الله، وما يشعرون أيان يبعثون.

رواه ابن أبي حاتم عنه بحروفه[2]، وهو كلام جليل متين صحيح[3].

وفي العموم فقد نحى – رحمه الله - بالكلام على العقيدة منحى السهولة والتوضيح بعبارة بعيدة عن التعقيد بل يسوق العقيدة بأسلوب المسلّم المنقاد وبعبارة سهلة واضحة وبأبسط الأمثلة والأدلة محفوفة بالنقل عن السلف.

ففي القدر قال في تفسير قوله تعالى: **{ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى}** [4]:

-..... يقول تعالى مخاطبًا لموسى، عليه السلام: إنه لبث مقيمًا في أهل مدين فارًا من فرعون وملئه، يرعى على صهره، حتى انتهت المدة وانقضى الأجل، ثم جاء موافقًا لقدر الله وإرادته من غير ميعاد، والأمر كله لله تبارك وتعالى، وهو المسير

([1]) أعرس فلان: أي اتخذ عرسا. وأعرس بأهله، إذا بنى بها. الصحاح (3|948).

([2]) رواه ابن أبي حاتم في التفسير9|2913 برقم: 16536.

([3]) تفسير القرآن العظيم 6|207.

(4) سورة طه آية: (40).

عباده وخلقه فيما يشاء؛ ولهذا قال: {ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى } [1] قال مجاهد: أي على موعد [2].

وفي الأنبياء قال:

- قلت: أما الأنبياء، عليهم السلام، فكلهم معصومون مُؤيَّدون من الله عز وجل. وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء المحققين من السلف والخلف[3].

وفي الوعد والوعيد قال:

- وقوله: { وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ } [4] أي: الذي قد وَعَد، من إقامة الساعة والانتقام من أعدائه، والإكرام لأوليائه. قال الأصمعي: كنت عند أبي عمرو بن العلاء، فجاء عمرو بن عبيد، فقال: يا أبا عمرو، وهل يخلف الله الميعاد؟ فقال: لا. فذكر آية وعيد، فقال له: أمن العجم أنت؟ إن العرب تَعدُ الرجوع عن الوعد لؤماً، وعن الإيعاد كرماً، أومَا سمعتَ قول الشاعر:

لا يُرْهِبُ ابنَ العم منى سَطْوَتي[5] ولا أخْتَتِي[6] من سَطْوة المُتَهَدّد

فإنّي وَإن أوْعَدْتُه أوْ وَعَدْتُـــــه لَمُخْلِفُ إيعَادي ومُنْجزُ مَوْعدي[7].

وفي العرش قال في قوله تعالى:

- **{وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} [8] يعني: الكبير. وقال في آخر السورة: {رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ} أي: الحسن البهي. فقد جمع العرش بين العظمة في الاتساع والعلو، والحسن الباهر؛ ولهذا قال من قال:**

([1]) سورة طه آية: (40).

([2]) تفسير القرآن العظيم 5|293.

([3]) المصدر السابق 5|256.

([4]) سورة الحج آية: (47).

([5]) السطوة: القهر بالبطش. الصحاح (6|2376).

([6]) اختتأ: استَتَر خَوْفاً أو حَيَاءً.لسان العرب 1|63 مادة ختأ وتاج العروس 1|207مادة ختأ. والبيتان لعامر بن الطفيل انظر المصدرين السابقين.

([7]) تفسير القرآن العظيم5|439.

([8]) سورة المؤمنون آية: (86).

((إنه من ياقوتة حمراء)) [1][2].

ومن الطرائق أيضاً أن يشرح المعتقد الذي هو في صدد الكلام عليه على قالب تقعيد مقروناً بالتعليل كما قال في الإيمان بالكتب:

- وقوله: {قُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُم} [3] **، يعني: إذا أخبروا بما لا يعلم صدقه ولا كذبه، فهذا لا نُقدم على تكذيبه لأنه قد يكون حقا، ولا على تصديقه، فلعله أن يكون باطلاً ولكن نؤمن به إيماناً مجملاً معلقاً على شرط وهو أن يكون منزلاً لا مبدلاً ولا مؤولاً** [4].

ومن طرائقه أيضاً الاختصار في الكلام على ما يفي بالمقصود لا سيما في فروع القضايا العقدية قال رحمه الله:

- اختلف السلف في لقمان، عليه السلام: هل كان نبيًا، أو عبدًا صالحا من غير نبوة؟ على قولين، الأكثرون على الثاني[5].

([1]) أثر مروي عن اسماعيل بن أبي خالد قال أخبرت (أن العرش ياقوتة حمراء) رواه ابن أبي شيبة في (العرش وما روي فيه) ص73، تحقيق : محمد بن حمد الحمود ط: مكتبة المعلا – الكويت،الطبعة الأولى ، 1406هـ. ونسبه الذهبي لابن عمر - رضي الله عنهما – وقتادة، فقال في (وقال قتادة فيما رواه معمر عنه إن العرش من ياقوتة حمراء وقال مكي بن إبراهيم حدثنا موسى بن عبيدة عن عمر بن الحكم عن عبد الله بن عمر والعرش ياقوتة حمراء) (العلو للعلي الغفار) ص 148. وروي حديثاً، رواه أبو الشيخ في مواضع متفرقة من كتابه (العظمة) 2|631 تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري: دار العاصمة – الرياض، الطبعة الأولى، 1408هـ، وقد ضعفه الألباني في (ضعيف الجامع الصغير وزيادته) 563 برقم: 3859 ط: المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة1410هـ- 1990م.

([2]) تفسير القرآن العظيم5|490.

([3]) سورة العنكبوت آية: (46).

([4]) تفسير القرآن العظيم 6|285.

([5]) المصدر السابق 6|333.

- ومن ذلك: **وقد استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من العلماء إلى أن الخضر، عليه السلام، مات وليس بحي إلى الآن؛ لأنه بشر، سواء كان وليًا أو نبيًا أو رسولاً وقد قال تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ }** [1][2].

وإذا استدعى الأمر إلى تطويل وتحقيق المسألة فعل ذلك كما صنع ذلك في الكلام على سماع الموتى قائلاً:

- يقول تعالى: كما أنك ليس في قدرتك أن تسمع الأموات في أجداثها، ولا تبلغ كلامَك الصم الذين لا يسمعون، وهم مع ذلك مُدْبِرُون عنك، كذلك لا تقدر على هداية العميان عن الحق، وردهم عن ضلالتهم، بل ذلك إلى الله تعالى، فإنه بقدرته يسمع الأموات أصوات الأحياء إذا شاء، ويهدي مَنْ يشاء، ويضل مَنْ يشاء، وليس ذلك لأحد سواه؛ ولهذا قال: { إِنْ تُسْمِعُ إلا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ} [3] **أي: خاضعون مستجيبون مطيعون، فأولئك هم الذين يستمعون الحق ويتبعونه، وهذا حال المؤمنين، والأول مَثَلُ الكافرين، كما قال تعالى: {إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ }** [4].

وقد استدلت أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، بهذه الآية: { إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى }، على توهيم عبد الله بن عمر في روايته مخاطبة النبي - صلى الله عليه وسلم - القتلى الذين ألقوا في قَلِيب بدر ، بعد ثلاثة أيام، ومعاتبته إياهم وتقريعه لهم، حتى قال له عمر: ((يا رسول الله، ما تخاطب من قوم قد جَيَّفوا؟ فقال: والذي

([1]) سورة الأنبياء آية: (34).

([2]) تفسير القرآن العظيم5|241.

([3]) سورة الروم آية: (53).

([4]) سورة الأنعام آية: (36).

نفسي بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا يجيبون)) [1]. وتأولته عائشة على أنه قال: إنهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق.

وقال قتادة: أحياهم الله له حتى سمعوا مقالته تقريعًا وتوبيخًا ونقمة والصحيح عند العلماء رواية ابن عمر، لما لها من الشواهد على صحتها من وجوه كثيرة، من أشهر ذلك ما رواه ابن عبد البر مصححًا له، عن ابن عباس مرفوعًا: ((ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم، كان يعرفه في الدنيا، فيسلم عليه، إلا رد الله عليه روحه، حتى يرد عليه السلام)) [2].

وثبت عنه - صلى الله عليه وسلم - أن الميت يسمع قرع نعال المشيعين له، إذا انصرفوا عنه[3]، وقد شرع النبي - صلى الله عليه وسلم - لأمته إذا سلموا على أهل القبور أن يسلموا عليهم سلام من يخاطبونه فيقول المسلم: ((السلام عليكم دار قوم مؤمنين)) [4]، وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل، ولولا هذا الخطاب لكانوا بمنزلة خطاب المعدوم والجماد، والسلف مجمعون على هذا، وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف بزيارة الحي له ويستبشر، فروى ابن أبي الدنيا في كتاب القبور عن

([1]) رواه البخاري في كتاب الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر برقم: 1304 ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه برقم: 7403 باختلافات يسيرة.

([2]) رواه ابن عبد البر بلفظ: (ما من أحد مر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام)، في الاستذكار كتاب الطهارة باب جامع الوضوء 1|185، تحقيق: سالم محمد عطا ، محمد علي معوض دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، 1421هـ – 2000م.

([3]) رواه البخاري في كتاب الجنائز باب الميت يسمع خفق النعال برقم: 1273 ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه برقم: 7395.

([4]) رواه مسلم في كتاب الطهارة باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل فى الوضوء برقم: 607.

عائشة، رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده، إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم)) [1].

وروي عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: ((إذا مر رجل بقبر يعرفه فسلم عليه، رد عليه السلام)) [2]**...** [3].

وله عناية بينة بالتوحيد الذي هو أصل الشريعة ومعيار القبول فتراه يبدي في الكلام عليه ويعيد تارة بالتصريح، وأخرى ضمن بيان المعنى الذي اشتملت عليه الآية، فمن الأول:

- قال: يخبر تعالى أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له، فإنه يسجد لعظمته كل شيء طوعا وكرها وسجود كل شيء مما يختص به، كما قال: { أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ} [4][5].

- ومثاله أيضاً: **(يقول تعالى مقررا أنه لا إله إلا هو؛ لأن المشركين - الذين يعبدون معه غيره - معترفون أنه المستقل بخلق السموات والأرض والشمس والقمر، وتسخير الليل والنهار، وأنه الخالق الرازق لعباده، ومقدر آجالهم، واختلافها واختلاف أرزاقهم ففاوت بينهم، فمنهم الغني والفقير، وهو العليم بما يصلح كُلا منهم، ومَنْ يستحق الغنى ممن يستحق الفقر، فذكر أنه المستبدُّ بخلق الأشياء**

([1]) انظر: كتاب القبور ص (201) لابن أبي الدنيا، قدم له وضبط نصه وخرج نصوصه: طارق محمد سكلوع العمود، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة 1420هـ - 2000م، والحديث من الملحق الذي ألحقه المحقق من الكتب التي نقلت عن ابن أبي الدنيا؛ إذ المخطوط غير كامل.

([2]) رواه تمام الرازي في الفوائد بلفظ: (ما من رجل يمر بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه) 1|63 برقم: 139، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط: مكتبة الرشد الرياض 1412هـ وابن عبد البر في (الاستذكار) (1|185) بلفظ: (ما من أحد مر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

([3]) تفسير القرآن العظيم 6|324.

([4]) سورة النحل آية: (48).

([5]) تفسير القرآن العظيم5|403.

المتفرد بتدبيرها، فإذا كان الأمر كذلك فلم يُعبد غيره؟ ولم يتوكل على غيره؟ فكما أنه الواحد في ملكه فليكن الواحد في عبادته، وكثيرًا ما يقرر تعالى مقام الإلهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية. وقد كان المشركون يعترفون بذلك، كما كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك) [1].

ومن الثاني:

- قال: **وقوله: { فَاعْبُدْنِي }** [2] **أي: وحدّني وَقْم بعبادتي من غير شريك** [3].

ومع اهتمامه حتى بفروع العقيدة ومسائلها نراه يخالف الخازن في التعويل على علم الكلام بل لا يعيره كبير اهتمام حتى أنه لم يشر إشارة إلى ذلك عند تفسير قوله تعالى: **{لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا}** [4]- التي كثير من المتكلمين يحوم حولها ويطيل الكلام عليها - بل اكتفى بسرد الآيات المشابهة لها فقط؛ فقال – رحمه الله -:

- ثم أخبر تعالى أنه لو كان في الوجود آلهة غيره لفسدت السموات الأرض، فقال { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ} أي: في السماء والأرض، { لَفَسَدَتَا }، كقوله تعالى: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ } [5] **، وقال هاهنا: {فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} أي: عما يقولون إن له ولدًا أو شريكًا، سبحانه وتعالى وتقدس وتنزه عن الذي يفترون ويأفكون علوًا كبيرًا.**

وقوله: { لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } [6] **أي: هو الحاكم الذي لا معقب لحكمه، ولا يعترض عليه أحد، لعظمته وجلاله وكبريائه، وعلوه وحكمته** [7].

([1]) تفسير القرآن العظيم 6|294.

([2]) سورة طه آية: (14).

([3]) تفسير القرآن العظيم 5|277.

([4]) سورة الأنبياء آية: (22).

([5]) سورة المؤمنون آية: (91).

([6]) سورة الأنبياء آية: (23).

([7]) تفسير القرآن العظيم5|337.

على إنه قد ذكر شيئاً من كلامهم بلفظ يوحي إلى عدم الاعتماد عليه مع الإقرار لما قالوه في هذا الموضع بالذات. قال – رحمه الله -:

- ينزه تعالى نفسه عن أن يكون له ولد أو شريك في الملك، فقال: { مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ }[1] أي: لو قُدِّر تعدد الآلهة، لانفرد كل منهم بما يخلق، فما كان ينتظم الوجود. والمشاهد أن الوجود منتظم متسق، كل من العالم العلوي والسفلي مرتبط بعضه ببعض، في غاية الكمال، { مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ } [2] ثم لكان كل منهم يطلب قهر الآخر وخلافه، فيعلو بعضهم على بعض. والمتكلمون ذكروا هذا المعنى وعبروا عنه بدليل التمانع، وهو أنه لو فرض صانعان فصاعدا، فأراد واحد تحريك جسم وأراد الآخر سكونه، فإن لم يحصل مراد كل واحد منهما كانا عاجزين، والواجب لا يكون عاجزًا، ويمتنع اجتماع مراديهما للتضاد. وما جاء هذا المحال إلا من فرض التعدد، فيكون محالاً فأما إن حصل مراد أحدهما دون الآخر، كان الغالب هو الواجب، والآخر المغلوب ممكنًا؛ لأنه لا يليق بصفة الواجب أن يكون مقهوراً؛ ولهذا قال: { وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ } أي: عما يقول الظالمون المعتدون في دعواهم الولد أو الشريك علوا كبيرا [3].

ولم يكتف إمامنا بالإعراض عن علم الكلام وأهله فحسب بل إنه لا يفوّت الفرصة في الرد عليهم، وبيان موضع الخطأ والزلل عندهم كما قال – رحمه الله -:

- ..... وكانوا يجحدون الصانع - تعالى - ويعتقدون أنه لا رب لهم سوى فرعون، فلما قال له موسى: { إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [4]، قال له: ومَنْ هذا الذي تزعم أنه رب العالمين غيري؟ هكذا فسره علماء السلف وأئمة الخلف، حتى قال السدي: هذه الآية كقوله تعالى:

([1]) سورة المؤمنون آية: (91).

([2]) سورة الملك آية: (3).

([3]) تفسير القرآن العظيم5|491.

([4]) سورة الزخرف آية: (46).

{ قالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى قالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى}[1].

ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم؛ أن هذا سؤال عن الماهية، فقد غلط؛ فإنه لم يكن مقرًا بالصانع حتى يسأل عن الماهية، بل كان جاحدًا له بالكلية فيما يظهر، وإن كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه، فعند ذلك قال موسى لما سأله عن رب العالمين: { قالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا} أي: خالق جميع ذلك ومالكه، والمتصرف فيه وإلهه، لا شريك له، هو الله الذي خلق الأشياء كلها، العالم العلوي وما فيه من الكواكب الثوابت والسيارات النيرات، والعالم السفلي وما فيه من بحار وقفار، وجبال وأشجار، وحيوان ونبات وثمار، وما بين ذلك من الهواء والطيور، وما يحتوي عليه الجو، الجميع عبيد له خاضعون ذليلون[2].

ولو أجريت مقارنة عابرة بين الشيخين في شأن هذه الآية لَبَانَ لك الفرق بين ميل الخازن إلى تقرير العقيدة بعبارات المتكلمين ومدى تمسك ابن كثير بمذهب السلف والتعويل عليه ومجافاة المتكلمين؛ فإن الخازن عند هذه الآية قال:

- ....{ قالَ فِرعونُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ}[3] يقول: أي شيء رب العالمين الذي تزعم أنك رسوله أي يستوصفه إلهه الذي أرسله إليه، وهو سؤال عن جنس الشيء، والله تعالى منزه عن الجنسية والماهية فلهذا عدل موسى عن جوابه، وأجابه بذكر أفعاله وآثار قدرته التي تعجز الخلائق عن الإتيان بمثلها)[4].

وقد مر في ثنايا البحث أن من جملة ما سطرته يراع الخازن – رحمه الله - في جانب خدمة العقيدة الرد على الفرق المخالفة وكان قد تفرغ للرد على المعتزلة ونقض استدلالاتهم وكذلك كان الشأن عند ابن كثير – رحمه الله - إلا أن وجه الخلاف بينهما في المردود عليه فكما تولى الخازن الرد على المعتزلة تولى ابن كثير الرد على المتصوفة والشيعة إضافة إلى المعتزلة مستغلاً بذلك أقرب المناسبات بل إن رده

([1]) سورة طه آية:(49 ، 50).

([2]) تفسير القرآن العظيم 6|138.

(3) سورة الشعراء آية: (23).

([4]) لباب التأويل (3|360).

أحياناً يأتي نتيجة كلامه على حديث أورده حول الآية مما يدل على حرصه – رحمه الله - في بيان الحق ونصح الأمة، يقول – رحمه الله -:

- وهذا الحديث[1] فيه دلالة على أنه لا بد من وجود اثني عشر خليفة عادلاً وليسوا هم بأئمة الشيعة الاثني عشر فإن كثيرًا من أولئك لم يكن إليهم من الأمر شيء، فأما هؤلاء فإنهم يكونون من قريش، يَلُون فيعدلون. وقد وقعت البشارة بهم في الكتب المتقدمة، ثم لا يشترط أن يكونوا متتابعين، بل يكون وجودهم في الأمة متتابعاً ومتفرقاً، وقد وُجِد منهم أربعة على الولاء، وهم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، رضي الله عنهم. ثم كانت بعدهم فترة، ثم وُجِد منهم ما شاء الله، ثم قد يُوجَد منهم مَن بقي في وقت يعلمه الله. ومنهم المهدي الذي يطابق اسمه اسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وكنيته كنيته، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً، كما ملئت جورًا وظلماً[2].

- وقال - في شأن المتصوفة -:

فهذه صديقة الأمة، وأم المؤمنين، وحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وهي تعلم أنها بريئة مظلومة، وأن قاذفيها ظالمون مفترون عليها، قد بلغ أذاهم إلى أبويها، وإلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وهذا كان احتقارها لنفسها وتصغيرها لشأنها، فما ظنك بمن قد صام يوما أو يومين، أو شهراً أو شهرين، قد قام ليلة أو ليلتين، فظهر عليه شيء من الأحوال، ولاحظوا أنفسهم بعين استحقاق الكرامات، وأنهم ممن يتبرك بلقائهم، ويُغتنم بصالح دعائهم، وأنهم يجب على الناس احترامهم وتعظيمهم وتعزيزهم وتوقيرهم، فيتمسح بأثوابهم، ويقبل ثرى أعتابهم، وأنهم من الله بالمكانة التي تنتقم لهم لأجلها من تنقصهم في الحال، وأن

([1]) إشارة إلى حديث كان قد قدَّم ذكره. وهو: (لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلاً) وهو في صحيح مسلم في كتاب الإمارة باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش برقم: 4810.

([2]) تفسير القرآن العظيم 6|78.

يؤخذ من أساء الأدب عليهم من غير إمهال، وإن إساءة الأدب عليهم ذنب لا يكفره شيء إلا رضاهم[1].

ولم يفته رحمه الله بيان الفرقة التي حازت الحق وظفرت بالدليل والتنبيه على اختلاف الأمة بل قال:

- وهذه الأمة أيضًا اختلفوا فيما بينهم على نحل كلها ضلالة إلا واحدة، وهم أهل السنة والجماعة، المتمسكون بكتاب الله وسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين، وأئمة المسلمين في قديم الدهر وحديثه، كما رواه الحاكم في مستدركه[2] أنه سئل، عليه (الصلاة) والسلام عن الفرقة الناجية منهم، فقال: ((ما أنا عليه اليوم وأصحابي)) [3].

وبعد هذه الرحلة الماتعة مع الشيخين في مسائل العقائد يمكن المقارنة بينهما من خلال النقاط التالية.

المقارنة:

يمكن القول من حيث الجملة بأن الشيخين في باب الكلام على العقيدة قد حققا المثل الشهير (كفرسي رهان)[4].

- الخازن – رحمه الله - يقرر العقيدة بنفسه وقد ينقل عن غيره كالرازي؛ وابن كثير – رحمه الله - يقوم بتقرير العقيدة بقلمه وإن كان يعزوها إلى السلف وينقل عن كثير منهم.

([1]) تفسير القرآن العظيم 6|405.

([2]) المستدرك فصل في توقير العالم برقم: 444.

([3]) تفسير القرآن العظيم 6|317.

([4]) الأمثال من الكتاب والسنة ص (51): للحكيم الترمذي تحقيق: د.السيد الجميلي، ط: دار إبن زيدون – بيروت، الطبعة الأولى ، 1985م. مجمع الأمثال (2|158) للميداني النيسابوري تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، ط: دار المعرفة – بيروت.

- الخازن اضطرب في تقرير العقيدة المتعلقة بصفات الرب تبارك وتعالى بين المتكلمين والمتقدمين، بخلاف ابن كثير فكلامه واضح جلي يؤيد طريقة السلف وينتقد طريقة الخلف.
- تنافس الشيخان - رحمهما الله - في قضية الدفاع عن الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - منافسة رائعة - تَنُم عن غيرتهما وتعلقهما بتلك الصفوة المختارة؛ على أن الخازن قد حاز قصب السبق من جهة الكثرة والتفاصيل.
- الخازن يقرر المسائل العقدية بطريقة هي أقرب إلى طريقة أهل العقيدة بينما ينحو ابن كثير في الغالب منحى الأسلوب الواضح والعبارة الصريحة القريبة إلى التفسير منها إلى العقيدة.
- تميز الخازن بإيراد الشبه حول العقيدة والرد عليها، وإن كان ابن كثير قد شاركه لكن بقلة.
- كلٌ من الشيخين قد جرد قلمه للدفاع عن العقيدة والرد على المخالفين لها، فالخازن كثيراً ما يرد على المعتزلة وابن كثير على الشيعة والصوفية إضافة إلى المعتزلة.
- اشترك الشيخان في أن كلاً منهما يطيل ويختصر بحسب الحاجة واقتضاء الأمر.
- كان للخازن اهتمام واضح بعلم الكلام وتقرير العقيدة من خلاله؛ وهذا الذي فارقه فيه ابن كثير فإنه لا يهتم به ولا يعول عليه.
- كل من الشيخين قد تكلم على كثير من الجوانب المتعلقة بالعقيدة.

المبحث الثاني: المقارنة بينهما في عرض الأحكام الفقهية والتدليل عليها وسرد الأقوال وترجيحها

معلوم ما للفقه من أهمية كبرى في حياة المسلم فهو العلم بخطاب الله تعالى المتعلق بأفعال العبد في عباداته ومعاملاته.

والفقه بمكانة لا تجهل، ومنزلة لا تغفل، لا سيما في حق من يتناول كتاب الله بالتفسير والبيان فكم وكم من الآيات القرآنية المتعلقة بالأحكام والتي ينبغي استيفاء الكلام عليها والتحدث عنها.

والفقه: في اللغة: الفهم؛ وفي الاصطلاح: العلم بالأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية بالاستدلال، أو ظن جملة من الأحكام الشرعية الفرعية باستنباطها من أدلة تفصيلية.[1] أو هو: مجموعة الأحكام والمسائل الشرعية العمَلية.[2]

وأيّن كان من تلك التعاريف فالمراد به المسائل التي تتعلق بأفعال المكلفين عبادة ومعاملة؛ وهي ما يعبر عنها الفقهاء بالمسائل الفرعية المستنبطة من القرآن والسنة.

ولما كان القرآن هو المصدر الأول في التشريع الإسلامي ومحل استنباط الأحكام الشرعية كان ولا بد لكل أحد ممن عني بتفسيره أن يتعرض لما له علاقة في هذا الجانب من آيات الذكر الحكيم وأن يبين مراد الله فيها من أمر ونهي؛ وقد تناول المفسرون هذه القضية ما بين مطول، ومختصر، ومتوسط يذكر أهم المهمات والتي لها علاقة مباشرة بالآية؛ وكان من هذه الفئة الشيخان الكريمان الإمام الخازن والإمام ابن كثير – رحمهما الله - في تفسيريهما.

([1]) انظر: المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل بتصرف يسير ص (65)، لابن بدران ، تحقيق: محمد أمين ضناوي، ط: دار الكتب العلمية، الطبعة: الطبعة الأولى 1417هـ - 1996م.

([2]) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (1|15) صادرة عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، الطبعة : (من 1404 - 1427 هـ) الأجزاء 1 - 23: الطبعة الثانية، دار ذات السلاسل – الكويت.

- **أولاً الاهتمام الفقهي بالنسبة للإمام الخازن– رحمه الله - في تفسيره:**

مع أن تفسير الإمام الخازن تفسير مختصر مجمل إلا أنه لم يهمل الجانب الفقهي والمسائل الفقهية المتعلقة بالآية بل إنه كما قال الدكتور الذهبي: (مَعنِىٌّ بتقرير الأحكام وأدلتها)[1] و(يعنى جد العناية بالناحية الفقهية، فإذا تكلَّم عن آية من آيات الأحكام، استطرد إلى مذاهب الفقهاء وأدلَّتهم، وأقحم في التفسير فروعاً فقهية كثيرة، قد لا تهم المفسِّر بوصف كونه مفسِّراً في قليل ولا كثير)[2] وهو في الغالب يجري على طبيعة تفسيره من الاختصار والسرد المجمل للفقه المستنبط من الآية؛ وذلك أنه يذكر اختلاف الفقهاء وينسب الأقوال إلى قائليها، يقدمها أحياناً وأخرى يؤخرها ثم يذكر أدلة المختلفين في المسألة كما فعل ذلك في كثير من المسائل من ذلك ذكره لاختلاف الفقهاء[3] في سجود آخر الحج[4].

وقد يكتفي – رحمه الله – بذكر دليل أحد القولين كما قال:

- واختلف العلماء في ركوب الهدي فقال مالك والشافعي وأحمد وإسحاق: يجوز ركوبها والحمل عليها من غير ضرر بها لما روي عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم – ((رأى رجلاً يسوق بدنه فقال : - اركبها فقال يا رسول الله إنّها بَدنة[5] فقال: اركبها ويلك في الثانية أو الثالثة)) أخرجاه في الصحيحين[6].

([1]) التفسير والمفسرون (1|221).

([2]) المصدر السابق (1|223-224).

(3) اختلف الفقهاء – رحمهم الله - في السجدة الثانية من سورة الحج:

فابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق قالوا: في الحج سجدتان.

وذهب الحسن وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وأبو حنيفة ومالك إلى أنّ: في الحج سجدة واحدة وهي الأولى وليس الثانية بسجدة. ملخص من لباب التأويل 3|298.

([4]) لباب التأويل (3|298).

([5]) البَدنةُ: ناقة أو بقرة تُنحَر بمكة سُمِّيت بذلك لأنهم كانوا يُسَمنونها والجمع بُدُن وبُدْن. لسان العرب (13|47). مادة (بدن).

([6]) رواه البخاري في كتاب الحج باب ركوب البدن برقم: 1604 ومسلم في كتاب الحج باب جواز ركوب البدنة المهداة لمن احتاج إليها برقم: 3271.

وكذلك يجوز لـه أن يـشرب مـن لبنـها بعد مـا يفضل عن ري ولـدها. وقـال أصـحاب الرأي : لا يركبها إلاّ أن يضطر إليه[1].

فكما ترى فإن الخازن ذكر دليل الفريق الأول ولم يتعرض لدليل الفريق الثاني.

- ومع ذكره للأقوال ونسبتها إلـى قائليهـا فإنـه أحيانـاً يهمـل نـسبة أحـد القـولين ويكتفـي بالإبهام كما قال - عندما تحدث عن قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا}** - قال:

- **اختلـف العلمـاء فـي هذا الخيـار** (أي الخيـار الـذي عرضـه النبـي - صـلى الله عليـه وعلـى آلـه وسلم - علـى نـسائه - مـن خـلال آيـة التخييـر المتقدمـة بـين البقـاء معـه أو التسريح) **هل كان ذلك تفويض الطلاق إليهن، حتى يقـع بـنفس الاختيـار أم لا فـذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم، إلى أنـه لم يكن تفويض الطـلاق وإنمـا خيـرهن علـى أنـهن إذ اخترن الدنيا فارقهن لقولـه تعالى: { فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ } [2] بـدليل أنـه لـم يكن جـوابهن علـى الفـور، وأنـه قـال لعائـشة: ((لا تعجلـي حتـى تستـشيري أبويك)) [3] وفي تفويض الطلاق يكون الجواب على الفور، وذهب قوم إلى أنه كـان تفويض الطلاق ولو اخترن أنفسهن كان طلاقاً.[4]** وربما أبهم القولين معاً كما قال:

- قيـل الآيـة مخـصوصة بمـن قـذف عائـشة والمـراد بالـذين آمنـوا عائـشة وصـفوان وقيل الآية علـى العمـوم فكل من أحـب أن تـشيع الفاحشة أو تظهر علـى أحـد فهـو داخل في حكم هذه الآية والمراد بالذين آمنوا جميع المؤمنين) [5].

([1]) لباب التأويل (3|289).

([2]) سورة الأحزاب آية: (28).

([3]) رواه البخـاري بلفـظ: (أن لا تعجلـي حتـى تـستأمري أبويـك) فـي كتـاب المظـالم بـاب الغرفـة والعليـة المـشرفة فـي الـسطوح وغيرهـا بـرقم: 2336، ورواه مـسلم بلفـظ: (لا تعجلـى فيـه حتـى تستشيرى) في كتاب الطـلاق بـاب بيـان أن تخيير امرأتـه لا يكـون طلاقـا إلا بالنيـة بـرقم: 3763، وهو عند أحمد (حتى تشاوري أبويك) (43|3109) برقم:(26271) وهنـاك روايـات أخـرى غيـر هذه.

([4]) لباب التأويل (3|465).

([5]) المصدر السابق 3| 322.

وقد ينسب الأقوال ويهمل ذكر الأدلة وهو كثير كما قال:

- (واختلف العلماء في الهدي الواجب بالشرع مثل دم التمتع والقرآن والدم الواجب بإفساد الحج وفوته وجزاء الصيد هل يجوز للمهدي أن يأكل منه شيئاً قال الشافعي: لا يأكل منه شيئاً وكذلك ما أوجبه على نفسه بالنذر وقال ابن عمر: لا يأكل من جزاء الصيد والنذر ويأكل مما سوى ذلك وبه قال أحمد وإسحاق.

وقال: مالك يأكل من هدي التمتع ومن كل هدي وجب عليه إلاّ من فدية الأذى وجزاء الصيد والمنذور وعند أصحاب الرأي أنه يأكل من دم التمتع والقران ولا يأكل من واجب سواهما)[1].

فقد ذكر الخازن – رحمه الله – عدة أقوال ههنا أخلاها جميعاً من الأدلة.

- وقد يكتفي بسرد المسائل بدون أقوال ولا أدلة على هيئة الكتب الفقهية المذهبية مثل قوله:

- بيان حكم الآية: أن من قذف محصناً أو محصنة بالزنا فقال له : يا زاني أو يا زانية أو زنيت فيجب عليه جلد ثمانين إن كان القاذف حراً وإن كان عبداً يجلد أربعين وإن كان المقذوف غير محصن فعلى القاذف التعزير.

وشرائط الإحصان خمسة: الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والعفة من الزنا حتى لو زنا في عمره مرة واحدة ثم تاب وحسنت توبته بعد ذلك ثم قذفه قاذف فلا حد عليه فإن أقر المقذوف على نفسه بالزنا أو أقام القاذف أربعة يشهدون عليه بالزنا سقط الحد عن القاذف لأن الحد إنما وجب عليه لأجل الفرية.

وقد ثبت صدقه وأما الكنايات مثل أن يقول يا فاسق أو يا فاجر أو يا خبيث أو يا مؤاجر أو قال امرأتي لا ترد يد لامس فهذا ونحوه لا يكون قذفاً إلا أن يريد ذلك[2].

فكأن المطالع في هذه المقطوعة من تفسيره يحسبها متناً فقهياً.

([1]) لباب التأويل 3|287.

([2]) المصدر السابق 3|314.

والخازن قد يستطرد في الفقه وقد يتوسع في ذكر مسائله؛ فمن الأول قوله - في تفسير قوله تعالى: **{وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ}**[1] -:

- أراد به طواف الواجب وهو طواف الإفاضة ووقته يوم النحر بعد الرمي والحلق.

ثم استطرد قائلاً:

والطواف ثلاثة طواف القدوم وهو أنّ من قدم مكة يطوف بالبيت سبعاً يرمل ثلاثاً من الحجر الأسود إلى أن ينتهي إليه ويمشي أربعاً وهذا الطواف سنة لا شيء على من تركه (ق) عن عائشة: ((إن أول شيء بدأ به حين قدم النبيّ - صلى الله عليه وسلم - أنه توضأ ثم طاف ثم لم تكن عمرة ثم حجّ أبو بكر وعمر مثله)) [2] **(ق) عن ابن عمر - رضي الله عنه - أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم – ((كان إذا طاف الطواف الأول خَبَّ**[3] **ثلاثاً ومشى أربعاً))** [4] **زاد في رواية ((ثم يصلي ركعتين يعني بعد الطواف بالبيت ثم يطوف بين الصفا والمروة))** [5] **ولفظ أبي داوود أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم – ((كان إذا طاف في الحج أو العمرة أول ما يقدم يسعى ثلاثة أشواط ويمشي أربعاً ثم يصلي سجدتين))** [6]**. والطواف الثاني هو طواف الإفاضة وذلك يوم النحر بعد الرمي والحلق (ق) عن عائشة**

---

(1) سورة الحج آية: 029).

([2]) رواه البخاري في كتاب الحج باب الطواف على الوضوء برقم: 1560. ومسلم في كتاب الحج باب ما يلزم من طاف بالبيت وسعى من البقاء على الإحرام وترك التحلل برقم: 3060.

([3]) الخَبَبُ ضَرْبٌ من العَدْوِ. لسان العرب (1|341) مادة (خبب).

([4]) رواه البخاري في كتاب في الحج باب ما جاء في السعي بين الصفا والمروة برقم: 1562. ومسلم في كتاب الحج باب استحباب الرمل في الطواف والعمرة وفى الطواف الأول في الحج. برقم: 3107.

([5]) رواه البخاري في كتاب الحج باب من طاف بالبيت إذا قدم مكة قبل أن يرجع إلى بيته ثم صلي ركعتين ثم خرج إلى الصفا برقم: 1537. ومسلم في كتاب الحج باب استحباب الرمل في الطواف والعمرة وفى الطواف الأول في الحج. برقم: 3108.

([6]) رواه أبو داوود في كتاب المناسك باب الطَّوَافِ بَعدَ العَصرِ برقم: 1895 بلفظ: (كَانَ إذَا طَافَ فِى الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ أوَّلَ مَا يَقْدَمُ فَإنَّهُ يَسْعَى ثَلاثَةَ أطْوَافٍ....).

رضي الله عنه قالت: ((حاضت صفية ليلة النفر فقالت: ما أراني إلا حابستكم قال النبيّ - صلى الله عليه وسلّم - عقرى حلقى أطافت يوم النحر قيل نعم قال فانفري)) [1] **قوله: عقرى وحلقى معناه عقرها الله أي أصابها بالعقر وبوجع في حلقها**[2] **وقيل معناه مشئومة مؤذية ولم يرد به الدعاء عليها وإنّما هو شيء يجري على ألسنة العرب كقولهم : لا أم لك وتربت يمينك وفيه دليل على أن من لم يطف يوم النحر طواف الإفاضة لا يجوز له أن ينفر.**

الثالث طواف الوداع: لا رخصة لمن أراد مفارقة مكة إلى مسافة القصر في أن يفارقها حتى يطوف سبعاً فمن تركه فعليه دم إلا المرأة الحائض فإنه يجوز لها تركه للحديث المتقدم ولما روى ابن عباس - رضي الله عنهما- قال: ((أمر الناس أن يكون الطواف آخر عهدهم بالبيت إلا أنه رخص للمرأة الحائض)) [3] **متفق عليه.**

الرمل[4] **سنة تختص بطواف القدوم ولا رمل في طواف الإفاضة والوداع وقوله: {بالبيت العتيق} قال ابن عباس وغيره سمي عتيقاً لأن الله أعتقه من أيدي الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه فلم يظهر عليه جبار قط، وقيل لأنه أول بيت وضع للناس وقيل لأن الله أعتقه من الغرق فإنه رفع أيام الطوفان وقيل لأنه لم يملك**[5]**.**

([1]) رواه البخاري في كتاب الحج باب الإدلاج برقم: 1682. ومسلم في كتاب الحج باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز إفراد الحج والتمتع والقران وجواز إدخال الحج على العمرة ومتى يحل القارن من نسكه برقم: 2988.

([2]) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (1|428) و(3|272).

([3]) رواه البخاري في كتاب الحج وباب طواف الوداع وبرقم: 1668. ومسلم في كتاب الحج باب وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض برقم: 3284. ولفظة (الطواف) مقحمة لم أجدها في رواية البخاري ولا مسلم.

([4]) الرمل: الهرولة، قال في المصباح المنير: رَمَلْتُ رَمَلاً - من باب طلب - و رَمَلانًا أيضاً: هرولت. (1|239) مادة (رمل).

([5]) لباب التأويل 3|288.

فقد استطرد الخازن ههنا في ذكر أنواع الطواف وبعض متعلقاته، وإنما كان السياق في طواف واحد هو طواف الإفاضة.

ومن الثاني (التوسع في ذكر المسائل) يقول:

- قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ }[1] أي تجامعوهن، ففي الآية دليل على أن الطلاق قبل النكاح غير واقع لأن الله تعالى رتب الطلاق على النكاح حتى لو قال لامرأة أجنبية إذا نكحتك فأنت طالق، أو قال: كل امرأة أنكحها فهي طالق فنكح لا يقع الطلاق، وهذا قول علي وابن عباس وجابر ومعاذ وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد بن جبير والقاسم وطاووس، الحسن وعكرمة وعطاء وسليمان بن يسار، ومجاهد والشعبي وقتادة وأكثر أهل العلم، وبه قال الشافعي وروي عن ابن مسعود أنه يقع الطلاق، وهو قول إبراهيم النخعي وأصحاب الرأي وقال ربيعة ومالك والأوزاعي: إن عين امرأة وقع وإن عمم فلا يقع وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: كذبوا على ابن مسعود، وإن كان قالها فزلة من عالم؛ الرجل يقول إن تزوجت فلانة فهي طالق والله يقول: { إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ } ولم يقل إذا طلقتموهن ثم نكحتموهن، روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم – قال: ((لا طلاق فيما لا تملك ولا عتق فيما لا تملك ولا بيع فيما لا تملك)) أخرجه أبو داوود[2] والترمذي[3] بمعناه.

([1]) سورة الأحزاب آية: (49).

([2]) كتاب الطلاق باب فِى الطَّلاَقِ قَبْلَ النِّكَاحِ برقم: 2192. بلفظ: (لا طلاق إلا فيما تملك ولا عتق إلا فيما تملك ولا بيع إلا فيما تملك).

([3]) كتاب الطلاق باب ما جاء لا طلاق قبل النكاح برقم: 1181. بلفظ: (لا نذر لابن آدم فيما لا يملك ولا عتق له فيما لا يملك ولا طلاق له فيما لا يملك).

(خ) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((جعل الله الطلاق بعد النكاح)) [1] أخرجه البخاري[2] في ترجمة باب بغير إسناد.

وعن جابر قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ((لا طلاق قبل النكاح)) [3].

{فما لكم عليهن من عدة تعتدونها} [4] أي تحصونها بالأقراء والأشهر، أجمع العلماء أنه إذا كان الطلاق قبل المسيس والخلوة، فلا عدة وذهب أحمد إلى أن الخلوة توجب العدة والصداق[5].

وله – رحمه الله - استنباطات بديعة وجميلة - وإن كان في الحقيقة اختصرها من البغوي - كما قال عند قوله تعالى:

- { فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ } [6] أي الظالمون المجاوزون الحد من الحلال إلى الحرام؛ وفيه دليل على أن الاستمناء باليد حرام وهو قول أكثر العلماء[7].

ومهما يكن فإن الخازن لم يكن من المكثرين المطولين في هذا المبحث ولم يكن من المهملين له بل نَفَسه الفقهي واضح بين فرحمه الله رحمة واسعة.

وقد تتبعت كثيراً من هذه المسائل التي تناولها الخازن فإذا هي هي التي دَوَّنها البغوي في التفسير ولكن باختصار أحياناً كما فعل ذلك في مسألة الاستمناء المتقدم ذكرها.

([1]) كتاب الطلاق باب لا طلاق قبل النكاح وقول الله تعالى: { يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا}.

([2]) بعض النسخ (الترمذي) وهو غلط؛ فإن الترمذي لم يخرجه؛ والمثبت من الطبعة المعتمدة في البحث (دار المعرفة).

([3]) رواه ابن ماجه - من حديث المسور بن مخرمة وعلي رضي الله عنهما - في كتاب الطلاق باب لا طلاق قبل النكاح برقم: 2048-2049. ورواه البيهقي في (السنن الكبرى) كتاب الخلع والطلاق باب الطلاق قبل النكاح برقم: 15270.

([4]) سورة الأحزاب آية: (49).

([5]) لباب التأويل 3|472.

([6]) سورة المؤمنون آية: (7).

([7]) لباب التأويل 3|301.

- **ثانياً اهتمام ابن كثير – رحمه الله - بالجانب الفقهي:**

هذا وأما إمامنا الثاني الإمام ابن كثير – رحمه الله - فقد كان متوسطاً - في كلامه على المسائل الفقهية المتعلقة بالآيات - بين المطول فيها والمقصر عنها؛ حاله في ذلك حال الخازن – رحمه الله - وإن كان يفوقه في الكثرة، ومناقشة الأدلة والأقوال، والتوسع في ذلك كما أن له اهتماماً بيناً بمذاهب الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة على وجه الخصوص وهو كثيراً ما يذكر مذهب الشافعي ويهتم به ويرجحه، وقد يرجح غيره، وليس له اكتفاء في سرد الأقوال والأدلة فقط بل إن شخصيته – رحمه الله - تظهر واضحة في مناقشة الآراء وأدلتها بأدب وحسن تعاطي، وهذه أمثلة على ما تقدم:

فمن اهتمامه بمذهب الصحابة ومن بعدهم قوله – عند تفسير قوله تعالى:

- **{ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ }**[1] قال -: **وهذه المسألة اختلف فيها الشافعي وإسحاق بن راهَويه بمسجد الخِيف، وأحمد بن حنبل حاضر أيضًا، فذهب الشافعي، رحمه الله إلى أن رباع مكة تملك وتورث وتؤجر، واحتج بحديث الزهري، عن علي بن الحُسَين، عن عمرو بن عثمان، عن أسامة بن زيد قال: قلت: يا رسول الله، أتنزل غدًا في دارك بمكة؟ فقال: ((وهل ترك لنا عَقيل من رباع)) . ثم قال: ((لا يرث الكافر المسلم، ولا المسلم الكافر)) . وهذا الحديث مُخَرّج في الصحيحين**[2] **وبما ثبت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ((اشترى من صفوان بن أمية داراً بمكة، فجعلها سجناً بأربعة آلاف درهم))** [3]**. وبه قال طاوس، وعمرو بن دينار.**

---

(1) سورة الحج آية: (25).

([2]) رواه البخاري في كتاب المغازي باب أين ركز النبي صلى الله عليه و سلم الراية يوم الفتح برقم: 4032. ومسلم في كتاب الحج باب النزول بمكة للحاج وتوريث دورها برقم: 3360. وتكملة رواية البخاري (لا يرث الكافر.....) رواها مسلم في موضع آخر كتاب الفرائض باب (1) برقم: 4225.

([3]) رواه البخاري معلقاً في كتاب الخصومات باب الرَّبْطِ وَالْحَبْسِ فِي الْحَرَمِ. والبيهقي في السنن الكبرى كتاب البيوع باب مَا جَاءَ فِى بَيْعِ دُورِ مَكَّةَ وَكِرَائِهَا وَجَرَيَانِ الإِرْثِ فِيهَا برقم: 11511.

وذهب إسحاق بن راهَويه إلى أنها تورث ولا تؤجر. وهو مذهب طائفة من السلف، ونص عليه مجاهد وعطاء، واحتج إسحاق بن راهَويه بما رواه ابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن عيسى بن يونس، عن عُمَر بن سعيد بن أبي حُسَين ، عن عثمان بن أبي سليمان، عن علقمة بن نَضْلة قال: ((تُوُفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبو بكر وعمر، وما تدعى رباع مكة إلا السوائب[1]، من احتاج سكن، ومن استغنى أسكن)) [2].

وقال عبد الرزاق بن مجاهد، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو أنه قال: ((لا يحل بيع دور مكة ولا كراؤها)) [3].

وقال أيضًا عن ابن جريج: كان عطاء ينهى عن الكراء[4] في الحرم، وأخبرني أن عمر بن الخطاب كان ينهي عن تُبوّب دور مكة؛ لأن ينزل الحاج في عَرَصاتها[5]، فكان أول من بَوّب داره سُهَيل بن عمرو، فأرسل إليه عمر بن الخطاب في ذلك، فقال: ((أنظرني يا أمير المؤمنين، إني كنت امرأ تاجراً، فأردت أن أتخذ بابين يحبسان لي ظهري قال: فذلك إذًا)) [6].

---

(1) سيبت الشيء: تركته يسيب حيث شاء. والسائبة: المهملة. انظر تاج العروس 15|523، مادة (سيب).

([2]) رواه ابن أبي شيبة في كتاب المناسك باب في بيع رباع مكة برقم: 14912. ومن طريقه رواه ابن ماجه في كتاب المناسك باب أجر بيوت مكة برقم: 3107.

([3]) رواه عبد الرزاق في المصنف بلفظ: (لا يحل بالبيع...) كتاب المناسك باب الكراء في الحرم وهل تبوب دور مكة والكراء بمنى برقم: 9214.

([4]) الكِرَاءُ: بالمد الأُجْرَةُ..... وأكريتُهُ الدَّارَ وغيرها إكراء فاكْتراه بمعنى آجَرتُهُ فَاستأجر المصباح المنير: (2|532) مادة (ك ر ي) بتصرف.

([5]) العَرْصَة: كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء، والجمع العِراص والعَرَصات. الصحاح (3|1044) مادة (عرص).

([6]) رواه عبد الرزاق في المصنف برقم: 9210 وليس فيه لفظة (لي).

وقال عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن منصور، عن مجاهد؛ أن عمر بن الخطاب قال: ((يا أهل مكة، لا تتخذوا لدوركم أبوابا لينزل البادي حيث يشاء)) [1].

قال: وأخبرنا مَعْمر، عمن سمع عطاء يقول في قوله : { سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ } ، قال: ((ينزلون حيث شاءوا)) [2].

وروى الدارقطني من حديث ابن أبي نَجِيح، عن عبد الله بن عمرو موقوفاً ((من أكل كراء بيوت مكة أكل ناراً)) [3].

وتوسط الإمام أحمد فيما نقله صالح ابنه فقال: تملك وتورث ولا تؤجر، جمعا بين الأدلة، والله أعلم[4].

ومن اهتمامه بمذهب الشافعي قوله:

- وقد استدل الإمام الشافعي، رحمه الله، ومن وافقه على تحريم الاستمناء باليد بهذه الآية الكريمة {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ } [5] قال: فهذا الصنيع خارج عن هذين القسمين، وقد قال: { فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ } [6].

ومن الترجيح بين الأقوال قوله في تفضيل العشر من ذي الحجة:

- وبالجملة، فهذا العشر قد قيل: إنه أفضل أيام السنة، كما نطق به الحديث، ففضله كثير على عشر رمضان الأخير؛ لأن هذا يشرع فيه ما يشرع في ذلك، من صيام وصلاة وصدقة وغيره، ويمتاز هذا باختصاصه بأداء فرض الحج فيه.

وقيل: ذاك أفضل لاشتماله على ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر.

([1]) رواه عبد الرزاق في المصنف برقم: 9211.

([2]) المصدر السابق برقم: 9211.

([3]) رواه الدارقطني في كتاب المناسك باب المواقيت برقم: 286.

([4]) تفسير القرآن العظيم 5|409.

([5]) سورة المؤمنون آية: (5_6).

([6]) تفسير القرآن العظيم 5|463.

وتوسط آخرون فقالوا: أيام هذا أفضل، وليالي ذاك أفضل. وبهذا يجتمع شمل الأدلة، والله أعلم[1].

ومن ذكره للأقوال بدلائلها قوله:

- ولهذا ذهب كثير من العلماء إلى أنه: لا يجوز للمرأة أن تنظر إلى الأجانب بشهوة ولا بغير شهوة أصلا. واحتج كثير منهم بما رواه أبو داوود والترمذي، من حديث الزهري، عن نبهان - مولى أم سلمة - أنه حدثه: أن أم سلمة حَدَّثته: أنها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وميمونة، قالت: ((فبينما نحن عنده أقبل ابنُ أمّ مكتوم، فدخل عليه، وذلك بعدما أُمِرْنا بالحجاب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (احتجبا منه) فقلت: (يا رسول الله، أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟) فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أو عمياوان أنتما؟ ألستما تبصرانه))[2].

ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وذهب آخرون من العلماء إلى جواز نظرهن إلى الأجانب بغير شهوة، كما ثبت في الصحيح: ((أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جعل ينظر إلى الحبشة وهم يلعبون بحرابهم يوم العيد في المسجد، وعائشة أم المؤمنين تنظر إليهم من ورائه، وهو يسترها منهم حتى مَلَّت ورجعت)) [3][4].

([1]) تفسير القرآن العظيم 5|415.

([2]) رواه أبو داوود في كتاب اللباس باب في قوله عز وجل: {وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن} برقم: 4114. والترمذي في كتاب الأدب باب ما جاء في احتجاب النساء من الرجال برقم: 2778.

([3]) الحديث في البخاري كتاب النكاح باب نظر المرأة إلى الحبش ونحوهم من غير ريبة برقم: 4938 ولفظه (رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا الذي أسأم).

([4]) تفسير القرآن العظيم 6|44.

وقد يذكر دليل قول دون الآخر مثل:

- { وَأَنْكِحُوا الأيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ }: هذا أمر بالتزويج. وقد ذهب طائفة من العلماء إلى وجوبه، على كل من قدَر عليه. واحتجوا بظاهر قوله - صلى الله عليه وسلم -: ((يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)) أخرجاه من حديث ابن مسعود[1].

وجاء في السنن - من غير وجه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((تَزَوَّجوا، توالدوا، تناسلوا، فإني مُبَاهٍ بكم الأمم يوم القيامة)) [2] وفي رواية: ((حتى بالسقط)) [3][4].

وقد يذكر قولاً ويهمل الآخر وبدون ترجيح أيضاً لأنه يأتي به عرضاً كما قال:

- وقد استدل أصحاب أبي حنيفة - رحمه الله تعالى - بهذه الآية على صحة البيع فيما إذا قال: بعتك أحد هذين العبدين بمائة. فقال: اشتريت أنه يصح، والله أعلم[5].

وقد يشير إلى رأس المسألة إشارة فقط مثل:

- وقد اختلفوا في المراد بإضاعة الصلاة هاهنا، فقال قائلون: المراد بإضاعتها تَرْكُها بالكلية، قاله محمد بن كعب القُرَظي، وابن زيد بن أسلم، والسدي، واختاره ابن جرير. ولهذا ذهب من ذهب من السلف والخلف والأئمة كما هو المشهور عن

([1]) رواه البخاري في كتاب النكاح باب من لم يستطع الباءة فليصم برقم: 4779. ومسلم في كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم برقم: 3464-3466.

([2]) رواه أبو داوود بلفظ: (تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم) في كتاب النكاح باب النهى عن تزويج من لم يلد من النساء. برقم: 2052. والنسائي كتاب النكاح باب كراهية تزويج العقيم برقم: 3227.

([3]) رواه عبد الرزاق في المصنف كتاب النكاح باب ب نكاح الأبكار والمرأة العقيم رقم: 10343.

([4]) تفسير القرآن العظيم 6|51.

([5]) المصدر السابق 6|229.

الإمام أحمد، وقول عن الشافعي إلى تكفير تارك الصلاة، للحديث: ((بين العبد وبين الشرك تَركُ الصلاة)) [1]، والحديث الآخر: ((العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر)) [2] وليس هذا محل بسط هذه المسألة[3].

وقد يستطرد في المسائل الفقهية حتى كأن القارئ يطالع كتاباً في الأحكام كما فعل عند تفسير قوله تعالى: **{ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ...}** [4] فقد أفاض في ذكر عيوب الضحية وأقوال العلماء وأدلتهم في ذلك وقد عقد هناك[5] ما هو أشبه بالفصول.

هذا وقد تتبعت المسائل الفقهية التي تناولها الشيخان الكريمان فإذا هما قد اشتركا في بعضها مثل التنبيه على ركوب الهدي[6] - وإن كانا يختلفان في وجه الكلام عليها أحياناً - وافترقا في كثير منها فالخازن تناول ما لم يتناوله ابن كثير مثل الكلام على الماء الطهور في سورة الفرقان[7] ومسألة الواهبة لعموم الأمة[8]؛ وابن كثير تناول ما لم يتناوله الخازن مثل مسألة ترك الصلاة في سورة مريم[9] ونظر النساء إلى الرجال في سورة في النور[10].

([1]) رواه مسلم بلفظ: (بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة) في كتاب الإيمان باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة برقم: 257. ورواه الترمذي بلفظ: (بين العبد وبين الشرك أو الكفر ترك الصلاة) في كتاب الإيمان باب ما جاء في ترك الصلاة برقم: 2619.

([2]) رواه النسائي في كتاب الصلاة باب الحكم في تارك الصلاة برقم: 463. رواه الترمذي في كتاب الإيمان باب ما جاء في ترك الصلاة برقم: 2621. وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء فيمن ترك الصلاة برقم: 1079.

([3]) تفسير القرآن العظيم 5|243.

([4]) سورة الحج آية: (32).

([5]) تفسير القرآن العظيم 5|421 وما بعدها.

([6]) لباب التأويل (3|289) وتفسير القرآن العظيم (5|423).

([7]) لباب التأويل (3|351).

([8]) المصدر السابق (3|473).

([9]) تفسير القرآن العظيم (5|243).

([10]) المصدر السابق (6|44).

وقد يتوسع الخازن في ما يقتصد فيه ابن كثير مثل الكلام على قوله تعالى: **{... وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا }** [1] فإن الخازن[2] أفاض فيها؛ وابن كثير[3] ذكر حكمها ملخصاً فيما لا يتعدى سطراً واحداً؛ والعكس بالعكس فقد يتوسع ابن كثير ويقتصد الخازن مثل الكلام على قوله تعالى: **{ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ }** [4][5].

المقارنة:

- يشترك الإمامان – رحمهما الله – في التوسط في ذكر المسائل الفقهية فليسا من المتوسعين فيها ولا المهملين لها.
- الخازن في الغالب يذكر المسائل بمذاهبها ودلائلها وقد يذكر مذاهب الصحابة في بعضها؛ ويشاركه ابن كثير في ذلك ويزيد عليه الاهتمام بمذهب الصحابة رضي الله عنهم.
- كل منهما له نفسه الفقهي والذي يظهره في المكان المناسب عنده.
- الخازن يستطرد في ذكر المسائل أحياناً ويتوسع فيها؛ وابن كثير يشاركه في الثاني وقد يزيد عليه.
- الخازن يأخذ الكثير من مسائله مما دَوَّنه البغوي في تفسيره وهذا بخلاف ما صنعه ابن كثير فإن يذكرها تبعاً لما تيسر له وأملت عليه قريحته ولذلك فإنه يرجح بين المسائل.

وملخص القول أنهما متقاربان في المسائل الفقهية مع الاختلاف في الطرح والتناول.

([1]) سورة النور آية: (4).

([2]) لباب التأويل (3|315).

([3]) تفسير القرآن العظيم (6|14).

([4]) لباب التأويل (3|286)، وتفسير القرآن العظيم (5|410).

([5]) سورة الحج آية: (25).

تذييل: اهتمام الشيخين بالمسائل الأصولية:

من المقرر أن الكتابين كتابا تفسير وليس بتقعيد وتأصيل للمسائل إلا أن كتاب الله هو محل البحث والتطبيق لتلك القواعد والتأصيلات؛ ومن هنا نلحظ أن الشيخين قد ذكرا جملة لا بأس بها فيما يتعلق بتطبيق هذه القواعد، وأكثر ما ذكراه من ذلك الإجماع والنسخ؛ فأما النسخ فقد جعلته ضمن مباحث علوم القرآن لأنه أقرب وألصق بالتفسير.

وأما الإجماع فكما هو معلوم في اللغة: العزم والاتفاقُ؛ وفي الاصطلاح: (اتِّفاق مجتَهِدِي الأمَة في عَصر على أمر، ولو فعلاً بَعْدَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم)[1].

*** وقد اختلف الإمامان – رحمهما الله - في هذا المبحث فإن الخازن قد ذكر شيئاً** يسيراً لا يكاد يعد بالأصابع بالنسبة لما ذكره معاصره ابن كثير – رحمهما الله – ومن الملاحظ أن الخازن يذكر الإجماع ابتداءً من نفسه بدون نقل عن غيره وهو تارة يعبر عنه بـ(أجمع) وأحياناً بـ(اتفق) وهذه أمثلة على ذلك، قال في قوله تعالى:

- {..... وَإِمَائِكُمْ } [2] بيان حكم الآية أمر ندب واستحباب لإجماع السلف عليه فيستحب لمن تاقت نفسه إلى النكاح ووجد أهبته أن يتزوج وإن لم يجد أهبته يكسر شهوته بالصوم.[3]

وقال:

- اتفق العلماء على وجوب الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم اختلفوا فقيل تجب في العمر مرة....)[4].

([1]) انظر: الكوكب المنير 2|211 . ط العبيكان تحقيق محمد الزحيلي و نزيه حماد 1413هـ-1993م.

([2]) سورة النور آية: (32).

([3]) لباب التأويل 3|328.

([4]) المصدر السابق 3|476.

*** وأما الحافظ ابن كثير – رحمه الله – فقد نقل الإجماع في مواضع كثيرة من كتابه** مما يدلك على اهتمامه به؛ وهو في الأغلب يذكر الإجماع من ذات نفسه حاله في ذلك حال الخازن – رحمه الله - وقد ينقل عن غيره وهذا يسير، ومن ذلك قوله:

- وحكي عن بعضهم أنه إنما تجب الصلاة عليه، عليه السلام، في العمر مرة واحدة، امتثالاً لأمر الآية، ثم هي مستحبة في كل حال، وهذا هو الذي نصره القاضي عياض بعدما حكى الإجماع على وجوب الصلاة عليه - صلى الله عليه وسلم - في الجملة[1][2].

وإما ذكره للإجماع من ذات نفسه فقد تنوعت عباراته في ذلك فتارة يعبر بلفظ الإجماع وأخرى بلفظ الاتفاق وثالثة بعدم وجود الخلاف وهذه أمثلة على ذلك، فمن الأول (التعبير بلفظ أجمع وتصاريفه) ما قاله - عند قوله تعالى: { **إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا** }[3] -:

- والبُكِيّ: جمع باك، فلهذا أجمع العلماء على شرعية السجود هاهنا، اقتداء بهم، واتباعًا لمنوالهم[4].

وقد يعبر أيضاً بعبارة قريبة من ذلك: **{ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا}** [5] **: هذا أمر مجمع عليه بين العلماء: أن المرأة إذا طلقت قبل الدخول بها لا عدة عليها فتذهب فتتزوج في فورها مَنْ شاءت، ولا يستثنى من هذا إلا المتوفى عنها زوجها، فإنها تعتد منه أربعة أشهر وعشرا، وإن لم يكن دخل بها بالإجماع أيضا[6].**

ومثاله أيضاً:

([1]) الشفا بحقوق المصطفى (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) 2|627 ، للقاضي عياض اليحصبي، تحقيق علي محمد البنجاوي، دار الكتاب العربي، 1404هـ - 1984م.

([2]) تفسير القرآن العظيم 6|469.

(3) سورة مريم آية: (58).

([4]) تفسير القرآن العظيم 5|242

([5]) سورة الأحزاب آية: (49).

([6]) تفسير القرآن العظيم 6|441.

- **وأما الصلاة على غير الأنبياء، فإن كانت على سبيل التبعية كما تقدم .....**(إلى أن قال) **فهذا جائز بالإجماع[1].**

ومن الثاني (التعبير عن الإجماع بالاتفاق) فقوله في آية الأحزاب:

- **{الْمُؤْمِنَاتِ } [2] خرج مخرج الغالب؛ إذ لا فرق في الحكم بين المؤمنة والكتابية في ذلك بالاتفاق[3].**

- ومن الثالث (التعبير عن الإجماع بعدم وجود الخلاف): **هذه الآية الكريمة فيها بيان حكم جلد القاذف للمحصنة، وهي الحرة البالغة العفيفة، فإذا كان المقذوف رجلا فكذلك يجلد قاذفه أيضًا، ليس في هذا نزاع بين العلماء[4].**

المقارنة:

- الخازن مقل من إيراد الإجماع بالنسبة لابن كثير رحم الله الجميع.
- الخازن يذكر الإجماع من تلقاء نفسه بخلاف ابن كثير فقد ينقل عن غيره.

([1]) المصدر السابق 6|477.

([2]) سورة الأحزاب آية: (49).

([3]) تفسير القرآن العظيم 6|440.

([4]) المصدر السابق 6|13

المبحث الثالث: المقارنة بين منهجيهما في الكلام على مباحث علوم القرآن كالناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ونحوهما، واهتمامهما بذلك، وفيه تمهيد وخمسة مطالب:

التمهيد: وفيه التعريف بعلوم القرآن وأهميته.

المطلب الأول: اهتمام الإمامين بأسباب النزول.

المطلب الثاني: اهتمام الإمامين بالمبهمات.

المطلب الثالث: اهتمام الإمامين بالمناسبات.

المطلب الرابع: اهتمام الإمامين بالإشكالات والجواب عنها.

المطلب الخامس: اهتمام الإمامين بالناسخ والمنسوخ.

تمهيد:

المراد بعلوم القرآن: ذلك (العلم الذي يتناول الأبحاث المتعلقة بالقرآن من حيث معرفة أسباب النزول، وجمع القرآن وترتيبه، ومعرفة المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمُحْكَم والمتشابه، إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن)[1].

ولا خلاف ما لعلوم القرآن الكريم من أهمية في فهم القرآن، وما له كذلك من أهمية بالنسبة للمتصدر لشرح القرآن الكريم؛ ومن أجل هذا كان المفسرون على مر العصور يولون مباحثه عناية وأهمية، ويحاولون تطبيق تلك المقدمات والأصول والمباحث على القرآن الكريم وقت تفسيره وشرحه، وكان على رأس هذه المباحث وألصقها بالتفسير معرفة أسباب النزول والذي يعد من أهم مباحث علوم القرآن.

والإمامان الكريمان الخازن وابن كثير – رحمهما الله - درجا في تفسيريهما على العناية به وتصديره في الشرح؛ لأهميته في فهم المراد من الآية، ولغير ذلك من الفوائد الجليلة المتعلقة به. وهذا أوان الحديث عن منهجي الشيخين الكريمين.

([1]) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص11 مكتبة وهبة.

المطلب الأول: اهتمام الشيخين بأسباب النزول.

المراد بأسباب النزول عند أهل علوم القرآن: (هو ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال)[1].

وقد حرر السيوطي – رحمه الله - ذلك بقوله: (قلت والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه)[2].

فوائده:

- معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم.
- تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب.
- أن اللفظ قد يكون عاما ويقوم الدليل على تخصصه فإذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته.
- الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال؛ فلا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها؛ وهو طريق قوي في فهم معاني القرآن ويعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب.
- دفع توهم الحصر.
- معرفة اسم النازل فيه الآية وتعيين المبهم فيها [3].

ومن أجل هذه الفوائد البديعة فقد عني الإمامان ابن كثير والخازن – رحمهما الله – بذلك وأولياه عناية بينة. وهما وإن لم يستقصيا كما فعل غيرهما إلا أنهما قد أودعا كتابيهما من ذلك الشيء الكثير بحسب ما رأياه من حاجة تدعو لإيراده.

([1]) مباحث في علوم القرآن 72 لمناع القطان.

([2]) الإتقان للسيوطي 1|208 ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة.

([3]) ملخصة من كتاب الإتقان للسيوطي بتصرف 1|190 وما بعدها.

- **فأما الخازن – رحمه الله - فقد تنوعت طريقته في هذا الباب، فتارة ينـــص** على سبب النزول فيقول: (**سبب النزول .....**) أو لفظ قريب منه ثم يذكر السبب كما فعل ذلك في حادثة الإفك فإنه قال:

- **الآيات سبب نزولها .....** ثم أورد حديث الإفك الطويل [1].

وكما صنع في بداية تفسير سورة الروم[2] وهذا كثير في تفسيره.

وتارة يكتفي بذكر حديث فيه التصريح بسبب النزول كما قال في سورة مريم:

- {وما نتنزل إلا بأمر ربك} [3] (خ) عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ((يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت {وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا})) [4] [5].

وتارة أخرى يورد سبب النزول بدون مصدر حتى يظن الظَّانُّ أنه من تلقاء نفسه قال– رحمه الله - عند قوله تعالى:

- {لن ينال الله لحومها ولا دماؤها} [6] وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا نحروا البدن لطخوا الكعبة بدمائها يزعمون أن ذلك قربة إلى الله تعالى فأنزل الله: {لن ينال الله لحومها ولا دماؤها} [7][8].

والعجيب أن ابن كثير لم يعبر في هذا الموضع بالذات بسببية النزول بل قال:

- وقد كانوا في جاهليتهم إذا ذبحوها لآلهتهم وضعوا عليها من لحوم قرابتهم، ونضحوا عليها من دمائها، فقال تعالى: { لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا }.

([1]) لباب التأويل 3|318

([2]) المصدر السابق 3|427

([3]) سورة مريم آية: (64).

([4]) رواه البخاري في كتاب التوحيد باب (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) برقم: 7017.

([5]) لباب التأويل 3|226

([6]) سورة الحج آية: (37).

([7]) رواه الطبري 9|508 برقم: 11048.

([8]) لباب التأويل 3|290

ثم أورد بعد ذلك أثراً يدل على التصريح بالسبب فقال: **وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا محمد بن أبي حماد، حدثنا إبراهيم بن المختار، عن ابن جريج قال: ((كان أهل الجاهلية ينضحون البيت بلحوم الإبل ودمائها، فقال أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: فنحن أحق أن ننضح، فأنزل الله: { لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ })) أي: يتقبل ذلك ويجزي عليه**[1][2].

فابن كثير شارك الخازن في الإشارة إلى سبب النزول لكنه زاد عليه إيراد الأثر المصرح بسبب النزول.

وفي العموم فإن الخازن - رحمه الله - لا يكاد يفرط في ذكر سبب النزول إلا ما ندر؛ فعلى سبيل المثال فإنه لم يذكر سبب نزول قوله تعالى: **{ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ }** وقد ذكر لها السيوطي – رحمه الله - سبب نزول[3].

- **وأما إمامنا الثاني الإمام ابن كثير – رحمه الله – فقد ظهرت عنايته بأسباب** النزول بأوضح صورة تتجلى في سرد أسانيدها وتعدد رواياتها والتوسع في الكلام عليها بما تقتضيه الحاجة.

فتارة يفيض في ذلك ويتوسع في ذكر الروايات توسعاً كبيراً كما فعل عند تفسير قوله تعالى: **{ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ....}** [4].

وتفسير قوله تعالى: **{وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ}** إلى قوله:**{....وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ}** [5].

([1]) رواه ابن أبي حاتم في التفسير 8|2495 برقم: 13599.

([2]) تفسير القرآن العظيم 5|431.

([3]) الدر المنثور 5|617.

([4]) تفسير القرآن العظيم 6|19 وما بعدها.

([5]) المصدر السابق 6|175.

وقد يقدم بمقدمة مختصرة على سبب نزول الآية ثم يعقد فصلاً في ذكر الآثار الواردة في ذلك قال – رحمه الله - في سبب نزول: **{ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ...}** [1]:

- وكان سبب نزول هذه الآية الكريمة - فيما ذكره غير واحد من المفسرين، من السلف والخلف - في شأن عبد الله بن أبي بن سلول المنافق فإنه كان له إماء، فكان يكرههن على البغاء[2] طلباً لخَراجهن، ورغبةً في أولادهن، ورئاسةً منه فيما يزعم قبحه الله ولعنه) ثم قال بعد ذلك (...ذكر الآثار الوردة في ذلك....) [3].

وتارة يقتصر على ما يتضح به المعنى كما قال – عند تفسير قوله تعالى: { **وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ .....**}[4] -:

- وكان سبب نزول هذه الآية ما ذكره مقاتل بن حيَّان قال: بلغنا - والله أعلم - أن جابر بن عبد الله الأنصاري حَدَّث: أن أسماء بنت مُرْشدَة كانت في نخل لها في بني حارثة، فجعل النساء يدخلن عليها غير مُتَأزّرات فيبدو ما في أرجلهن من الخلاخل[5]، وتبدو صدورهن وذوائبهن، فقالت أسماء: ما أقبح هذا.

([1]) سورة النور آية: (33).

([2]) البغاء: الفجور. انظر تاج العروس (37|183) مادة (بغي).

([3]) تفسير القرآن العظيم 6|54-55.

(4) سورة النور آية: (31).

([5]) الخلاخل: جمع خلخال، قال في تاج العروس: (والخلخل كجعفر ويضم: الخلخال كبلبال: حلي معروف للنساء، قال:

ملأي البريم متأق الخلخلَّ....

شدد لامه ضرورة، وقال آخر:

براقة الجيد صموت الخلخل.....

وقال امرؤ القيس:

كأني لم أركب جوادا للذة ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

والجمع : خلاخل وخلاخيل. والمخلخل كمدحرج: موضعه زاد الأزهري: من الساق أي ساق المرأة، وتخلخلت: لبسته. تاج العروس (28|434) مادة (خلل).

فأنزل الله: { وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ } [1] الآية[2].

وقال – عند تفسير قوله تعالى: { **أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ** }[3] قال -:

- ..... عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: كان المسلمون يرغبون في النفير مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فيدفعون مفاتحهم إلى ضُمَنائهم، ويقولون: قد أحللنا لكم أن تأكلوا ما احتجتم إليه. فكانوا يقولون: إنه لا يحل لنا أن نأكل؛ إنهم أذنوا لنا عن غير طيب أنفسهم، وإنما نحن أمناء. فأنزل الله: { أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ } [4][5].

وأحياناً يقيم سبب النزول مقام الكلام على الآية ويستغني به عن تفسيرها ومثال ذلك ما أورده عند قوله تعالى قائلاً:

- { رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} [6].

قال الإمام أحمد: حدثنا يَعْلى ووكيع قالا حدثنا عمر بن ذَرّ، عن أبيه، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لجبريل: ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ قال: فنزلت {وَمَا نَتَنزلُ إلا بأَمْرِ رَبِّكَ } إلى آخر الآية[7] [8].

([1]) رواه ابن أبي حاتم في التفسير 8|2573 برقم: 14389.

([2]) تفسير القرآن العظيم 6|45.

(3) سورة النور آية: (61).

([4]) رواه ابن أبي حاتم في التفسير8|2646 برقم: 14875.

([5]) تفسير القرآن العظيم 6|87.

([6]) سورة مريم آية: (65).

([7]) رواه أحمد في المسند 3|481 برقم: 2043.

([8]) تفسير القرآن العظيم 5|249.

المقارنة:

- الخازن ينص على سبب النزول وقد يهمل ذلك ويستغني عنه بذكر الحديث؛ وكذلك الحال عند ابن كثير.
- الخازن يذكر أسباب النزول بدون إسناد حالها حال بقية الأحاديث والآثار بخلاف ابن كثير فإنه يذكرها مسندة مع مصادرها.
- الخازن يكتفي بذكر سبب واحد في الغالب وأما ابن كثير فإنه يذكر أكثر من سبب كما فعل في قصة الإفك وغيرها والله أعلم.

المطلب الثاني: اهتمام الإمامين بمن نزلت الآيات في شأنهم (المبهمات)

هذا العلم من أشرف العلوم؛ فقد اعتنى العلماء به وأولوه أهمية كبيرة حتى افرده بالتأليف جماعة كان من آخرهم الإمام السيوطي – رحمه الله - في كتابه الشهير (مفحمات الأقران)[1] ذكر في مقدمته فضل هذا العلم وفوائده وأسبابه.

وهذا العلم الشريف جزء من علوم القرآن؛ وهو أيضاً من ألطف العلوم التي تناولها المفسرون لبيان معاني كلام الله ومراده من الآيات الكريمة؛ فكان من الأمر البديهي أن يعنى به المفسرون وإن كانت طرائقهم في ذلك مختلفة ما بين مطول في ذلك ومقتصد.

ثم إن هذا العلم من العلوم التوقيفية المنوطة بالنقل وليس للعقل فيها مدخل؛ قال السيوطي – رحمه الله - (اعلم أن علم المبهمات مرجعه النقل المحض لا مجال للرأي فيه).[2]

ومن المبهمات ما استأثر الله بعلمه فلا مجال لطلبه ولا لمعرفته؛ قال الزركشي – رحمه الله - (.....إلا أنه لا يبحث فيما أخبر الله باستئثاره بعلمه كقوله {**وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ**} [3][4].

تعريفه:

المبهم: اسم مفعول مشتق من الإبهام وهو الخفاء، قال في تهذيب اللغة: يقال: أمرٌ مُبْهَم: إذا كان ملتَبساً لا يُعرَف معناه ولا بابُه[5].

([1]) مطبوع بتحقيق: الدكتور مصطفى ديب البغا، ط: مؤسسة علوم القرآن، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، 1403 هـ - 1982 م، وبتحقيق: نور سعيد، ط: دار الفكر لبنان الطبعة الأولى 1992م.

([2]) الإتقان 6|2022.

([3]) الأنفال آية: (60).

([4]) البرهان في علوم القرآن 1|155 ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى ، 1376 هـ - 1957 م.

(5) تهذيب اللغة 6|338 لأبي منصور محمد الأزهري، تحقيق: محمد خفاجي ومحمود العقدة، ط: الدرا المصرية للتأليف والترجمة.

وأما تعريفه في الاصطلاح فهو: (ما تضمنه كتاب الله العزيز من ذكر مَن لم يُسمِّه الله فيه باسمه العلم من نبي أو ولي أو غيرهما آدمي، أو ملك، أو بلد، أو كوكب، أو شجر، أو حيوان، له اسم علم قد عرف عند نقلة الأخبار ...)[1].

- **أما الآن فمع الإمام الخازن وما أودع في تفسيره من هذا العلم الشـــــريف**

ومدى ما بلغت عنايته به.

الخازن – رحمه الله - استقصى هذا الباب استقصاء بديعاً حتى يمكن القول أنه لم يكد يفته شيء من أفراد هذا العلم وقد حاولت إجراء مقارنة سريعة بين تفسيره (محل الدراسة) وكتاب السيوطي (المفحمات) باعتباره قد جمع فأوعى فرأيت أمراً عجيباً إذ لا يكاد السيوطي يذكر مبهمة إلا وقد أوردها الخازن – رحمه الله - إلا في مواضع يسيرة وباختلاف في الأسلوب والمنهج؛ فالخازن في الغالب لا يُعول على دليل أو نقل في ذكر المبهمات كما هو الحال عند السيوطي أو كما شرط على نفسه، بل إن الخازن يذكر المبهمة هكذا من تلقاء نفسه بدون نقل أو دليل ومن أمثلته ما ذكره عند قوله تعالى:

- { وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ } [2] قال: هي بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب من قحطان[3].

فكما هو ملاحظ فالخازن لم ينقل اسم المرأة عن أحد ولا ذكر له حديثاً أو أثراً.

وقد يخرج عن هذا الغالب بذكر دليل أو أثر أو نقل عن الغير.

فمن الأول (ذكر دليل) ما ذكره عند قوله تعالى:

- { وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا } [4] قال: قيل هي الرفعة بعلو المرتبة في الدنيا وقيل إنه رفع إلى السماء.

---

(1) التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام في القرآن الكريم (مطلع المقدمة)، لأبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي، تحقيق: عبد أ. مهنا، ط: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

([2]) سورة النمل آية: (23).

([3]) لباب التأويل 3|381.

([4]) سورة مريم آية: (57).

وهو الأصح يدل عليه ما روى أنس بن مالك بن صعصعة - رضي الله عنه - عن النبيّ - صلى الله عليه وسلم – ((أنه رأى إدريس في السماء الرابعة ليلة المعراج)) متفق عليه[1][2].

ومن الثاني (ذكر أثر) قوله:

- قال ابن عمر رضي الله عنهما: الذي قال هذا يعني { حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ } [3] رجل من الأكراد قيل اسمه "هيزن" فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل[4] فيها إلى يوم القيامة؛ وقيل: قاله نمرود بن كنعان بن سنحاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح[5].

ومن الثالث (النقل عن الغير) ما قاله عند قوله تعالى:

- { وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ } [6]: أي جنس الإنسان والمراد به الكفار الذين أنكروا البعث، وقيل هو أبي بن خلف الجمحي وكان منكراً للبعث.[7].

وقد يحكي الخلاف كما مر في الأمثلة السابقة، وقد يرجح من ذلك كما قال:

- { رُوحَنَا } يعني جبريل { فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا }[8] أي سوي الخلق لم ينقص من الصورة الآدمية شيئاً، وإنما مثل لها في صورة الإنسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه، ولو بدا لها في صورة الملائكة لنفرت عنه ولم تقدر على استماع كلامه،

([1]) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة برقم: 3035. ومسلم في كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى السموات وفرض الصلوات. برقم: 434.

([2]) لباب التأويل 3|224.

([3]) سورة الأنبياء آية: (68).

([4]) يتجلجل: يتحرك فيها أي يغوص في الأرض حين يُخسف به والجَلْجَلة الحركة مع الصوت أي يَسُوخ فيها حين يُخْسف به. لسان العرب (11|116). مادة (جلل).

([5]) لباب التأويل 3|264.

([6]) سورة مريم آية: (66).

([7]) لباب التأويل 3|226.

(8) سورة مريم آية: (17).

وقيل المراد من الروح روح عيسى جاءت في صورة بشر فحملت به والقول الأول أصح[1].

هذا وقد ذكر جملة كبيرة من المبهمات ولم يكد يفته منها إلا النزر اليسير؛ فرحمه الله.

*** وأما الإمام الثاني: ابن كثير – رحمه الله - فقد نافس بقوة في هذا المضمار ولن** يبعد الناظر - في تفسيره - عن الصواب إن قال: إنه أبدع في ذلك، سواء باستقصائه للمبهمات وتضمينها التفسير، أو من حيث إسنادها وإحالتها إلى قائليها، أو حتى من حيث ذكر الأقوال الواردة فيها والترجيح بينها، وكذلك نقد الأقوال وبيان عورها، وقد اخترت أمثلة على ذلك وهذا ترتيبها:

أما نسبة الأقوال والترجيح بينها فقد قال: - عند تفسير قوله تعالى:

- { فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا }[2] -: قال مجاهد، والضحاك، وقتادة، وابن جُرَيْج ووهب بن مُنَبِّه، والسُّدِّي، في قوله: { فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا} يعني: جبريل، عليه السلام. وهذا الذي قالوه هو ظاهر القرآن فإنه تعالى قد قال في الآية الأخرى: { نَزلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ} وقال أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب قال: إن روح عيسى، عليه السلام، من جملة الأرواح التي أخذ عليها العهد في زمان آدم، وهو الذي تمثل لها بشرا سويًّا، أي: روح عيسى، فحملت الذي خاطبها وحل في فيها.وهذا في غاية الغرابة والنكارة، وكأنه إسرائيلي[3].

وأما ذكره للخلاف والتوسع فيه فقد قال:- عند تفسير قوله تعالى:

- { فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا } [4]-: واختلف المفسرون في المراد بذلك من هو؟ فقال العوفي وغيره، عن ابن عباس: { فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا } جبريل، ولم يتكلم عيسى

([1]) لباب التأويل 3|217.

([2]) سورة مريم آية: (17).

([3]) تفسير القرآن العظيم 5|220.

([4]) سورة مريم آية: (24).

حتى أتت به قومها، وكذا قال سعيد بن جبير، والضحاك، وعمرو بن ميمون، والسدي، وقتادة: إنه الملك جبريل عليه الصلاة والسلام، أي: ناداها من أسفل الوادي.

وقال مجاهد: { فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا } قال: عيسى ابن مريم، وكذا قال عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن قتادة قال: قال الحسن: هو ابنها. وهو إحدى الروايتين عن سعيد ابن جبير: أنه ابنها، قال: أولم تسمع الله يقول: { فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ} ؟ واختاره ابن زيد، وابن جرير في تفسيره.[1]

وأما الاكتفاء بقول واحد فقال:- عند تفسير قوله تعالى:

- {إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى}[2] -:..... قال سعيد بن جبير: فحدثني ابن عباس: ((أن يوم الزينة الذي أظهر الله فيه موسى على فرعون والسحرة، هو يوم عاشوراء)) [3].

وأما نقده للأقوال وبيان فسادها ومحل الخطأ فيها فقد قال:

- ومن قال من المفسرين: إن هذا الوادي كان بأرض الشام أو بغيره، وإن هذه النملة كانت ذات جناحين كالذباب، أو غير ذلك من الأقاويل، فلا حاصل لها.وعن نَوْف البكالي أنه قال: كان نمل سليمان أمثال الذئاب. هكذا رأيته مضبوطا بالياء المثناة من تحت. وإنما هو بالباء الموحدة، وذلك تصحيف، والله أعلم[4].

المقارنة:

- قد استقصى الخازن – رحمه الله – المبهمات حتى أتى على أكثرها ولم يفته إلا النادر منها. وأما ابن كثير فلا يبعد القول بأنه نافس الخازن في ذلك منافسة قوية وكان مع الخازن في هذا الباب متقاربين في الكثرة والاهتمام.

([1]) تفسير القرآن العظيم 5|224.

(2) سورة طه : آية (38).

([3]) تفسير القرآن العظيم 5|289.

([4]) المصدر السابق 6|183.

- الخازن في الغالب يذكر المبهمات بدون دليل ولا نقل ويجعلها بمنزلة التفسير للكلمة وقد يذكر الدليل على ذلك أحياناً وربما نشط فذكر الخلاف في ذلك ورجح منها ما يراه. وهذا خلاف ابن كثير فإنه يذكر المبهمات مع قائليها ويرجح بين الأقوال ويدلل عليها وربما أسندها وقد يتوسع في الخلاف فيها.
- كثيراً ما يذكر الخازن عدة أقوال في المبهمة الواحدة وكذلك الحال عند ابن كثير - رحمهما الله -.

المطلب الثالث: اهتمام الشيخين بالمناسبات

المراد بعلم المناسبات ذلك العلم الذي يهتم بأوجه الربط بين الآيات والسور كما قال السيوطي – رحمه الله -: المناسبة في اللغة: المشاكلة والمقاربة ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه [1].

وقد اعتنى علماء التفسير بهذا الفن واهتموا به على اختلاف بينهم في ذلك ما بين مكثر ومقل، فممن أكثر منه وعَوَّل عليه الإمام البقاعي[2] – رحمه الله - في (نظم الدرر)[3] والفخر الرازي - رحمه الله - في (مفاتيح الغيب)[4] يقول الرازي: (ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته)[5].

وقال في موضع آخر: (فما أحسن هذا الترتيب؛ لأن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط)[6].

وبعد هذه المقدمة المختصرة نعود إلى شيخينا الكريمين - الخازن وابن كثير - وما قاما به نحو هذا العلم اللطيف.

([1]) الإتقان 5|1840.

(2) الإمام: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بضم الراء بعدها موحدة خفيفة ابن علي بن أبي بكر برهان الدين البقاعي ت|885.انظر شذرات الذهب (9|509)، وطبقات المفسرين ص347 للأدنروي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة الطبعة: الأولى 1997م.

([3]) مطبوع متداول منها طبعة: دار الكتب العلمية.

([4]) مطبوع أكثر من طبعة كطبعة: دار الكتب العلمية، وإحياء التراث العربي.

([5]) مفاتيح الغيب 7|112.

([6]) المصدر السابق 10|113.

- **أما الإمام الخازن – رحمه الله - فيمكن القول بأنه لم يحتفل بهذا العلم ولـــم** يعره اهتمامه؛ فإن تفسيره (محل الدراسة) يكاد يكون خالياً منه ولعل عذره في ذلك أنه نحى بتفسيره منحى التفسير الإجمالي لبيان معاني الآيات وإن كان طرزه بالأقوال والفوائد.

وقد حاولت تتبع شيئاً من ذلك فلم أظفر إلا بإشارات خفيات في مواضع يسيرة. فمن ذلك أنه أراد أن يربط بين تقديم كلمة الصديق على الرسول ومناسبة ذلك من قوله تعالى: **{ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا }** [1] فقال:

- .... ولما قربت رتبة الصديق من رتبة النبي انتقل من ذكر كونه صديقاً إلى ذكر كونه نبياً، والنبي العالي في الرتبة بإرسال الله إياه وأي رتبة أعلى من رتبة من جعله الله تعالى واسطة بينه وبين عباده [2].

ومن ذلك أيضاً ما ذكره عند قوله تعالى:

- { وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى } [3] أي وقد أتاك. لما قدم ذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قفاه بقصة موسى - عليه الصلاة والسلام - ليتأسى به في تحمل أعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد، حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود[4].

وأيضاً:

- ..... لما ذكر الله أمر أيوب وصبره على البلاء أتبعه بذكر هؤلاء الأنبياء لأنهم صبروا على المحن والشدائد والعبادة أيضاً [5].

([1]) سورة مريم آية: (41).

([2]) لباب التأويل 3|222.

([3]) سورة طه آية: (9).

([4]) لباب التأويل 3|234.

([5]) المصدر السابق 3|273.

وهو يعبر عن الربط بين المتناسبات بلفظة (لما) كما سبق ومنه أيضاً ما قاله عند قوله تعالى:

- { مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ } [1] أي من كل صنف حسن نضير والبهيج هو المبهج وهو الشيء المشرق الجميل ثم إنّ الله تعالى لما ذكر هذين الدليلين رتب عليهما ما هو المطلوب { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُور } [2][3].

- وقال: **.....لما ذكر الخلق ذكر الرزق لأن كمال الخلق ببقائه وبقاء الخلق بالزرق والله تعالى هو المتفضل بالرزق على الخلق فله الفضل والإحسان والطول والامتنان [4].**

هذا قصارى ما حصلت عليه بعد التتبع والبحث والله أعلم.

- **وأما الحافظ ابن كثير – رحمه الله - فإنه وإن كان مقلاً بالنسبة لغيره ممن** عني بهذا الفن إلا أنه قد ذكر مناسبات كثيرة وفي مواطن متعددة، والذي يبدو من حديثه عن المناسبات أنه يستحسنها ويستحليها ما دامت خارجة عن إطار التكلف والمبالغة يظهر ذلك من صنيعه أومن تعلقيه على قول ابن جرير: (يقول الله تعالى: كما أنزلنا الكُتُب على مَنْ قبلك - يا محمد - من الرسل، كذلك أنزلنا إليك هذا الكتاب). قال - بعد قول ابن جرير هذا-: **(وهذا الذي قاله حسن ومناسبة وارتباط جيد)[5].**

وهو كثيراً ما يشير إلى المناسبة والربط بكلمة (لما) كما فعل الخازن، ومن أمثلة ذلك:

([1]) سورة الحج آية: (5).

([2]) سورة الحج آية: (7).

([3]) لباب التاويل3|281.

([4]) المصدر السابق 3|426.

([5]) تفسير القرآن العظيم 6|285.

- { وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا } [1]. لما ذكر الله تعالى إمداد من هو في الضلالة فيما هو فيه وزيادته على ما هو عليه، أخبر بزيادة المهتدين هُدى[2].

وقد يغير الأسلوب أحياناً لما هو أقرب في التصريح بالمناسبة كما قال:

- ولما كان الصوم من أكبر العون على كسر الشهوة - كما قال - رسول الله صلى الله عليه وسلم -: ((يا معشر الشباب، مَنْ استطاع منكم الباء فليتزوج، فإنه أغَضُّ للبصر، وأحْصَن للفرج، ومَنْ لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجَاء))[3] ناسب أن يذكر بعده: { وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ } أي: عن المحارم والمآثم إلا عن المباح [4].

وقد يطيل نَفَسه قليلاً بذلك وبأسلوب أخاذ كما قال:

- هكذا قرَن تعالى قصة مريم وابنها عيسى، عليه السلام، بقصة زكريا وابنه يحيى، عليهما السلام، فيذكر أولاً قصة زكريا، ثم يتبعها بقصة مريم؛ لأن تلك مُوَطّئة لهذه، فإنها إيجاد ولد من شيخ كبير قد طعَن في السن، ومن امرأة عجوز عاقر لم تكن تلد في حال شبابها، ثم يذكر قصة مريم وهي أعجب، فإنها إيجاد ولد من أنثى بلا ذكر[5].

([1]) سورة مريم آية: (76).

([2]) تفسير القرآن العظيم 5|258.

([3]) رواه البخاري في كتاب النكاح باب قول النبي صلى الله عليه و سلم: (من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر أحصن للفرج) برقم: 4778. ومسلم في كتاب النكاح باب (استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة واشتغال من عجز عن المُؤَن بالصوم) برقم: 3464.

([4]) تفسير القرآن العظيم 6|420.

([5]) المصدر السابق 5|371.

المقارنة:

- لم يكن للخازن – رحمه الله – كبير اهتمام في باب المناسبات وإنما تكلم عليها على وجه العرض، وهذا بخلاف ابن كثير – رحمه الله – فإنه قد استشعر ذلك واستحضره في بعض مواضعه يدل عليه المثال الذي تقدم ذكره.
- الخازن – رحمه الله – مقارنة بابن كثير مقل في الكلام على المناسبات بل إن المواضع التي ذكرها تعد بالأصابع وهذا عكس ما فعله ابن كثير – رحمه الله – فإنه قد ذكر شيئاً كثيراً من ذلك.
- اشترك الإمامان في صيغة التعبير عن الربط بين الآيات وذلك بكلمة (لما).
- كان ابن كثير أقرب للتصريح بالمناسبة من الخازن رحمة الله عليهما إلى يوم الدين.

المطلب الرابع: اهتمام الشيخين بالإشكالات والجواب عنها

قد اعتنى العلماء – رحمهم الله - بهذا الباب باعتباره جهاد الكلمة ولأنه من المنافحة عن القرآن والدفاع عنه فمنهم من أفرده بالتأليف ومنهم من تكلم فيه ضمن كتب علوم القرآن أو التفسير.

والمراد به كما قال السيوطي: (ما يوهم التعارض بين الآيات؛ وكلامه تعالى منزه عن ذلك كما قال: **{ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا }**[1] ولكن قد يقع للمبتدئ ما يوهم اختلافاً وليس به في الحقيقة فاحتيج لإزالته) [2].

ووضع تعريف لمشكل القرآن وموهم الاختلاف من الصعوبة بمكان ذلك أنه علم قام بذاته على جهة الاستقلال وفي الوقت ذاته تناوله أرباب العلوم من الأصوليين وأهل الحديث وأهل علوم القرآن وكل من أولائك يعرفه بحسب مشربه بل إن أهل علوم القرآن يتكلمون عليه من حيثيات كثيرة، ولعل التعريف الذي يمكن أن يتواءم مع ما هو مقصود في هذا المبحث ما ذكره ابن عقيلة[3] في كتابه الذي صنفه في علوم القرآن؛ وهو قوله: (ما أشكل معناه على السامع ولم يصل إلى إدراكه إلا بدليل آخر)[4].

فمن خلال هذا التعريف يتضح أن " المشكل " المتعلق بالآيات لا يقتصر على ما يتوهم معارضة الآيات بعضها ببعض فحسب، بل يعم ذلك ما يتوهم معارضته للآيات من بعضها البعض، أو من شيء آخر خارج عنها، وكذلك ما يستعصي إدراكه على وجهه الصحيح.

([1]) سورة النساء آية: (82).

([2]) الإتقان 4|1470 وانظر البرهان (2|45)، فلعل السيوطي أخذه منه.

([3]) المحدث الصوفي المسند: الشمس محمد بن أحمد بن سعيد المشتهر والده بابن عقيلة الحنفي المكي ت|1150هـ. انظر فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات(2|607) لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني تحقيق: إحسان عباس ط: دار الغرب الإسلامي - بيروت 1982م.

([4]) الزيادة والإحسان (5|134) لابن عقيلة المكي تحقيق: مجموعة من المحققين في رسائل علمية ط: جامعة الشارقة الطبعة الأولى 1427هـ- 2006م..

وكان قد اهتم بهذا الجانب المهم الإمامان الخازن وابن كثير – رحمهما الله - إلا أن الخازن – رحمه الله - قد تفوق في هذا الباب تفوقاً واضحاً وذلك من خلال كثرة ما يورد من الإشكالات والجواب عنها سواء منه أو من غيره وهو غالباً ما يصدر ذلك بقوله: (**فإن قلتَ كذا...**).

وقد تتبعت ذلك فاجتمع لي كَمٌّ هائل، وعدد كثير وهو يدل على عناية الخازن بالقرآن الكريم والذود عن حياضه؛ والناظر في هذا التفسير المبارك يجد غيرة الخازن - في الدفاع عن الأصول والمنافحة عن النظم القرآني - بينة واضحة؛ وهذا الجانب يُعَدُ من الجوانب المشرقة، وأهم ميزات تفسيره على رغم أنه فقد من يشيد به ويذكر ذلك له.

وقد تنوعت جوابات الخازن – رحمه الله - على الإشكالات طولاً وقصراً بحسب المقام وخطر الشبهة أو الإشكال.

فمثال الاختصار والقصر توهم التعارض بين وصف ريح سليمان - عليه السلام - بالرخاء وبين قوله: { **عَاصِفة** } [1]. قال – رحمه الله – عندها:

- { عَاصِفة } أي شديدة الهبوب. فإن قلت: قد وصفها الله بالرخاء وهي الريح اللينة قلتُ: كانت الريح تحت أمره إن أراد أن تشتد اشتدت وإن أراد أن تلين لانت [2].

ومن التفصيل والإمعان في الجواب جوابه على الإشكالات المتعلقة بجناب الأنبياء وصدور الذنب منهم كقصة آدم - عليه السلام – في سورة (طه)[3] وموسى - عليه السلام - في سورة النمل[4] وقصة زواج زينب - رضي الله عنها - في سورة الأحزاب[5] وكذلك المتعلقة بالقرآن كقصة **الغرانيق** في سورة الحج[6] وتوهم

([1]) سورة الأنبياء آية: (81).

([2]) لباب التأويل 3|267.

(3) المصدر السابق 3|251.
(4) المصدر السابق 3|376.
(5) المصدر السابق 3|468.
(6) المصدر السابق 3|293.

التعارض بين قوله تعالى: **{ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ }** [1] وقوله: **{ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ }** [2].

وهذا مثال؛ ليتبين مدى التطويل والتفصيل الذي يورده، وذلك حينما تكلم على قوله تعالى: { **فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ**} قال:

- فإن قلت: قال في موضع آخر: { تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ } فكيف الجمع بينهما.

قلتُ: أراد بقوله خمسين ألف سنة مدة المسافة بين الأرض وسدرة المنتهى[3] التي هي مقام جبريل - عليه السلام - يقول يسير جبريل والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين ألف سنة في يوم واحد من أيام الدنيا.

وقيل كلها في القيامة فيكون على بعضهم مثل ألف سنة وعلى بعضهم خمسين ألف سنة وهذا في حال الكفار وأما على المؤمنين فدون ذلك كما جاء في الحديث: ((إنه يكون على المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا)) [4] **قال إبراهيم التيمي: لا يكون على المؤمنين إلا كما يكون ما بين الظهر والعصر وقيل يحتمل أن يكون هذا إخباراً عن شدته وهوله ومشقته وقال ابن أبي مليكة : دخلت أنا وعبد الله بن فيروز مولى عثمان على ابن عباس فسأله ابن فيروز عن هذه الآية وعن مقدار { خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}. فقال ابن عباس - رضي الله عنهما -:**

([1]) سورة المعارج آية: (4).

([2]) سورة السجدة آية: (5).

([3]) سدرة المنتهى: في أقصى الجنة، إليها ينتهي علم الأولين والآخرين ولا يتعداها. وانظر تاج العروس (11|526).

([4]) رواه أحمد بلفظ: (والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا) المسند: 18|246 برقم: 11717.وفي إسناده ابن لهيعة وكلام أهل العلم فيه مشهور وكذلك فيه دراج عن أبي الهثيم وفي روايته عنه ضعف.

((أيام سماها الله تعالى لا أدري ما هي وأكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم))[1][2].

كما أن الإشكالات تنوعت هي أيضاً ما بين توهم التعارض في الآيات بعضها ببعض، أو تعارضها مع الأحاديث، إلى توهم مخالفتها للأصول، أو توهم المخالفة للعربية، أو العقل، أو الواقع، أو الحس، وهذه أمثلتها مرتبة:

فمثال الأول: ما مر من توهم التعارض بين العاصفة والرخاء وكذلك بين خمسين ألف سنة وألف سنة.

ومنه أيضاً قوله:

- ..... فإن قلت قد قال الله تعالى في الآية الأولى: {يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ} [3] وقال في هذه الآية {يدعو لمن ضره أقرب من نفعه} [4] وهذا تناقض فكيف الجمع بينهما.

قلتُ: إذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك أنّ الله تعالى قال: في الآية الأولى: {ما لا يضره} أي لا يضره ترك عبادته وقوله لمن ضره أي ضر عبادته وقيل: إنها لا تضر ولا تنفع بأنفسها ولكن عبادتها سبب الضرر وذلك يكفي في إضافة الضرر إليها وقيل: إن الله تعالى سفه الكافر حيث عبد جماداً لا يضر ولا ينفع وهو يعتقد بجهله وضلاله أنه ينتفع به حين يستشفع وقيل الآية في الرؤساء وهم الذين كانوا يفزعون إليهم لأنه يصح منهم أن يضروا وينفعوا وحجة هذا القول أن الله تعالى بين في الآية الأولى أنّ الأوثان لا تضر ولا تنفع وهذه الآية تقتضي كون المذكور

([1]) رواه الطبري بلفظ: (هما يومان ذكرهما الله جلّ وعزّ، الله أعلم بهما وأكره.....) جامع البيان (602|23)، وقريب من هذا اللفظ روى الحاكم في المستدرك كتاب الأهوال (652|4) برقم: (8803) وعزاه السيوطي في الدر المنثور(538|6) إلى عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف والحاكم وصححه.

([2]) لباب التأويل 444|3.

([3]) سورة الحج آية: (12).

([4]) سورة الحج آية: (13).

فيها ضاراً نافعاً، فلو كان المذكور في هذه الأوثان لزم التناقض فثبت أنهم الرؤساء بدليل قوله: { لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ } [1] أي الناصر والمصاحب المعاشر[2].

ومثال الثاني: وهو توهم المخالفة للسنة، قال:

- ..... فإن قلت كيف يؤمر بالصلاة والزكاة، في حال طفوليته وقد قال: - صلى الله عليه وسلم - ((رفع القلم عن ثلاث الصبي حتى يبلغ))[3] الحديث.

قلت: إن قوله: { وَأَوْصَانِي بالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ } [4] لا يدل على أنه تعالى أوصاه بأدائهما في الحال بل المراد أوصاه بأدائهما في الوقت المعين لهما وهو البلوغ، وقيل إن الله تعالى صيره حين انفصل عن أمه بالغاً عاقلاً وهذا القول أظهر في سياق قوله: {ما دمت حياً} فإنه يفيد أن هذا التكليف متوجه إليه في زمان جميع حياته حين كان في الأرض، وحين رفع إلى السماء وحين ينزل الأرض بعد رفعه[5].

ومثال الثالث: وهو توهم مخالفة الأصول:

- {لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى } [6] أي يتعظ ويخاف ويسلم فإن قلت: كيف قال: (لعله يتذكر) وقد سبق في علمه أنه لا يتذكر ولا يسلم. قلتُ: معناه اذهبا على رجاء منكما وطمع وقضاء الله وراء أمركما، وقيل هو إلزام الحجة وقطع المعذرة كقوله تعالى: { وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ} [7] وقيل هو ينصرف إلى غير فرعون مجازه { لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ } متذكراً ويخشى خاش إذا رأى بري وإلطافي بمن خلقته وأنعمت عليه ثم ادعى الربوبية، وقيل: {لعل} من

([1]) سورة الحج آية: (13).

([2]) لباب التأويل 3|282.

([3]) رواه أبو داوود في كتاب الحدود باب في المجنون يسرق أو يصيب حدا برقم: 4404. والترمذي في كتاب الحدود باب ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد برقم: 1423.

([4]) سورة مريم آية: (31).

([5]) لباب التأويل 3|220.

([6]) سورة طه آية: (44).

([7]) سورة طه آية: (134).

الله واجب ولقد تذكر فرعون وخشي حين لم تنفعه الذكرى والخشية وذلك حين ألجمه الغرق[1].

ومثال الرابع: وهو توهم مخالفة العربية:

- { وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً } [2] أي دلالة {للعَالمِين} على كمال قدرتنا وعلى خلق ولد من غير أب، فإن قلت هما آيتان فكيف قال: آية ؟.

قلتُ: معنى الكلام وجعلنا شأنهما وأمرهما آية واحدة أي ولادتها إياها من غير أب آية[3].

ومثال الخامس: وهو توهم مخالفة العقل:

- قال: فإن قلت كيف يصح حصول العقل والفطنة والنبوة حال الصبا؟.

قلتُ: لأن أصل النبوة مبني على خرق العادات، إذا ثبت هذا فلا تمنع صيرورة الصبي نبياً، وقيل أراد بالحكم فهم الكتاب فقرأ التوراة وهو صغير وعن بعض السلف قال من قرأ القرآن قبل أن يبلغ فهو من أوتي الحكم صبياً[4].

ومثال السادس: وهو توهم مخالفة الواقع:

- {كذبت قوم نوح المرسلين} [5] أي كذبت جماعة قوم نوح، قيل: القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة. فإن قلتُ: كيف قال المرسلين وإنما هو رسول واحد وكذلك باقي القصص؟.

قلتُ: لأن دين الرسل واحد وإن الآخر منهم جاء بما جاء به الأول فمن كذب واحد من الأنبياء فقد كذب جميعهم [6].

ومثال السابع: وهو توهم مخالفة الحس:

([1]) لباب التأويل 3|239.

([2]) سورة الأنبياء آية: (91).

([3]) لباب التأويل 3|306.

([4]) المصدر السابق 3|216.

([5]) سورة الشعراء آية: (105).

([6]) لباب التأويل 3|366.

- فإن قلت كيف قال: {خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ }[1] مع أن كثيراً من الحيوانات يتولد من غير نطفة؟.

قلتُ: ذلك المخلق من غير نطفة، لا بد أن يتكون من شيء، وذلك الشيء أصله من الماء فكان من الماء [2].

وعموماً فقد يتوسع الخازن – رحمه الله - في ذكر الإشكالات والجواب عنها حتى يتعدى بذلك إلى ما يورده مما هو من متعلقات الآية كما فعل عند قوله تعالى: { **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ }**[3]؛ فقد أورد حديث أنس رضي الله عنه في الإسراء وفيه رؤية النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لموسى عند الكثيب الأحمر[4] ثم قال:

- ..... فإن قلت قد صح في حديث المعراج أنه رآه في السماء السادسة عند مراجعته في الصلوات[5] فكيف الجمع بين هذين الحديثين؟.

قلتُ: يحتمل أن تكون رؤيته في قبره عند الكثيب الأحمر، كان قبل صعوده إلى السماء وذلك في طريقه إلى بيت المقدس، ثم لما صعد على السماء السادسة وجده هناك قد سبقه لما يريد الله عز وجل وهو على كل شيء قدير[6].

وقد يتعمق في ذكر الشبهة بما لا يتصور تعارضه ثم يجيب عنها كما قال:

- ..... فإن قلت: كيف يتصور الحطم من سليمان (عليه السلام) وجنوده وهو فوق البساط على متن الريح؟.

قلتُ: كأنهم أرادوا النزول عند منقطع الوادي، فلذلك قالت نملة: لا يحطمنكم سليمان وجنوده لأنهم ما دامت الريح تحملهم لا يخاف حطمهم[7].

([1]) سورة النور آية: (45).

([2]) لباب التأويل 3|335.

([3]) سورة السجدة آية: (23).

([4]) رواه مسلم في كتاب الفضائل باب من فضائل موسى - صلى الله عليه وسلم – برقم: 6306.

([5]) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة برقم: 3035. ومسلم في كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى السموات وفرض الصلوات. برقم: 434.

([6]) لباب التأويل 3|448.

([7]) المصدر السابق 3|379.

ففي تقديري – القاصر - أنه لا ينقدح في ذهن الكثير هذا الإشكال إذ أن سليمان - عليه السلام - لم يكن في جميع أحواله يركب الريح فقط، بل قصة إعداد الخيل في سبيل الله في سورة (ص) تدل على ركوبه لها وبهذا لا يرد الإشكال رأساً.

لكن لعل الخازن تابع في ذلك البغوي.

والذي ينبغي التنبيه عليه وأخذه بعين الاعتبار أن كثيراً من الإشكالات والجواب عنها قد استقاها الخازن من البغوي – رحمهما الله - مع الاختلاف بينهما في التقديم فإن البغوي يقدم ذلك بقوله: فإن (قيل) والخازن بقوله (فإن قلتَ) وهو أحسن لشد واستمالت القارئ. وكذلك قد يختلفا في الجواب عن الإشكال كما فعلا عند قوله تعالى: **{وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ}** [1].

ثم إن الطابع العام لجوابات الخازن – رحمه الله - عن الإشكالات قوي ومختصر وهو تارة ينقل ذلك عن غيره كما مر، وكثيراً ما يتولى الرد عليها بنفسه.

- **أما الإمام ابن كثير – رحمه الله - وإن كان مقلاً في هذا الباب بالنسبة** للخازن لكنه لم يهمله بالكلية فقد أدلى في ذلك بدلوه؛ وهو في الغالب لا يصرح بالكلام على الإشكال بل لربما أجاب عنه ضمن تفسير الآية كما قال - فيما يتوهم معارضة الآية للحس في المشي على الوجوه -:

- ثم قال تعالى: مخبراً عن سوء حال الكفار في معادهم يوم القيامة وحشرهم إلى جهنم، في أسوأ الحالات وأقبح الصفات: {الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلاً} [2]، وفي الصحيح، عن أنس - رضي الله عنه -: أن رجلاً قال: يا رسول الله، كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ فقال: ((إن الذي أمشاه على رجليه قادر أن يُمشِيَه على وجهه يوم القيامة)) [3] وهكذا قال:

([1]) سورة النور آية: (45).

([2]) سورة الفرقان آية: (34).

([3]) رواه البخاري في كتاب التفسير باب قوله: (الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا) برقم: 4482. ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب يحشر =

مجاهد، والحسن، وقتادة، وغير واحد من المفسرين، والله أعلم[1].

فأنت ترى أنه رد هذا الإشكال بحديث صريح في الموضوع بدون أدنى إشارة لذكر الإشكال.

وقد يصرح برد الإشكال سيّما إذا كان مما تداوله الناس وطفحت به الكتب كقضية توبة القاتل، كما قال:

- وقوله: { إلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا} [2] أي: جزاؤه على ما فعل من هذه الصفات القبيحة ما ذكر { إلا مَنْ تَابَ} في الدنيا إلى الله من جميع ذلك، فإن الله يتوب عليه.

وفي ذلك دلالة على صحة توبة القاتل، ولا تعارض بين هذه وبين آية النساء: { وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}[3] فإن هذه وإن كانت مدنية إلا أنها مطلقة، فتحمل على من لم يتب، لأن هذه مقيدة بالتوبة، ثم قد قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } [4].

وقد ثبتت السنة الصحيحة، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بصحة توبة القاتل، كما ذكر مقرراً من قصة الذي قتل مائة رجل ثم تاب، وقبل منـــــــــــه[5]،

= الكافر على وجهه برقم: 7265. كلاهما بلفظ: (أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على) ولفظ المصنف عند أحمد لكن مكان (القيامة) (النار) المسند 21|89 برقم: 13392.

([1]) تفسير القرآن العظيم 6|110.

([2]) سورة الفرقان آية: (70).

([3]) سورة النساء آية: (93).

([4]) سورة النساء آية: (48).

([5]) يشير إلى الحديث المشهور الذي رواه أبو سعيد الخدري – رضي الله عنه - أن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال: لا. فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال: نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون

وغير ذلك من الأحاديث [1].

وهو - رحمه الله - كالخازن قد يستشكل ما يتوهم معارضته للحديث كما قال - رحمه الله - عند قوله تعالى: **{فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}**[2]-:

- ..... لكن يقال: كيف الجمع بين هذه الآية، وبين الحديث الوارد في الصحيح: ((أن إبراهيم حين مَرّ على ذلك الجبار، فسأل إبراهيم عن سارة: ما هي منه؟ فقال: (هي أختي)، ثم جاء إليها فقال لها: إني قد قلت له: (إنك: أختي، فلا تكذبيني، فإنه ليس على وجه الأرض أحد مؤمن غيرك وغيري، فأنت أختي في الدين))[3]. وكأن المراد من هذا - والله أعلم - أنه ليس على وجه لأرض زوجان على الإسلام غيري وغيرك، فإن لوطاً عليه السلام، آمن به من قومه، وهاجر معه إلى بلاد الشام [4].

وكذلك ما يتوهم مخالفته للواقع قال – رحمه الله -:

- فإن قيل: فأيّ رحمة حصلت لمن كَفَر به؟ فالجواب ما رواه أبو جعفر بن جرير: حدثنا إسحاق بن شاهين، حدثنا إسحاق الأزرق، عن المسعودي، عن رجل يقال له:

الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء. فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه= =الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله. وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرا قط. فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له. فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة)) رواه البخاري في كتاب الأنبياء باب (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم) رقم 3283. ومسلم كتاب التوبة باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله برقم: 7184. وهذا لفظ مسلم.

([1]) تفسير القرآن العظيم 6|127.

([2]) سورة العنكبوت آية: (26).

([3]) رواه البخاري في كتاب البيوع باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه برقم: 2104 ومسلم في كتاب الفضائل باب من فضائل إبراهيم الخليل - صلى الله عليه وسلم -. برقم:6294.

([4]) تفسير القرآن العظيم 6|273.

سعيد، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس في قوله: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ } [1] قال: من آمن بالله واليوم الآخر، كُتِبَ له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بالله ورسوله عُوفِي مما أصاب الأمم من الخسف والقذف[2].

وهكذا رواه ابن أبي حاتم[3]، من حديث المسعودي، عن أبي سعد - وهو سعيد بن المرزبان البقّال - عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، فذكره بنحوه، والله أعلم.

وقد رواه أبو القاسمُ الطبراني عن عبدان بن أحمد، عن عيسى بن يونس الرَمْلِي، عن أيوب ابن سُوَيد، عن المسعودي، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} قال: من تبعه كان له رحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يتبعه عُوفِي مما كان يبتلى به سائر الأمم من الخسف والقذف[4][5].

وقد ينقل الإشكال عن غيره ويجيب عنه ويوضح مأخذه كما قال:

- ..... ثم أورد ابن جرير على نفسه ما روي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - طلق حفصة[6] ثم راجعها، وعزم على فراق سودة[7] حتى وهبته يومها لعائشة، ثم

([1]) سورة الأنبياء آية: (107).

([2]) رواه الطبري في التفسير (18|552).

([3]) لم أجده في المطبوع بين يدي عند هذه الآية.

([4]) تفسير القرآن العظيم (5|370).

([5]) رواه الطبراني في المعجم الكبير(12|23)، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط: مكتبة العلوم والحكم – الموصل، الطبعة الثانية ، 1404هـ – 1983م ولفظه هناك: (مما كان يبتلى سائر الأمم من المسخ والخسف والقذف).

([6]) حديث طلاق أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها رواه جمع من أهل العلم منهم: النسائي في السنن الصغرى كتاب الطلاق باب الرجعة برقم: 3560، وابن ماجه في كتاب الطلاق الباب الأول من كتاب الطلاق برقم: 2016، والحاكم في كتاب الطلاق برقم: 2797 وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، وفي تلخيص الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

([7]) رواه الطبراني في المعجم الكبير (24|32) برقم: (86) وعبد الرزاق في المصنف (6|238-239) برقم: (10656) وما بعده. وأصل وَهْب سودة يومها لعائشة - رضي الله عنهما – في=

أجاب بأن هذا كان قبل نزول قوله: { لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ } [1]، وهذا الذي قاله من أن هذا كان قبل نزول الآية صحيح، ولكن لا يحتاج إلى ذلك؛ فإن الآية إنما دلت على أنه لا يتزوج بمن عدا اللواتي في عصمته، وأنه لا يستبدل بهن غيرهن، ولا يدل ذلك على أنه لا يطلق واحدة منهن من غير استبدال، والله أعلم[2].

وقد يشارك الخازن في الإسهاب أحياناً، وإيراد مشكل ما يذكره من الحديث والجواب عنه كما فعل عند حديث: ((إن عندي امرأة هي من أحبِّ الناس إلي وهي لا تمنع يد لامِس قال: (طلقها). قال: لا صبر لي عنها قال: (استمتع بها))، ثم قال النسائي: هذا الحديث غير ثابت، وعبد الكريم ليس بالقوي، وهارون أثبت منه، وقد أرسل الحديث وهو ثقة، وحديثه أولى بالصواب من حديث عبد الكريم)[3].

فإنه قال: **وقد اختلف الناس في هذا الحديث ما بين مُضَعِّف له، كما تقدَّم، عن النسائي، وكما قال الإمام أحمد: هو حديث منكر.**

وقال ابن قتيبة: إنما أراد أنها سخية لا تمنع سائلاً. وحكاه النسائي في سننه، عن بعضهم فقال: وقيل: سخية تعطي، ورُدّ هذا بأنه لو كان المراد لقال: لا تَرُدّ يد ملتمس. وقيل: المراد أن سجيتها لا تَرُدّ يد لامس، لا أن المراد أن هذا واقع منها، وأنها تفعل الفاحشة؛ فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يأذن في مصاحبة من هذه صفتها. فإن زوجها - والحالة هذه - يكون دَيّوثاً[4]، وقد تقدم الوعيد على ذلك[5]. ولكن لما كانت سجيتها هكذا ليس فيها ممانعة ولا مخالفة لمن أرادها لو

=صحيح البخاري كتاب النكاح باب المرأة تهب يومها من زوجها لضرتها وكيف يقسم ذلك برقم: 4914.

([1]) سورة الأحزاب آية: (52).

([2]) تفسير القرآن العظيم 6|449.

([3]) سنن النسائي كتاب النكاح باب تزويج الزانية برقم: 3229.

([4]) الديوث: هو القواد على أهله، والذي لا يغار على أهله. انظر تاج العروس (5|254).

([5]) يشير إلى حديث كان قد ذكره قبل هذه المقطوعة عن عبد الله بن يسار - مولى ابن عمر - قال أشهد لقد سمعت سالماً يقول قال عبد الله - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه=

خلا بها أحد، أمره رسولُ - صلى الله عليه وسلم - بفراقها. فلما ذكر أنه يحبها أباح له البقاء معها؛ لأن محبته لها محققة، ووقوع الفاحشة منها متوهم فلا يُصَار إلى الضرر العاجل لتوهم الآجل، والله سبحانه وتعالى أعلم [1].

وعلى العموم فالطابع العام عند ابن كثير في هذا الباب هو الجواب عن الإشكال بالنصوص أو أقوال أهل العلم.

المقارنة:

- الخازن – رحمه الله - في الغالب يصرح بذكر الإشكال والجواب عنه كل ذلك بقوله (فإن قلتَ....) ثم يقول (قلتُ....) بخلاف ابن كثير –رحمه الله - فإنه يجيب على الإشكال ضمن التفسير وربما صرح به.
- تميز الخازن على ابن كثير - رحمهما الله - بالكَم الهائل والكبير الذي أورده من إشكالات وإجابات عنها وهذا خالفه فيه ابن كثير فإنه وإن لم يهمله إلا أنه أورد شيئاً يسيراً.
- شملت إشكالات الخازن جميع ما يمكن أن يتوهم منه تناقض أو تدافع مع ظاهر النص القرآني وكذلك فعل ابن كثير إلا انه لم يبلغ مبلغ الخازن.
- السمة العامة في إجابات الخازن الاختصار والوضوح والقوة وقد يطيل كثيراً بحسب ما يقتضيه الحال والإشكال؛ والسمة العامة عند ابن كثير الإجابة بالنصوص الشرعية والآثار المرعية.
- غالب الإشكالات التي يوردها الخازن يقوم هو بالرد عليها وإن كان قد استقى الكثير منها من أصل الكتاب (تفسير البغوي) وابن كثير يتولى الإجابة عنها أحياناً وينقل عن غيره أحياناً.

=وسلم – ((ثلاث لا يدخلون الجنة ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة العاق والديه والمرأة المترجلة المتشبهة بالرجال والديوث وثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة العاق والديه والمدمن الخمر والمنان بما أعطى)) والحديث في مسند أحمد 10|321 برقم: 6180.

([1]) تفسير القرآن العظيم 6|13.

المطلب الخامس: اهتمام الإمامين بالناسخ والمنسوخ

النسخ وإن كان من المباحث الأصولية فإنه كذلك من مباحث علوم القرآن وقد آثرت ذكره هنا؛ لأن موضعه في مبحث علوم القرآن ألصق بموضوع البحث؛ ولأن الكلام على النسخ محصور بالآيات القرآنية فحسب.

وقد اهتم به الشيخان وعنيا به؛ وقبل التعريج على ذلك ينبغي أخذ لمحة سريعة عن التعريف به:

أما تعريفه فهو في اللغة: الرفع والنقل والإزالة[1] وفي الاصطلاح: رفع حكم شرعي بدليل شرعي مُتراخ[2].

وقد توسع العلماء في الكلام عليه حتى افردوه بالتصنيف وبينوا الآيات المنسوخة من المُحكمة، ومحل ذلك كتب علوم القرآن والأصول والمصنفات المخصصة له، وإنما المراد هنا ما أودعاه الشيخان في كتابيهما.

*** أما الخازن – رحمه الله - فالناظر في كتابه يجد اهتمامه الواضح ببيان الآيات** المنسوخة، والذي يبدو من صنيعه – رحمه الله - أنه يرى ما يراه كثير من أهل العلم من نَسْخ آيات العفو والصفح وأمثالها بآية السيف والقتال ولذلك أبدى فيها وأعاد، يقرر ذلك حيناً، وينقله عن غيره حيناً آخر قال عند قول الله تعالى:

- {فاصبر على ما يقولون} [3] قال: نسختها آية السيف[4][5].

وقال: عند قوله سبحانه:

([1]) تهذيب اللغة: للأزهري 7|181مادة (نسخ) تحقيق: عبد السلام سرحان، ط: الدار المصرية للتأليف والترجمة.

([2]) انظر شرح الكوكب المنير 3| 526 ط: العبيكان تحقيق محمد الزحيلي و نزيه حماد 1413هـ - 1993م.

([3]) سورة طه آية: (130).

([4]) المراد بآية السيف قوله تعالى: (فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) سورة التوبة آية رقم: (5). انظر تفسير القرآن العظيم 4|112 وغيره كثير.

([5]) لباب التأويل 3|252.

- {ادفع بالتي هي أحسن} [1] يعني بالخلة التي هي أحسن وهي الصفح والإعراض والصبر {السيئة} يعني أذاهم أمر بالصبر على أذى المشركين والكف عن المقاتلة ثم نسخها الله بآية السيف[2].

وأيضاً عند قوله سبحانه:

- {أفأنت تكون عليه وكيلاً} [3] أي حافظاً تحفظه من اتباع الهوى وعبادة ما يهواه من دون الله والمعنى لست كذلك وقال الكلبي نسختها آية القتال.[4]

وتارة يفسر الآية ثم يذكر أن ذلك قبل نزول آية القتال والسيف كما قال عند قوله تعالى:

- {لا نبتغي الجاهلين} [5] يعني لا نحب دينكم الذي أنتم عليه.

وقيل : لا نريد أن نكون من أهل الجهل والسفه وهذا قبل أن يؤمر المسلمون بالقتال ثم نسخ ذلك بالقتال[6].

وقد يعلق نسخ الآية على المراد من معناها كما قال في قوله سبحانه:

- { مَرُّوا كِرَامًا }[7] يعني إذا سمعوا من الكافر الشتم والأذى أعرضوا وصفحوا فعلى هذا التفسير، تكون الآية منسوخة بآية القتال[8].

وقد يحكي الخلاف في النسخ ولا يرجح كما قال:

- اختلف العلماء في حكم هذه الآية فقيل: إنها منسوخة حكي ذلك عن سعيد بن المسيب، روى عكرمة أن نفراً من أهل العراق قالوا يا ابن العباس كيف ترى في هذه الآية التي أمرنا بها، ولا يعمل بها أحد قول الله - عزّ وجلّ – { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

([1]) سورة المؤمنون آية: (96).

([2]) لباب التأويل 3|310.

([3]) سورة الفرقان آية: (43).

([4]) لباب التأويل 3|350.

([5]) سورة القصص آية: (55).

([6]) لباب التأويل 3|408.

([7]) سورة الفرقان آية: (72).

([8]) لباب التأويل 3|356.

آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ } [1] الآية فقال ابن عباس: ((إن الله حليم رحيم بالمؤمنين يحب الستر وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجاب فربما دخل الخدم أو الولد أو يتيم الرجل والرجل على أهله فأمرهم الله بالاستئذان في تلك العورات، فجاءهم الله بالستور والخير فلم أرَ أحداً يعمل بذلك بعد)). أخرجه أبو داوود[2] وفي رواية عنه نحوه وزاد: ((فرأيي أن ذلك أغنى عن الاستئذان في تلك العورات))[3]. وذهب قوم إلى أنها غير منسوخه روى سفيان عن موسى بن أبي عائشة قال: سألت الشعبي عن هذه الآية { لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ } أمنسوخة هي؟ قال: لا والله قلت: إن الناس لا يعملون بها قال الله تعالى المستعان، وقال: سعيد بن جبير في هذه الآية أن ناساً يقولون: نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس قيل ثلاث آيات ترك الناس العمل بهن هذه الآية وقوله: { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ }[4] والناس يقولون أعظمكم بيتاً { وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى....} [5] الآية[6].

وقد ذكر آيات غير آيات العفو الصفح مما نسخ، وهذه أمثلتها:

1- **{(وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ) أَبْنَاءَكُمْ} [7] وفيه نسخ التبني، وذلك أن الرجل كان في الجاهلية يتبنى الرجل فيجعله كالابن المولود يدعوه إليه الناس ويرث ميراثه.[8]**

([1]) سورة النور آية: (58).

([2]) كتاب الأدب باب الاستئذان فى العورات الثلاث برقم: 5194.

([3]) لعله يشير إلى الزيادة التي عند البيهقي بلفظ: (فَرَأى النَّاسُ أَنَّ تِلْكَ قَدْ كَفَاهُمْ مِنْ الِاسْتِئْذَانِ الَّذِى أَمَرَ بِهِ) السنن الكبرى كتاب النكاح باب اسْتِئْذَانِ الْمَمْلُوكِ وَالطِّفْلِ فِى الْعَوْرَاتِ الثَّلَاثِ وَاسْتِئْذَانِ مَنْ بَلَغَ الْحُلُمَ مِنْهُمْ فِى جَمِيعِ الْحَالَاتِ برقم: 13943.

([4]) سورة الحجرات آية: (13).

([5]) سورة النساء آية: (8).

([6]) لباب التأويل 3|339.

([7]) سورة الأحزاب آية: (4).

([8]) لباب التأويل 3|450.

2- **{(وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ) أَبْنَاءَكُمْ}** [1] **يعني أن ذوي القرابات أولى بعضهم ببعض فنسخت هذه الآية الموارثة بالمؤاخاة والهجرة وصارت الموارثة بينهم بالقرابة.**[2]

3- **{....فمتعوهن}** [3] **أي أعطوهن ما يستمتعن به قال ابن عباس: هذا إذا لم يكن سمى لها صداقاً فلها المتعة وإن كان قد فرض لها صداقاً فلها نصف الصداق، ولا متعة لها وقال قتادة هذه الآية منسوخة بقوله: { فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ }** [4][5].

هذا خلاصة القول في ما ذكره الخازن رحمه الله.

*** وأما ابن كثير – رحمه الله - وإن كان قد عني بالنسخ إلا أنه لم يبلغ مبلغ الخازن** في الكثرة على أنه قد تميز بظهوره في ثوب التحقيق والنقد فتجده – رحمه الله - يدلل على القول القاضي بنسخ الآية أو بقاءها محكمة أو ينقد ذلك، يقول – رحمه الله - :

- قال قتادة وغير واحد: هذه الآية {وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إلا بالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ....} [6] **منسوخة بآية السيف، ولم يبق معهم مجادلة، وإنما هو الإسلام أو الجزية أو السيف.**

وقال آخرون: بل هي باقية أو محكمة لِمَنْ أراد الاستبصار منهم في الدين، فيجادل بالتي هي أحسن، ليكون أنجع فيه، كما قال تعالى: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [7]**، وقال تعالى لموسى وهارون (عليهما الصلاة والسلام)**

([1]) سورة الأحزاب آية: (4).

([2]) لباب التأويل 3|452.

([3]) سورة الأحزاب آية: (49).

([4]) سورة البقرة آية: (237).

([5]) لباب التأويل 3|472.

([6]) سورة العنكبوت آية: (46).

([7]) سورة النحل آية: (125).

حين بعثهما إلى فرعون: {فَقُولا لَهُ قَوْلا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} [1] وهذا القول اختاره ابن جرير [2].

وقال:

- .... ومما يدل على أنها محكمة (أي آية الاستئذان[3]) لم تنسخ، قوله: {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } [4] [5].

وقال:

- .... وهذه ناسخة لما كان قبلها من التوارث بالحِلف[6] والمؤاخاة التي كانت بينهم، كما قال ابن عباس وغيره: كان المهاجري يرث الأنصاري دون قراباته وذوي رحمه، للأخوة التي آخى بينهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [7][8].

وقد لا يرتضي القول بالنسخ فيعبر بقوله:

- وقد ادعى طائفة آخرون من العلماء أن هذه الآية منسوخة، قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو خالد، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد ابن المسيب. قال: ذُكر عنده {الزَّانِي لا يَنْكِحُ إلا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُهَا إلا زَانٍ أَوْ

([1]) سورة طه آية: (44).

([2]) تفسير القرآن العظيم 6|283.

([3]) هي قوله جل شأنه: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ..... } سورة النور آية: (58).

([4]) سورة النور آية: (58).

([5]) تفسير القرآن العظيم 6|83.

([6]) الحِلف بالكسر: العهد يكون بين القوم. الصحاح (4|1346) مادة (حلف).

([7]) قصة مؤاخاة النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - للمهاجرين والأنصار والتوريث بينهم رواها البيهقي في السنن الكبرى كتاب الفرائض باب نَسْخ التَّوَارثِ بِالتَّحَالِفِ وَغَيْرِهِ برقم: 12907.

([8]) تفسير القرآن العظيم 6|381.

مُشْرِكٌ} [1] **قال: كان يقال: نسختها الآية التي بعدها: { وَأَنْكِحُوا الأيَامَى مِنْكُمْ }**[2] **قال: كان يقال الأيامى**[3] **من المسلمين. وهكذا رواه الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام**[4] **في كتاب (الناسخ والمنسوخ)**[5] **له، عن سعيد بن المسيب. ونص على ذلك أيضا الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، رحمه الله .**[6]

وقد يعبر عن النسخ بما يفيد أنه من الأمر المسلّم عنده، قال:

- **.... ولهذا لما نسخ هذا الحكم** (أي: التبني)**، أباح تعالى زوجة الدعي، وتزوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بزينب بنت جحش زوجة زيد بن حارثة**[7][8]**.**

هذا أهم ما يمكن الكلام عليه فيما يتعلق بعلوم القرآن. وقد ذكر الشيخان غير ذلك كالكليات والوقف والابتداء وغير ذلك؛ لكن لا يمكن أن يبنى عليها منهج لقلتها، وأما العدد والمكي والمدني فالكلام عليها في مبحث صياغتهما للتفسير؛ لأن الكلام عليهما أحد النقاط المتعلقة بذلك ولأنها محدودة لا يمكن عقد فصل مستقل لها والله أعلى وأعلم.

([1]) سورة النور آية: (3).

([2]) سورة النور آية: (32).

([3]) الأيامى: جمع أيِّم، ويقال ذلك للمرأة التي لا زوج لها، وللرجل الذي لا زوجة له. وسواء كان قد تزوج ثم فارق، أو لم يتزوج واحد منهما. تفسير القرآن العظيم (6|51).

([4]) هو الإمام: القاسم بن سلام البغدادي أبو عبيد الفقيه القاضي الأديب المشهور صاحب التصانيف المشهورة والعلوم المذكورة ت|224. انظر تهذيب الكمال 23|357.

([5]) مطبوع بتحقيق: محمد صالح مديفر، ط: دار الرشد، الرياض.

([6]) تفسير القرآن العظيم 6|13.

([7]) قصة زواجه – صلى الله عليه وسلم – من زينب – رضي الله عنها - رواها جمع من أهل الحديث منهم الإمام مسلم في صحيحه كتاب النكاح باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب وإثبات وليمة العرس برقم: 3575.

([8]) تفسير القرآن العظيم 6|377.

المقارنة:

- الذي يبدو من صنيع الخازن - رحمه الله - أنه يرى ما يراه كثير من أهل العلم من نسخ كثير من آيات العفو والصفح بآية السيف؛ وهذا خلاف ما يظهر من صنيع ابن كثير فإنه لما ذكر هذه الآية **{وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ....}** [1] دلل على عدم نسخها وذكر أن ذلك اختيار ابن جرير.
- الخازن - رحمه الله - يحكي الخلاف في نسخ الآية ولا يرجح، وأما ابن كثير – رحمه الله - فإنه وإن حكى الخلاف يرجح في المسألة إما بالتنصيص على الراجح أو توهين القول الآخر المرجوح عنده.
- لا يدلل الخازن – رحمه الله - على النسخ غالباً بل يكتفي بالحكم على الآية بالنسخ بخلاف ابن كثير - رحمه الله - فإنه يدلل على النسخ أو عدمه.
- غالباً ما يذكر الخازن – رحمه الله – أن الآية منسوخة من تلقاء نفسه وقد ينقل أحياناً عن غيره وابن كثير يتردد بين الأمرين فتارة يحكم بالنسخ من تلقاء نفسه وأخرى ينقل عن غيره.
- تميز الخازن – رحمه الله - من جهة كثرة المواضع التي أوردها فيما يتعلق بالنسخ بخلاف ابن كثير فإنه أورد أقل منه.

([1]) سورة العنكبوت آية: (46).

المبحث الرابع: المقارنة بينهما في تفسير القرآن الكريم من جهة اللغة العربية

وفي هذا المبحث المقارنة بين منهجي الإمامين من خلال كتابيهما فيما يتعلق باهتمامها بجانب العربية والاعتماد عليها في التفسير ومدى ما استعملا علومها ووظَّفاها لخدمة كتاب الله تعالى؛ وهذا المبحث يكاد يكون هو وجه المقارنة الأساس بين الشيخين في تفسير القرآن بجانب مهم من جوانب التفسير بالرأي الجائز (المحمود).

ومعلوم ما للعربية من مكانة عند المفسرين وما لها من أهمية في حق من أراد فهم كتاب الله جل شأنه إذ قد أُنزل القرآن بها، وهذا تشريف سادت به جميع اللغات وتُوجت من خلاله معاقد العز وتيجان الشرف.

وقد تكلم علماء مناهج المفسرين وعلوم القرآن على شأن العربية وضرورة العناية بها في حق من تصدى لتفسير الكتاب المبين حتى جعلوا ذلك من أهم شروط المفسر، قال السيوطي – رحمه الله -: (وتمام هذه الشرائط أن يكون ممتلئاً من عدة الإعراب لا يلتبس عليه اختلاف وجوه الكلام)[1].

وقال في شأن الغريب: (معرفة هذا الفن للمفسر ضرورية كما سيأتي في شروط المفسر قال في "البرهان[2] " ويحتاج الكاشف عن ذلك إلى معرفة علم اللغة أسماء وأفعالاً وحروفاً فالحروف لقلتها تكلم النحاة على معانيها فيؤخذ ذلك من كتبهم وأما الأسماء والأفعال فتأخذ من كتب علم اللغة)[3].

والكلام ههنا أكثر من أن يسطر وإنما المقصود معرفة منهجي الإمامين في هذا الشأن والبداية مع الخازن.

([1]) الإتقان (6|2276).

(2) البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى : 794هـ) حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم ونشرته: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ودار المعرفة، بيروت.

([3]) الإتقان (4|734) والبرهان 1|291.

- **لم يُخل الإمام الخازن – رحمه الله – تفسيره من الاعتماد على اللغة كجانب** مهم من جوانب التفسير لا سيما في بيان معاني المفردات والغريب وكذلك الاستشهاد بالشعر والتعريج على بعض المسائل النحوية والبلاغية، ذلك كله بعيد عن المبالغة والإفراط كما عرف عن بعض المفسرين بل إن الجانب اللغوي لا سيما النحو والصرف يكاد يكون نزراً وكماً ضئيلاً في ثنايا تفسيره. وكان أكثر ما عُني به من فنون العربية الغريب.

والغريب يطلق على الكلمات التي يقل دورانها في الكلام؛ قال أبو سليمان الخطابي[1]: (الغريب من الكلام: إنما هو الغامض البعيد من الفهم كما أن الغريب من الناس إنما هو البعيد عن الوطن المنقطع عن الأهل....)[2].

وقد ألف في هذا الفن خلائق من أهل العلم؛ قال السيوطي: (أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون منهم أبو عبيدة[3] وأبو عمر الزاهد[4] وابن دريد[5] ومن أشهرها كتاب العزيزي[6] فقد أقام في تأليفه خمس عشرة سنة يحرره هو وشيخه أبو بكر بن

([1]) الإمام العلامة المفيد المحدث الرحال: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي، صاحب التصانيف ت|388هـ. انظر تذكرة الحفاظ 3|1018.

([2]) غريب الحديث 1|70، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي ط: جامعة أم القرى، الطبعة الثانية 1422هـ - 2001م.

([3]) النحوي اللغوي: معمر بن المثنى التيمى من أهل البصرة كنيته أبو عبيدة ت|208هـ وقيل 210هـ. انظر الثقات لابن حبان 9|196 ط: مجلس دائرة المعارف العثمانية الطبعة الأولى. والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: لمحمد بن يعقوب الفيروزأبادي تحقيق: محمد المصري، ط: جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت الطبعة الأولى –1407هـ 1|76.

([4]) الامام اللغوي المحدث: أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، البغدادي الزاهد، المعروف بغلام ثعلب.ت345هـ. انظر سير أعلام النبلاء 15|508.

([5]) الإمام اللغوي: محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية بن حنتم بن الحسن أبو بكر الأزدي ت|321. انظر تاريخ بغداد 2|195 والإكمال لابن ماكولا 3|388.

([6]) الإمام: محمد بن عزيز أبو بكر السجستاني العزيزي صاحب كتاب غريب القرآن ويقال عزير بالراء والزاي تصحيف.ت|330. انظر تكملة الإكمال 4|311. وبغية الوعاة 1|171.

الأنباري[1] ومن أحسنها (المفردات)[2] للراغب.[3] ولأبي حيان[4] في ذلك تأليف مختصر في كراسين، قال ابن الصلاح[5]: وحيث رأيت في كتب التفسير قال أهل المعاني فالمراد به مصنفو الكتب في معاني القرآن كالزجاج[6] والفراء[7] والأخفش[8] وابن الأنباري انتهى)[9].

المقصود أن الخازن – رحمه الله - لم يهمل هذا الفن بل عُني به؛ وما ذلك إلا لأهميته في باب معرفة المعاني للمفردات والتراكيب قال ابن الأثير – رحمه الله -: (.....ثم الألفاظ تنقَّسم إلى مفردة ومركبة ومعرفة المفردة مقَّدمة على معرفة المركبة لأنّ التركيب فَرعٌ عن الإفراد)[10].

*** هذا وقد اعتمد الخازن في بيان معاني الغريب والمفردات عما ينقله عن ابن** عباس - رضي الله عنهما - في كثير من المواضع من مثل:

([1]) الإمام الأديب: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان أبو بكر بن الأنباري ت|328هـ. انظر تاريخ بغداد 3|181.

([2]) مطبوع متداول منها طبعة دار المعرفة (لبنان) بتحقيق محمد سيد الكيلاني.

([3]) الإمام: الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الراغب الأصفهاني ت|502هـ. انظر البلغة في تراجم ائمة النحو 1|19. و الأعلام 2|255.

([4]) مرت ترجمته.

([5]) الشيخ: تقي الدين ابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الإمام العلامة، مفتي الشام ومحدثها، الشهرزوري ثم الدمشقي ت|643هـ. انظر البداية والنهاية 13|196.

([6]) شيخ العربية الفقيه: أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج النحوي صاحب التفسير ت|310هـ. انظر الوفيات لابن الخطيب 1|201. والسير 14|382.

([7]) النحوي: يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور أبو زكريا الفراء مولى بني أسد؛ نزل بغداد وأملى بها كتبه في معاني القران ت|207هـ. انظر تاريخ بغداد 14|149.

([8]) النحوي: سعيد بن مسعدة أبو الحسن البلخي ثم البصري الأخفش الأوسط، صنف الأوسط في النحو، ومعاني القرآن. ت|210هـ. انظر السير 10|206. وبغية الوعاة 2|74.

([9]) الإتقان 3|728.

([10]) النهاية في الغريب لابن الأثير 1|3 ط مؤسسة التاريخ العربي تحقيق محمود الطناحي وطاهر الزاوي.

- { مَكَانًا سُوًى } [1] أي مكاناً عدلاً وقال ابن عباس: نصفاً تستوي مسافة الفريقين إليه وقيل معناه سوى هذا المكان [2].

وربما يعرج على قول غيره بعد قوله – رحمه الله - كما قال:

- { أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ } [3] قال ابن عباس: أي بكل شرف وفي رواية عنه بكل طريق، وقيل: هو الفج بين الجبلين وقيل: المكان المرتفع[4].

وكثير من الأحيان يذكر معنى الغريب بدون عزوه إلى أحد بل يكتفي بذكر المعنى ومثاله قوله:

- والنَسْف: هو القلع أي يقلعها من أصولها ويجعلها هباء منثوراً {فيذرها} [5] أي يدع أماكن الجبال من الأرض {قاعاً صفصفاً} أي أرضاً ملساء مستوية لا نبات فيها {لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً} يعني لا انخفاضاً ولا ارتفاعاً يعني لا ترى وادياً ولا رابية [6].

ومن منهجه الرائع في ذلك أيضاً أنه قد يذكر معاني المفردات أولاً ثم يعقبه بذكر المعنى العام أو المجمل للآية كما قال:

- { لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ } [7] هي معابد الرهبان المتخذة في الصحراء { وَبِيَعٌ} هي معابد النصارى في البلد وقيل الصوامع للصابئين والبيع للنصارى {وَصَلَوَاتٌ} هي كنائس اليهود ويسمونها بالعبرانية صلوتا {ومساجد} يعني مساجد المسلمين { يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا } يعني في المساجد.

([1]) سورة طه آية: (58).

([2]) لباب التأويل 3|241.

([3]) سورة الشعراء آية: (128).

([4]) لباب التأويل 3|367.

([5]) سورة طه آية: (106).

([6]) لباب التأويل 3|247.

([7]) سورة الحج آية: (40).

ومعنى الآية ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم في شريعة كل نبي مكان صلواتهم فهدم في زمن موسى الكنائس وفي زمن عيسى البيع والصوامع وفي زمن محمد - صلى الله عليه وسلم - المساجد [1].

وقد لا يكتفي ببيان المعنى للمفردة حتى يؤيد ذلك بشاهد من الشعر على ما قاله إذا لزم الأمر، ومثال ذلك:

- {وحناناً من لدنا} [2] أي رحمة من عندنا قال الحطيئة: يخاطب عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه -:

تحنن علي هداك المليك فإن لكل مقام مقالاً

أي ترحم علي [3].

وقد يزيد – رحمه الله - إيضاح المعنى بذكر ما تريده العرب من هذا اللفظ وعما يعبرون به كما قال:

- {وَقرِّي عَيْنًا} [4] أي طيبي نفساً، وقيل قري عيناً بولدك عيسى، يقال أقر الله عينك أي صادف فؤادك ما يرضيك فتقر عينيك[5] عن النظر إلى غيره [6].

وقد يذكر خلاف ما يتبادر إلى الذهن لاعتماده على لهجة عربية أخرى رأى مناسبتها للمقام كما قال في قوله تعالى:

-..... { وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا } [7] أي يخافون البعث؛ والرجاء: بمعنى الخوف لغة تهامة[8].

وكما قال: في البحر من قوله تعالى:

([1]) لباب التأويل3|291.

([2]) سورة مريم آية: (13).

([3]) لباب التأويل 3|216.

([4]) سورة مريم آية: (26).

(5) كذا بالنصب ولعل الأقرب للسياق عيناك؛ لأنه فاعل (فتقر) والله أعلم.

([6]) لباب التأويل 3|219.

([7]) سورة الفرقان آية: (21).

([8]) لباب التأويل3|346.

- { ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ } [1] .... قيل المدائن والقرى التي هي على المياه الجارية والعرب تسمي المصر بحراً تقول : أجدب البر وانقطعت مادة البحر[2].

هذا مجمل القول في طريقته ومنهجه في تفسير وبيان المفردات والذي هو فن عربي مهم؛ أما عنايته في النحو فإنها لا تكاد تذكر لقلتها وقلة الكلام عليها في تفسيره ومن ذلك ما ذكره عند قو الله تعالى:

- { إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ } [3] قال: وقيل ليس هذا الاستثناء من المرسلين، لأنه لا يجوز عليهم الظلم بل هو استثناء من المتروك ومعناه: لا يخاف لدي المرسلون إنما الخوف عليهم من الظالمين وهذا الاستثناء المنقطع معناه لكن من ظلم من سائر الناس فإنه يخاف[4].

ولعله أراد بذلك الاختصار إذ كتابه كتاب تفسير لا نحو؛ ولذلك فإنه يذكر المعنى الناتج عن التقرير النحوي بدون الإشارة أو التعريج على النحو إذ المعنى هو المقصود ويظهر ذلك جلياً عند كلامه على قوله تعالى: **{ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ...}**[5] فإنه ذكر الآثار المترتبة على النحو ولم يأتِ بكلام نحوي بخلاف، ما صنعه ابن كثير عندها؛ يقول الخازن:

- يقولون (ويكأن الله) ألم تعلم وقيل ألم تر.

وقيل هي كلمة تقرير معناها أما ترى صنع الله وإحسانه وقيل (ويك)، بمعنى ويلك اعلم أن الله.

([1]) سورة الروم آية: (41).

([2]) لباب التأويل3|435.

([3]) سورة النمل آية: (11).

([4]) لباب التأويل 3|376.

([5]) سورة القصص آية: (82).

وروي أن (وي) مفصولة من (كأن) والمعنى أن القوم ندموا فقالوا متندمين على ما سلف منهم (وي) و(كأن) معناها أظن وأقدر أن الله {يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ}[1].

كما إن للخازن لفتات فيما يتعلق بفنون المعاني والبلاغة وإن كان ذلك أقل من سابقيه، يقول – رحمه الله عند حديثه على قوله تعالى: **{قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ}[2] -: وقال أهل المعاني أي كما توقنون هذه الأشياء التي تعاينونها، فايقنوا أن إله الخلق هو الله تعالى الذي خلقها وأوجدها)[3].** وقد ذكر من ذلك شيئاً كثيراً في غير محل الدراسة تصفحته أثناء البحث.

هذا إن كان مراد الخازن بقوله: "أهل المعاني" المصطلح المعروف في البلاغة، وأما على ما قال ابن الصلاح: (وحيث رأيت في كتب التفسير قال: أهل المعاني فالمراد به مصنفو الكتب في معاني القرآن كالزجاج والفراء والأخفش وابن الأنباري)[4]. فإن المثال يكون على ما تقدم من المفردات لا في البلاغة.

وقد يصرح بشيء من علوم البلاغة - كالمجاز - ويستعمله لتوجيه ما قد يشكل على ما يعتقده، كما قال في قوله تعالى:

- **(وأنبتت)[5] هو مجاز لأن الله تعالى هو المنبت وأضيف إلى الأرض توسعاً[6].**

ومما لا يليق إهماله هنا أن الخازن يذكر غريب ما يورد من الأحاديث وربما تجاوز ذلك إلى الآثار وقد عني بهذا تقريراً وتطبيقاً وقد مر الكلام عليه في مبحث التفسير بالحديث من هذه الرسالة.

([1]) لباب التأويل 3|414.

(2) سورة الشعراء آية: (24).

([3]) لباب التأويل 3|360.

([4]) الإتقان 3|728.

(5) سورة الحج آية: (5).

(6) لباب التأويل 3|281.

- **وأما الحافظ ابن كثير فقد اتخذ من التفسير بالعربية منهجاً يعتمد عليه بعد** الاعتماد على التفسير بالمأثور بأقسامه المتعددة وقد قرر ذلك ونظَّر له في مقدمته قائلاً: (.....أما إذا أجمعوا (أي: التابعين) على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون بعضهم حجة على بعض، ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب.....) [1].

(...فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعًا، فلا حرج عليه)[2].

ثم إن المتأمل في تفسيره الضخم المتقن يلحظ اهتمامه بالعربية بالقدر الذي قرره في مقدمته.

وهو يأتي بها لتوضيح المفردات، ومرجحة عند الاختلاف، ومفسرة ابتداءً عند عدم وجود الآثار وهو يختلف في الإسهاب فيها والاختصار بحسب ما يرى من اقتضاء المقام، وتوضيح المعنى والتدليل له كما إن له تقريرات وترجيحات تَنُم عن قوته واطلاعه في العربية.

فأما كلامه على المفردات فقد شارك الخازن - رحمه الله – في عنايته بالنقل عن ابن عباس – رضي الله عنهما - وذلك في كثير من المواضع مثل قوله:

- وقال ابن عباس أيضا: { حَصَبُ جَهَنَّمَ } [3] بمعنى: شجر جهنم. وفي رواية قال: { حَصَبُ جَهَنَّمَ } يعني: حطب جهنم، بالزنجية.

وقال مجاهد، وعكرمة، وقتادة: حطبها. وهي كذلك في قراءة علي وعائشة - رضي الله عنهما.

وقال الضحاك: { حَصَبُ جَهَنَّمَ } أي: ما يرمى به فيها.

وكذا قال غيره. والجميع قريب [4].

([1]) تفسير القرآن العظيم المقدمة: (1|10).

([2]) المصدر السابق: (1|13).

([3]) سورة الأنبياء آية: (98).

([4]) تفسير القرآن العظيم 5|377.

بل إنه قد يغوص في ذكر الأقوال والأدلة فما أن يلبث حتى يختصر القول بذكر تفسير قول ابن عباس – رضي الله عنهما - وهو دليل بيِّن على عنايته بذلك واهتمامه به كما قال بعد ذكر أقوال أهل التفسير في معنى "**السجل**" من سورة الأنبياء:

- ..... والصحيح عن ابن عباس أن السجل هي الصحيفة، قاله علي بن أبي طلحة والعوفي، عنه. ونصَّ على ذلك مجاهد، وقتادة، وغير واحد. واختاره ابن جرير؛ لأنه المعروف في اللغة، فعلى هذا يكون معنى الكلام: { يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ } [1] أي: على هذا الكتاب، بمعنى المكتوب، كقوله: { فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ } [2] ، أي: على الجبين، وله نظائر في اللغة، والله أعلم [3].

وأحياناً يكتفي بذكر معنى واحد للمفردة وربما دلل عليها من الاشتقاق الصرفي أو شيء من الاستشهاد الشعري وهذه أمثلة مرتبة على ذلك:

- والعرب تسمي المجلس: النادي[4].

- ومنهم من قال: { مَأْتِيًّا } [5] بمعنى: آتيا؛ لأن كل ما أتاك فقد أتيته، كما تقول العرب: أتت عليّ خمسون سنة، وأتيت على خمسين سنة، كلاهما بمعنى واحد [6].

- وقال عطية العَوفي: {فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ } [7]، أي: نقضي عليه، كأنه جعل ذلك بمعنى التقدير، فإن العرب تقول: قدَر وقدّر بمعنى واحد، وقال الشاعر:

فلا عائد ذاك الزمان الذي مضى تباركت ما تقدر يكن، فلك الأمرُ

ومنه قوله تعالى: { فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ } [8] أي: قُدِّر[9].

([1]) سورة الأنبياء آية: (104).

([2]) سورة الصافات آية: (103).

([3]) تفسير القرآن العظيم 5|383.

([4]) المصدر السابق 5|257.

([5]) سورة مريم آية: (61).

([6]) تفسير القرآن العظيم 5|246.

([7]) سورة الأنبياء آية: (87).

([8]) سورة القمر آية: (12).

([9]) تفسير القرآن العظيم 5|366.

وقد يزيد على نقل السلف في معنى مفردة ما يظهر له من خلال معرفته بلغة العرب وسياق الآية ولذلك قال بعد سرده لأقوال السلف في معنى الحبرة:

- { فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ } [1] قال مجاهد وقتادة: ينعمون.

وقال يحيى بن أبي كثير: يعني سماع الغناء. والحبرة أعم من هذا كله، قال العجاج:

الحمد لله الذي أعطى الحَبَر موالي الحق إن المولى شكَر[2].

ومن عجيب أمره أنه قد يفسر بعض الألفاظ الغريبة فيما يورده من الشواهد وقد فعل ذلك مرات، من ذلك قوله:

- عن ورقاء[3] قال: أقرأنيها سعيد بن جبير {أكاد أخْفيها}[4] ، يعني: بنصب الألف وخفض الفاء، يقول: أظهرها، ثم قال: أما سمعت قول الشاعر:

دَأبَ شهرَين، ثم شهرًا دَمِيكًا بأريكَين يَخفيان غَميرًا

وقال الأسدي: الغمير: نبت رطب، ينبت في خلال يبس. والأريكين: موضع، والدميك: الشهر التام. وهذا الشعر لكعب بن زهير[5].

وكما كان له اهتمام في مفردات القرآن كان له اهتمام أيضاً في معرفة تراكيبه وسياق آياته وذلك من خلال الرجوع إلى لغة العرب ومخاطباتها يقول عند قوله تعالى:

- { فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ } [6] أي: البحر { مَا غَشِيَهُمْ } أي: الذي هو معروف ومشهور. وهذا يقال عند الأمر المعروف المشهور، كما قال تعالى: { وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى } [7]، وكما قال الشاعر:

([1]) سورة الروم آية: (15).

([2]) تفسير القرآن العظيم 6|307.

([3]) في طبعة دار طيبة (وقاء) والتصحيح من تفسير الطبري (18|286) والدر المنثور (5|563) وكذلك من إحدى نسخ ابن كثير وهي طبعة: أولاد الشيخ (9|319).

(4) سورة طه آية: (15).

([5]) تفسير القرآن العظيم 5|278.

([6]) سورة طه آية: (78).

([7]) سورة النجم آية: (53 ، 54).

أنَا أبو النجم وشِعري شِعري .....

أي: الذي يعرف، وهو مشهور[1].

وقال في شأن السياق:

- .... والأظهر من السياق أن المراد: لا يشهدون الزور، أي: لا يحضرونه؛ ولهذا قال: { وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا }[2] أي: لا يحضرون الزور، وإذا اتفق مرورهم به مرُّوا، ولم يتدنسوا منه بشيء ؛ ولهذا قال: {مَرُّوا كِرَامًا} [3].

وأما كلامه على النحو والاعتماد عليه في التوصل إلى فهم المعنى فقد وضع قلمه فيه موضع المقتصد فلم يك مسرفاً في ذلك أو مسترسلاً كما هو الحال عند بعض المفسرين كأبي حيّان[4] ولم يكن متنائياً عنه كما فعل الخازن بل إنه يتكلم في المسائل النحوية حسب الحاجة فيختصر أو يطيل بحسبها، مع بعده التام عن الحشو الذي لا فائدة فيه. ومن الأسباب التي تحمله على الحديث في النحو استظهار إشكال أو توجيه معنى ونحو ذلك وهذه أمثلة على ذلك بحسب الترتيب:

فمن الاختصار المفيد ما ذكره عند قوله تعالى:

- ..... { إِلا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا} [5] : هذا استثناء منقطع، بمعنى: لكن من اتخذ عند الرحمن عهدًا، وهو شهادة أن لا إله إلا الله، والقيام بحقها [6].

وقوله في سورة (طه):

- { جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي } [7] أي: إقامة وهو بدل من الدرجات العلى [8].

ومن التطويل المفيد قوله:

([1]) تفسير القرآن العظيم 5|307.

([2]) سورة الفرقان آية: (72).

([3]) تفسير القرآن العظيم 6|131.

([4]) مرت ترجمته.

([5]) سورة مريم آية: (87).

([6]) تفسير القرآن العظيم 5|265.

([7]) سورة طه آية: (76).

([8]) تفسير القرآن العظيم 5|307.

- ..... وقد اختلف النحاة في معنى قوله تعالى ها هنا: { وَيْكَأَنَّ } [1]، فقال بعضهم: معناها: ويلك اعلم أن، ولكن خُفّفت فقيل: (ويك)، ودلَّ فتح (أن) على حذف (اعلم). وهذا القول ضعَّفه ابن جرير، والظاهر أنه قوي، ولا يشكل على ذلك إلا كتابتها في المصاحف متصلة {ويكأن}. والكتابة أمر وضعي اصطلاحي، والمرجع إلى اللفظ العربي، والله أعلم.

وقيل: معناها: {ويكأن}، أي: ألم تر أن. قاله قتادة. وقيل: معناها (وي) (كأن) ، ففصلها وجعل حرف (وي) للتعجب أو للتنبيه، و(كأن) بمعنى: أظن وأحسب. قال ابن جرير: وأقوى الأقوال في هذا قول قتادة: إنها بمعنى: ألم تر أن، واستشهد بقول الشاعر:

سَألَتَاني الطَّلاق أنْ رَأَتَانـــي قـــــلّ مَالي، وقدْ جئْتُمَاني بنُكر

وَيْكأنْ مَنْ يكُن له نَشَب[2] يُحْـ بَبْ ومن يَفْتقر يَعش عَيشَ ضُرّ[3].

ومن رفع أشكال أو توجيه معنى ما أفاده عند قو الله تعالى:

- { قالُوا إنْ هَذَانِ لَسَاحِرَان } [4] هذه لغة لبعض العرب، جاءت هذه القراءة على إعرابها، ومنهم من قرأ: {إنْ هَذَين لَسَاحِرَان} وهذه اللغة المشهورة، وقد توسع النحاة في الجواب عن القراءة الأولى بما ليس هذا موضعه [5].

وهو مع ذلك يعمل فكره ويحرر المسألة ويستظهر لها الأدلة وقد أحسن حين قال:

- ..... وقد اختلف النحاة في قوله: { مِنْ قبْلِ أنْ يُنزلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ} [6]، فقال ابن جرير: هو تأكيد. وحكاه عن بعض أهل العربية.

([1]) سورة القصص آية: (82).

([2]) النَشَب: المال والعقار. الصحاح (1|224) مادة (نشب).

([3]) تفسير القرآن العظيم 6|259.

([4]) سورة طه آية: (63).

([5]) تفسير القرآن العظيم 5|301.

([6]) سورة الروم آية: (49).

وقال آخرون: وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم المطر، { مِنْ قَبْلِهِ} أي: الإنزال { لَمُبْلِسِينَ}.

ويحتمل أن يكون ذلك من دلالة التأسيس، ويكون معنى الكلام: أنهم كانوا محتاجين إليه قبل نزوله، ومن قبله - أيضاً - قد فات عندهم نزوله وقتا بعد وقت، فترقبوه في إبانه فتأخر، فمضت مدة فترقبوه فتأخر، ثم جاءهم بغتة بعد الإياس منه والقنوط، فبعد ما كانت أرضهم مُقشعِرَّة هامدة[1] أصبحت وقد اهتزت وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج؛ ولهذا قال: {فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ } يعني: المطر {كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} [2].

وأما كلامه على بلاغة القرآن وحسن سياقه فهو أندر من النادر وربما أشار إلى ذلك إشارة خاطفة سريعة كقوله - عند وصف الله لخروج يأجوج ومأجوج[3] -:

- {حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ } [4] أي: يسرعون في المشي إلى الفساد. والحَدَب: هو المرتفع من الأرض، قاله ابن عباس، وعكرمة، وأبو صالح، والثوري وغيرهم، وهذه صفتهم في حال خروجهم، كأن السامع مشاهد لذلك، { وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ } [5][6].

وقد يتكلم على بعض مباحث علم البلاغة للحاجة كما قال في اللف والنشر[7]:

([1]) وأرضٌ هامدة مُقْشَعِرّة: لا نبات فيها إلا اليابس المُتَحَطِّم. لسان العرب (3|436) مادة (همد).

([2]) تفسير القرآن العظيم 6|322.

(3) من سلالة آدم، عليه السلام، بل هم من نسل نوح أيضاً من أولاد يافث أبي الترك، والترك شرذمة منهم، تركوا من وراء السد الذي بناه ذو القرنين...وهم (من علامات الساعة الكبرى). انظر تفسير القرآن العظيم 5|372 وما أورد في شأن خروجهم قبل الساعة من أحاديث.

([4]) سورة الأنبياء آية: (96).

([5]) سورة فاطر آية: (14).

([6]) تفسير القرآن العظيم 5|372.

([7]) الطي والنشر أو اللف والنشر: هو أن تذكر شيئين فصاعدا إما تفصيلاً فتنص على كل واحد منهما وإما إجمالاً فتأتي بلفظ واحد يشتمل على متعدد وتفوض إلى العقل رد كل واحد إلى ما يليق به. انظر خزانة الأدب للحموي 1|149. ط: دار ومكتبة الهلال – بيروت تحقيق: عصام شعيتو=

- وهذا الذي ذكرناه ظاهر سياق الآية، وهو من باب اللف والنشر، وهو أنه ذكر الأمم المكذبة، ثم قال: { فَكُلا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ} [1]، أي: من هؤلاء المذكورين، وإنما نبهتُ على هذا لأنه قد روي أن ابن جريج قال: قال ابن عباس في قوله: { فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا}، قال: قوم لوط. { وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا}، قال: قوم نوح[2].

وكذلك كلامه على موضوع التضمين[3] وهو أحد فنون البلاغة إذ قال فيه: **وقوله: { وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [4] قال بعض المفسرين من أهل العربية: الباء هاهنا زائدة، كقوله: { تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ } [5] أي: تُنْبتُ الدهن، وكذا قوله: { وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ} تقديره إلحادًا، وكما قال الأعشى:**

ضَمنَت برزق عيالنا أرماحُنا بين المَرَاجِل[6]، والصّريحَ الأجرد[7]

وقال الآخر:

بوَاد يَمانٍ يُنبتُ الشَّثّ[8] صَدرُه وأســـــفَله بالمرخ[9] والشَّبَهَان[10]

=الطبعة الأولى، 1987م. و نهاية الأرب للنويري 7|107 ط: دار الكتب العلمية - بيروت تحقيق: مفيد قمحية وجماعة.- الطبعة : الأولى: 1424 هـ - 2004 م

([1]) سورة العنكبوت آية: (40).

([2]) تفسير القرآن العظيم 6|279.

([3]) التضمين: له عدة معان عند البلاغيين منها: (تضمين فعل أو ما في معناه، معنى فعل آخر، وتعديته بما يلائم الفعل الذي ضُمِّنَه) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، لعبد الرحمن الميداني (2|309) ط: دار القلم الطبعة الأولى 1461هـ - 1996م.

([4]) سورة الحج آية: (25).

([5]) سورة المؤمنون آية: (20).

([6]) جمع مِرْجَل: القِدْر من الحجارة والنحاس. انظر لسان العرب (11|265) مادة (رجل).

([7]) الصريح الأجرد: اللبن الذي لا رغوة له. انظر تاج العروس (7|498) مادة (جرد).

([8]) الشث: نبت طيب الريح مر الطعم يدبغ به. انظر الصحاح (1|285) مادة (شثث).

([9]) المرْخ: شجر سريع الورى (الاشتعال). انظر الصحاح (1|431) مادة (مرخ).

([10]) الشَّبَهانُ والشُّبُهانُ: ضَرْبٌ من العِضاه وقيل هو الثُّمامُ يَمانية حكاها ابن دريد وقيل الشَّبَهانُ هو الثُّمامُ من الرياحين انظر لسان العرب (13|503) مادة (شبه).

والأجود أنه ضمن الفعل هاهنا معنى (يَهُمّ)، ولهذا عداه بالباء، فقال: { وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ } أي: يَهُمّ فيه بأمر فظيع من المعاصي الكبار[1].

وهذا - أيضاً - مثال على تحكيمه العربية في محل النزاع والاختلاف.

ولم يهمل – رحمه الله – علم الصرف فقد تكلم فيه بما احتاج إليه من إيضاح المعنى وتجلية المراد يقول عند قوله تعالى:

- {وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا} [2] أي: آلة يتطهر بها، كالسَّحُور والوقود وما جرى مجراه. فهذا أصح ما يقال في ذلك. وأما من قال: إنه فعول بمعنى فاعل، أو: إنه مبني للمبالغة أو التعدي، فعلى كل منهما إشكالات من حيث اللغة والحكم، ليس هذا موضع بسطها، والله أعلم [3].

وقال – أيضاً – في معنى:

- { تَبَارَكَ }: وهو تفاعَلَ من البركة المستقرة الدائمة الثابتة [4].

ومن خلال ما سبق يظهر جلياً أن ابن كثير لم يتكلم على اللغة إلا بما احتاج إليه، وبنَفَسٍ المقتصد، والله أعلم.

المقارنة:

- اهتمام الخازن – رحمه الله - بالعربية تمثل غالباً باهتمامه بتفسير المفردات، بخلاف ابن كثير - رحمه الله - فقد جعلها في الرتبة الرابعة مما اعتمد عليه في التفسير ثم إنه تكلم في كثير من فنونها كالمفردات والنحو والبلاغة.
- يعتمد الخازن – رحمه الله - في تفسير الغريب غالباً على ما ينقله عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وقد ينقل عن غيره، وقد يذكر الخلاف، وقد يذكر المعنى بدون عزو؛ أما ابن كثير – رحمه الله - وإن كان قد شارك الخازن في

([1]) تفسير القرآن العظيم 5|411.

([2]) سورة الفرقان آية: (48).

([3]) تفسير القرآن العظيم 6|114.

([4]) المصدر السابق 6|92.

النقل عن ابن عباس إلا أنـه قد نقل عن غيره الشيء الكثير وقد تميز بذكر الأدلة ونسبة الأقوال وربما جمع بينها أو رجح منها.

- قد يذكر الخازن الغريب ثم يعقب ذلك بذكر المعنى العام للآية؛ أما ابن كثير ففي الغالب يذكر المعنى الإجمالي قبل الشروع في تفسير الآية ومما يتميز به أيضاً أن له عناية بتراكيب الكلام وسياقه.
- قد يتوسع الخازن أحياناً بذكر شاهد على المعنى أو ذكر أصل الكلمة ونحو ذلك وكذلك الحال عند ابن كثير.
- كلام الخازن في مسائل النحو شحيح جداً وهذا خلاف ما فعله ابن كثير فإنه ذكر من المسائل النحوية الشيء الكثير وقد يسترسل بها ويتوسع.
- يعتني الخازن بتفسير غريب الحديث الذي يورده لشرح الآيات بل قد جعل ذلك شرطاً عليه؛ وابن كثير يفعل ذلك أحياناً و قد يفعله حتى مع الشواهد الشعرية.
- كلام الخازن في المسائل البلاغية أشبه بالنادر في (محل الدراسة) وابن كثير مقل. وكذلك الشأن في الصرف.

المبحث الخامس: المقارنة بينهما في الجانب التربوي والوعظ والإرشاد

وفيه المقارنة بينهما في ذكر ما يتعلق بتربية النفس وتهذيبها وكذلك الوعظ والإرشاد مما يستفاد من هداية الآيات.

مع أن الكتابين كتابا تفسير إلا أن الشيخين الكريمين لم يهملا الجانب التربوي والوعظي بل تناولا شيئاً من جوانبه ولم يكثرا منه؛ إذ ليس هو المقصود أصالة بل المقصود هو إيضاح معاني كلام الله والمراد منه وهذا بحد ذاته ركن الوعظ والإرشاد والسبيل الأقوم في إصلاح النفوس.

- **قد اعتنى إمامنا الخازن – رحمه الله – بالجانب الوعظي وسطر بقلمه** مواعظ جميلة وكلمات رقيقة؛ وهي تدل على الحالة التي كان عليها - رحمه الله - من السمت والعبادة كما قال الدكتور الذهبي – رحمه الله -: (ثم إنَّ هذا التفسير كثيراً ما يتعرض للمواعظ والرقاق، ويسوق أحاديث الترغيب والترهيب، ولعل نزعة الخازن الصوفية هي التي أثَّرت فيه فجعلته يعنى بهذه الناحية ويستطرد إليها عند المناسبات)[1].

وهو مع تعرضه للوعظ والزهديات فإنه ليس بالمكثر جداً؛ ولعل مأخذه في ذلك أن القرآن كتاب دعوة ووعظ؛ وتفسير هذا الكتاب العظيم بحد ذاته وعظ وإرشاد. ومن خلال دراستي للكتاب (الجزء المخصص) فإن الكلام على الوعظ والرقائق قليل وفي مواضع معينة ولعل الذهبي أردا بقوله: (كثيراً ما يتعرض للمواعظ...) الكتاب ككل أو بالنسبة لغيره من المفسرين .

ومن الأمثلة على كلامه في الرقائق والوعظ ما ذكره عند قوله تعالى:

- { وَكَفَى بنَا حَاسِبِينَ }[2] قال ابن عباس معناه كفى بنا عالمين حافظين لأن من حسب شيئاً فقد علمه وحفظه، والغرض منه التحذير فإن المحاسب إذا كان في العلم بحيث لا يمكن أن يشتبه عليه شيء وفي القدرة بحيث لا يعجز عن شيء فحقيق

([1]) التفسير والمفسرون (1|224).

([2]) سورة الأنبياء آية: (47).

بالعاقل أن يكون بأشد الخوف منه ويروى عن الشبلي[1] أنه رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال:

حـــاسبونا فـدققوا ثـــــم منوا فأعتقوا

هكذا سيمة الملوك بالمماليك يرفقوا [2].

وأيضاً ما ذكره عند قوله تعالى:

- { إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ } [3] أي خائفون، والمعنى أن المؤمنين بما هم عليه من خشية الله خائفون من عقابه.

قال الحسن البصري المؤمن جمع إحساناً وخشية والمنافق جمع إساءة وأمناً[4].

وقد يتوسع ويعقد فصلاً لذلك كما فعل عند قول الله تعالى: **{ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ }**[5] فإنه قال بعد تفسيرها: فصل: في فضل قيام الليل والحث عليه ثم بدأ بسرد الأحاديث المتعلقة بذلك.

وغير ذلك من الأمثلة: كالكلام على الأمانة وفضل التسبيح وغيرهما[6].

---

(1) الإمام: دلف بن جعفر، وقيل دلف بن جحدر، أبو بكر الشبلي، أصله خراساني من أهل سروسة من قرية يقال لها شبلية، صحب الجنيد وطبقته، وتفقه على مذهب مالك، وكتب الحديث الكثير، ت|334هـ. انظر صفة الصفوة 2|456 لعبد الرحمن بن علي بن محمد أبي الفرج، تحقيق: محمود فاخوري ود.محمد رواس قلعه جي، ط: دار المعرفة – بيروت، الطبعة الثانية ، 1399هـ - 1979م.

(2) لباب التأويل 3|262.

(3) سورة المؤمنون آية: (57).

(4) لباب التأويل 3|307.

(5) سورة السجدة آية: (16).

(6) لباب التأويل (3|446).

- **وأما الإمام الثاني ابن كثير – رحمه الله - فقد اهتم بهذا الجانب أكثر ممـــــا** فعله الخازن؛ فتراه ينتهز أقرب الفرص ليسترسل في الوعظ والرقائق وهو كثيراً ما يعول في ذلك على ما يورده الإمام ابن أبي الدنيا[1] الذي فاضت كتبه بهذا الجانب المهم للنفس البشرية، ومن أمثلة ذلك ما فعله عند قوله تعالى:

- { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ } [2] أي: بأبدانهم وبفكرهم أيضاً، وذلك كافٍ، كما قال ابن أبي الدنيا في كتاب (التفكر والاعتبار)[3]:

حدثنا هارون بن عبد الله، حدثنا سَيَّار، حدثنا جعفر، حدثنا مالك بن دينار قال: أوحى الله تعالى إلى موسى، عليه السلام، أن يا موسى، اتخذ نعلين من حديد وعصا، ثم سِحْ في الأرض، واطلب الآثار والعبر، حتى تتخرق النعلان وتكسر العصا[4].

وقال ابن أبي الدنيا: قال بعض الحكماء: أحْي قلبك بالمواعظ، ونَوِّره بالفِكْر، ومَوِّته بالزهد، وقوِّه باليقين، وذَلِّلْهُ بالموت، وقرِّره بالفناء، وبَصِّره فجائع الدنيا، وحَذِّره صولة الدهر وفحش تَقَلُّب الأيام، واعرض عليه أخبار الماضين، وذكره ما أصاب من كان قبله، وسِرْ في ديارهم وآثارهم، وانظر ما فعلوا، وأين حَلُّوا، وعَمَّ انقلبوا [5].

([1]) الإمام: عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس أبو بكر القرشي مولى بني أمية المعروف بابن أبي الدنيا صاحب الكتب المصنفة ت|281. انظر طبقات الحنابلة لأبي يعلى (1|191) تحقيق: محمد حامد الفقي، ط: دار المعرفة - بيروت.

([2]) سورة الحج آية: (46).

([3]) مطبوع بعنوان: (الاعتبار) تحقيق: د. نجم عبد الرحمن خلف ط: مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت ودار البشير – عمان الطبعة الأولى، 1413هـ – 1993م.

([4]) لم أجده في المطبوع. وقد رواه ابن عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله) بلفظ: (أوحى الله تعالى إلى موسى - عليه السلام - أن اتخذ نعلين من حديد وعصا من حديد ثم اطلب العلم والعبر حتى تخرق نعليك -أو تخلق نعلاك- وتنكسر عصاك) (1|189) تحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، ط: مؤسسة الريان - دار ابن حزم الطبعة الأولى 1424هـ- 2003م.

([5]) تفسير القرآن العظيم 5|438.

وأكثر وعظه – رحمه الله - نقل عن السلف من الصحابة فمن بعدهم يقول عند قوله تعالى: **{... خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا}**[1]:

- والبُكِيّ: جمع باك، فلهذا أجمع العلماء على شرعية السجود هاهنا، اقتداء بهم، واتباعًا لمنوالهم قال سفيان الثوري، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي مَعْمَر قال: ((قرأ عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، سورة مريم، فسجد وقال: هذا السجود، فأين البكى؟ يريد البكاء))[2][3].

وعن غير الصحابة قال:

- وقال كعب الأحبار: والله إني لأجد صفة المنافقين في كتاب الله عز وجل: شرابين للقهوات تراكين للصلوات، لعابين بالكعبات، رقادين عن العتمات، مفرطين في الغدوات، تراكين للجمعات قال: ثم تلا هذه الآية: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا} [4].

وقال الحسن البصري: عطلوا المساجد، ولزموا الضيعات.

وقال أبو الأشهب العُطاردي: أوحى الله - تعالى- إلى داوود: يا داوود، حَذّر وأنذر أصحابك أكل الشهوات؛ فإن القلوب المعَلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة، وإن أهون ما أصنع بالعبد من عبيدي إذا آثر شهوة من شهواته على أن أحرمه طاعتي.

وقال الإمام أحمد: حدثنا زيد بن الحباب حدثنا أبو السمح التميمي، عن أبي قبيل، أنه سمع عقبة بن عامر قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((إني أخاف على أمتي اثنتين: القرآن واللَّبَن، أما اللَّبَن فيتبعون الرّيف، ويتبعون

([1]) سورة مريم آية: (58).

(2) رواه الطبري في التفسير 18|215.

(3) تفسير القرآن العظيم 5|240.

([4]) سورة مريم آية: (59).

الشهوات ويتركون الصلوات، وأما القرآن فيتعلمه المنافقون، فيجادلون به المؤمنين))[1][2].

وأحياناً ينشأ وعظاً من تلقاء نفسه ثم يحلي ذلك بكلام السلف كما قال - في قوله تعالى-:

- { فَقُولا لَهُ قَوْلا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} [3] هذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أمر ألا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين، كما قال يزيد الرقاشي عند قوله: {فَقُولا لَهُ قَوْلا لَيِّنًا} : يا من يتحبب إلى من يعاديه فكيف بمن يتولاه ويناديه؟

وقال وهب بن مُنَبه: قولا له: إني إلى العفو والمغفرة أقربُ مني إلى الغضب والعقوبة [4].

وقد ينتهز أقرب مناسبة وعظية ليذكر ما يناسبها كما فعل عند قوله تعالى:

- { يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ } [5].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم)) [6][7].

([1]) رواه أحمد 28|363 برقم: 17421.

([2]) تفسير القرآن العظيم 5|245.

([3]) سورة طه آية: (44).

([4]) تفسير القرآن العظيم 5|294.

([5]) سورة لقمان آية: (16).

([6]) رواه البخاري في كتاب الأيمان والنذور باب إذا قال والله لا أتكلم اليوم فصلى أو قرأ أو سبح أو كبر أو حمد أو هلل فهو على نيته برقم: 6304. ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء برقم:7021.

([7]) تفسير القرآن العظيم 5|345.

وقد يعقد الفصول الطوال في ذلك كعقده فصلاً في الخمول والتواضع[1] وفصلاً في ذم الكبر[2] وفصلاً في الاختيال[3] ونحوها.

المقارنة:

- كان للخازن – رحمه الله - اهتمام واضح في الجانب الوعظي والتربوي، ويعقد الفصول لذلك؛ وإن كان - أحياناً - إنما يتعرض له على وجه الاختصار. وهو ينقل كثيراً من مواعظ السلف، إلا أن ابن كثير - رحمه الله - تميَّز من جهة الكثرة والمنهج؛ فإن ابن كثير أورد الكثير من الوعظ والإرشاد وكذا ما يتعلق بالأخلاق وتهذيب النفوس بل قد يعقد الفصول الطوال من أجل ذلك؛ كما أن له منهجاً واضحاً في الوعظ والإرشاد يتمثل في نقله من الكتب المتخصصة بهذا الجانب ككتب ابن أبي الدنيا؛ كما أن له لفتات جميلة يجود بها فكره ربما حلاها بالآثار عن السلف.

([1]) تفسير القرآن العظيم 6|341.

([2]) المصدر السابق 6|345.

([3]) المصدر السابق 6|346.

الفصل الثالث

(منهج الإمامين في سرد تفسير الآيات وصياغة الكلام عليها)
ويشتمل على تمهيد وأربعة مباحث مباحث:

التمهيد: وفيه الكلام على أوجه المقارنة بين الإمامين على جهة الإجمال:

المبحث الأول: وفيه المقارنة بين منهجيهما في ابتداء الكلام على السور والآيات وترتيبه.

المبحث الثاني: وفيه المقارنة بين منهجيهما في سوق الروايات التفسيرية.

المبحث الثالث: وفيه المقارنة بين منهجيهما في التعامل مع الأقوال ونقدها والترجيح بينها وسرد الأدلة على ذلك.

المبحث الرابع: وفيه المقارنة بين منهجيهما في الاستنباط من النصوص وحسن التدبر.

تمهيد:

قد مضى التعريف بالمنهج والمراد به في تمهيد الرسالة. وإنما الحديث في هذا الفصل على أوجه المقارنة بين الإمامين، ونقاط الاتفاق والاختلاف بينهما في المنهج الإجمالي والتفصيلي لصياغة الكلام وسرد التفسير على الآيات.

فهذا الفصل هو المحك من حيث الأسلوب والطريقة، وهو نقطة المقارنة المهمة بين الشيخين إذ أن الأسلوب هو أهم ما يميز كل كاتب عن الآخر وكل مؤلف عن مؤلف؛ ويمكن الكلام في هذا الفصل على طريقتي الإمامين ومنهجيهما في التقديم والتأخير والاستهلال والختم، وترتيب الكلام، والتعامل مع الروايات والأقوال ونقدها والترجيح وما يتصل بذلك، كذلك حسن الاستنباط والتفكر. وقد قسمت هذا الفصل تبعاً لهذه الأفكار إلى مباحث مرتبة؛ ابتداءً بطريقة الإمامين في ابتداء الكلام على السور والآيات من حيث الجملة وختاماً بطريقتهما في الاستنباط والتدبر.

المبحث الأول: المقارنة بين منهجيهما في ابتداء الكلام على السور والآيات وترتيبه وفيه مطلبان:

المطلب الأول: في الكلام على مقدمات تتعلق بالسورة.

لكل كاتب، ومؤلف صبغته الخاصة وطريقته المتميزة عن غيره في ابتداء الكلام، ومحاولة شد الذهن، واستجماع أفكار القارئ؛ ولا شك أن من أجمل هذه الطرق هي الابتداء بالكلام المجمل الذي يشد الذهن وتتطلع لمعرفة تفاصيله النفس أو ذكر بعض متعلقات الموضوع قبل الخوض فيه. وقد اختلفت طريقة الإمامين الكريمين في هذا الصدد فالملاحظ أن:

*** الإمام الخازن – رحمه الله - يبدأ كلامه على السورة بذكر ما يتعلق بها من مكي،** أو مدني، أو عدد آياتها وكلماتها وحروفها وكذلك يعتني بتفسير الحروف المقطعة وأحياناً بشيء من فضلها وهذه أمثلة مرتبة على ما سبق:

فمثل الأول: يبدأ الكلام قائلاً:

- تفسير سورة مريم، مكية وهي ثمان وتسعون آية وثمانون وسبعمائة كلمة وثلاثة آلاف وسبعمائة حرف [1].

ومثال عنايته بالحروف المقطعة وتفسيره لها:

- {كهيعص} [2] قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: هو اسم من أسماء الله تعالى، وقيل: اسم القرآن، وقيل: للسورة وقيل: هو قسم أقسم الله تعالى به. عن ابن عباس قال: ((الكاف من كريم وكبير، والهاء من هاد، والياء من رحيم، والعين من عليم، والصاد من صادق، وقيل: معناه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق أيديهم عالم ببريته صادق في وعده)) [3].

وقال في بداية الكلام على سورة (طه):

([1]) لباب التأويل 3|214.

([2]) سورة مريم آية: (1).

([3]) لباب التأويل 3|214. والأثر مذكور في تفسير البغوي بصيغة التمريض (يروى) 5|215.

- {طه } [1] قيل: هو قسم؛ أقسم الله بطوله وهدايته، وقيل هو من أسماء الله فالطاء افتتاح اسمه طاهر والهاء افتتاح اسمه هاد.

وقيل: معناه: يا رجل والمراد به النبيّ - صلى الله عليه وسلم - وكذلك يا إنسان، وقيل: هو بالسريانية[2]، وقيل: بالقبطية[3]، فعلى هذا يكون قد وافقت لغة العرب هذه اللغات في هذه الكلمة، وقيل: هو يا إنسان بلغة عك وعك قبيلة من قبائل العرب، وقيل: معناه طا الأرض بقدميك يريد به في التهجد وذلك لما نزل الوحي على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة اجتهد في العبادة حتى يراوح بين قدميه في الصلاة لطول قيامه [4].

ومنهجه - رحمه الله - في ذلك أنه لا يعيد ما كان متشابهاً كـ{ **الم** } و{ **طسم** } ولذلك لم يتكلم عليها في مفتتح سورة النمل والقصص[5] وكذا لم يعد الكلام على {**الم**} في العنكبوت والروم[6].

وأما عن التقديم بشيء من فضل السورة فإنه يأتي به بعد ذكر المكي أو المدني، والعدد كما قال قبل تفسير سورة (طه):

- عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: (أعطيت السورة التي فيها البقرة من الذكر الأول وأعطيت طه من الطواسين

([1]) سورة طه آية: (1).

(2) اللغة السريانية: لغة سامية مشتقة من اللغة الآرامية ويعتبرها بعض الباحثين تطورًا طبيعيًا لها موحدين بين اللغتين. أنظر اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية، المطران إقليمس يوسف داوود مطران دمشق وتوابعها للسريان الكاثوليك، مطابع الآباء الدومنيكانيين، دمشق 1896، ص. 7-9.

(3) اللغة القبطية: هي المرحلة الأخيرة من مراحل تطور اللغة المصرية التي تكلم بها وكتبها قدماء المصريين منذ أكثر من خمسة ألاف سنة. الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) http://ar.wikipedia.org/wiki

([4]) لباب التأويل 3|233.

([5]) لباب التأويل 3|375-395.

([6]) المصدر السابق 3|415-427.

من ألواح موسى وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش وأعطيت المفصل نافلة)[1][2] ثم بدأ بتفسير السورة.

ويختم الخازن تفسير السورة بقوله:

- **والله أعلم بمراده وأسرار كتابه**[3]. ونحو هذه العبارة.

*** وأما الإمام ابن كثير – رحمه الله - فإنه أول ما يبدأ به الكلام على السورة بعد** بيان مكيتها أو مدنيتها هو تقديم شيء يتعلق بها سواءً ما يتعلق بفضلها أو بما يدل على الاهتمام بها أو ورودها مذكورة في حديث أو أثر، وأمثلة ذلك كالتالي:

- فمثال التقديم بفضلها: ما ذكره في ابتداء تفسير سورة السجدة قال: **قال البخاري في (كتاب الجمعة): حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن سعد بن إبراهيم، عن عبد الرحمن بن هُرْمُز الأعرج، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: ((كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقرأ في الفجر يوم الجمعة: { الم تَنزيلُ } السجدة، و{ هَلْ أتَى عَلَى الإنْسَانِ})) [4][5].**

ومثال الاهتمام بشأنها قوله:

- قال عبد الله بن الإمام أحمد: حدثنا خلف بن هشام، حدثنا حماد بن زيد، عن عاصم بن بَهدَلَة، عن زرٍّ قال: قال لي أبي بن كعب: ((كَأين تقرأ سورة الأحزاب؟ أو كَأين تعدها؟ قال: قلت: ثلاثا وسبعين آية: فقال: قط! لقد رأيتها وإنها لتعادل سورة البقرة، ولقد قرأنا فيها: {الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة، نكالاً من الله، والله عليم حكيم})) [6][1].

([1]) رواه البيهقي في شعب الإيمان التاسع عشر من شعب الإيمان هو باب في تعظيم القرآن ذكر سورة بني إسرائيل و الزمر 2| 485 برقم: 2478. والحاكم كتاب فضائل القرآن باب ذكر فضائل سور و آي متفرقة برقم: 2087.

([2]) لباب التأويل 3|233.

(3) المصدر السابق 3|233.

([4]) رواه البخاري في كتاب الجمعة باب ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة برقم: 851.

([5]) تفسير القرآن العظيم 6|358.

([6]) المسند 35|134 برقم: 21207.

ومثال ورودها في حديث قوله:

- وقد روى محمد بن إسحاق في (السيرة)[2] من حديث أم سلمة، وأحمد بن حنبل[3] عن ابن مسعود في قصة الهجرة إلى أرض الحبشة من مكة: ((أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، قرأ صدر هذه السورة على النجاشي وأصحابه)) [4].

وقد أهمل هذا التقديم في سور كثيرة كسورة الحج، والمؤمنون، والنور، والفرقان، والنمل، والعنكبوت، والروم، ولقمان، وسبأ.

وقد يصدر مكان الفضل شيئاً من الفائدة كما قال قبل تفسير سورة الشعراء:

- ..... وَوَقع في تفسير مالك المروي عنه تسميتُها: سورة الجامعة [5].

وقد يورد حديثاً لبيان ضعفه ونكارته كما قال - في مفتتح سورة طه -:

- روى إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتاب (التوحيد)[6]، عن زياد بن أيوب، عن إبراهيم بن المنذر الحِزَامي، حدثنا إبراهيم بن مهاجر بن مسمار، عن عمر بن حفص بن ذَكْوَان، عن مولى الحُرقة - يعني عبد الرحمن بن يعقوب - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((إن الله قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم بألف عام، فلما سمعت الملائكة قالوا: طوبى لأمة ينزل عليهم هذا وطوبى لأجواف تحمل هذا، وطوبى لألسن تتكلم بهذا)) [7] هذا حديث غريب، وفيه نكارة، وإبراهيم بن مهاجر وشيخه تُكلّم فيهما [8].

([1]) تفسير القرآن العظيم 6|375.

([2]) السيرة: (1|249) لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط:دار الكتب العلمية، 1424هـ- 2004م.

([3]) المسند 7|408 برقم: 4400.

([4]) تفسير القرآن العظيم 5|211.

([5]) المصدر السابق 6|135.

([6]) مطبوع عدة طبعات منها طبعة مكتبة الرشيد بتحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان في جزأين.

([7]) رواه ابن خزيمة في كتابه (التوحيد) 1|403 برقم:236.

([8]) تفسير القرآن العظيم 5|271.

وأما ما يتعلق بعدد الآيات والكلمات والحروف فإنه لا يتعرض لذلك.

وكذلك الحروف المقطعة فإنه يحيل إلى ما تكلم به من قبل في السور السابقة بدون تفريق بينها سوء المفتتحة بـ{الم}، أو المفتتحة بغيرها؛ وهو يعبر عن ذلك غالباً بقوله: قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة (البقرة) بما أغنى عن إعادته.

ولم يهمل هذا التنبيه إلا في سورة الروم؛ وأشار في سورة لقمان أنه تكلم على صدرها في سورة البقرة.

ويختم ابن كثير تفسير السورة بالإشارة إلى نهايتها، والحمد والثناء على الله كقوله:

- **آخر تفسير سورة طه، ولله الحمد والمنة** [1]. ونحو ذلك.

وستأتي المقارنة المتعلقة بهذا المطلب عَقِب المطلب الثاني؛ لقلتها وارتباط المطلبين.

(1) تفسير القرآن العظيم 5|330.

المطلب الثاني: في الكلام على ما يتعلق بتفسير الآيات على وجه الإجمال

هناك تمايز واضح بَيْنَ الإمامين في كلامهما على الآيات وسرد الحديث عنها. فمن الملاحظ:

*** أن الخازن – رحمه الله – يفسر الآية تفسيراً إجمالياً في الغالب وبدون أن يقدم** بين يدي الآية توطئة لمعناها الإجمالي بل يقطع الآية مقاطع متعددة ثم يتكلم على كل مقطع بتفسير مختصر مجمل، وهو كثيراً ما يصدر ذلك بقوله: (أي) ثم يذكر المعنى، ولربما أفرد الغريب لوحده ليبين معناه على حدته ومثال ما تقدم:

- {فتربصوا} [1] أي انتظروا[2].

وقد يفسر الغريب مفردة مفردة ثم يلوي على المعنى الإجمالي فيذكره بعده كما فعل عند قوله تعالى:

- { وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا }[3] فإنه بدأ بالمفردات ثم المعنى العام فقال: **{لهدمت صوامع} هي معابد الرهبان المتخذة في الصحراء {وبيع} هي معابد النصارى في البلد وقيل الصوامع للصابئين والبيع للنصارى {وصلوات} هي كنائس اليهود ويسمونها بالعبرانية صلوتاً {ومساجد} يعني مساجد المسلمين { يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا } يعني في المساجد.**

ومعنى الآية: ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم في شريعة كل نبي مكان صلواتهم فهدم في زمن موسى الكنائس وفي زمن عيسى البيع والصوامع وفي زمن محمد - صلى الله عليه وسلم - المساجد[4].

ومن طريقته أيضاً - والتي تحسب له وتزيد في رصيد كتابه الجمالي - أنه يعتني بتفسير الدمج أو المزج بحيث يجعل كلامه مع الكلمات المُفَسَّرة كالجملة الواحدة

([1]) سورة طه آية: (135).

([2]) لباب التأويل 3|254.

([3]) سورة الحج آية: (40).

([4]) لباب التأويل 3|391.

والمقطوعة المنسجمة، وقد يوسط بينها وبين كلامه بكلمة (أي) أحياناً وهذا مثال عليه:

- (قل) لهم يا محمد { رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ } [1] أي لا يخفى عليه شيء {وهو السميع} لأقوالكم {العليم} بأفعالكم [2].

وأما طريقته في التعامل مع الأحاديث والنقول من جهة التقديم والتأخير فقد مر في مبحث التفسير بالأثر[3] وهو عدم مراعاة ترتيب معين.

ومن طريقته أيضاً أنه يعقد فصولاً مستقلة للقصص والأخبار؛ وقد يهمل ذكر كلمة (فصل) ويقول مكانها: (ذكر القصة في ذلك)[4] وكذلك يعقد فصولاً للسجدات وفصولاً لفضائل الأعمال والآداب وفصولاً للموضوعات المهمة المتعلقة بالآية.

فمثال الأول:

- (فصل وسجدة (سورة مريم) من عزائم سجود القرآن، فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند تلاوة هذه السجدة .....)[5].

ومثال الثاني:

- (فصل في فضل التسبيح)[6] و(فصل في فضل قيام الليل والحث عليه)[7] (فصل في صفة الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم -)[8] و(فصل في الأمانة)[9].

ومثال الثالث:

([1]) سورة الأنبياء آية: (4).

([2]) لباب التأويل 3|254.

([3]) انظر ص 139 من هذه الرسالة.

([4]) لباب التأويل 3|396.

([5]) المصدر السابق 3|225.

([6]) المصدر السابق 3|430.

([7]) المصدر السابق 3|446.

([8]) المصدر السابق 3|476.

([9]) المصدر السابق 3|481.

- (فصل في بيان عصمة الأنبياء وما قيل في ذلك)[1] و(فصل في بيان التمثيل المذكور في الآية) [2] (فصل في مدح الشعر)[3] و(فصل في حكم الآية - يريد قوله تعالى: **{فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ}** - **)[4].**

وهو أحياناً يذكر القصة لتكون مفسرة للآية كما فعل في قصة قارون فإنه بعدما ذكر الآية **{ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ }**[5] أورد القصة لتفسر الخسف المراد وطبيعته[6].

ولربما قدم بشيء من التفسير على القصة كما فعل في قصة أيوب عليه الصلاة والسلام فإنه قال بعد الآية: **{ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ }** [7] يعني دعا ربه ثم قال: ذكر قصة أيوب عليه السلام [8]. هذا مجمل القول فيما يتعلق بالمنهج الإجمالي العام الذي سار عليه الإمام الخازن رحمه الله.

*** وأما الإمام الثاني ابن كثير – رحمه الله - فقد كانت له منهجية واضحة غلبت** على الوجه الإجمالي لتفسيره؛ ذلك أنه يقدم بين يدي تفسير الآية كلاماً مجملاً لمعناها العام ثم يشرع في تفسيرها وبيان معانيها وهو في الغالب يصدرها بقوله: **(يخبر تعالى)** أو **(يذكر تعالى)** إشارة إلى أن القائل والمتكلم هو الله سبحانه، والأمثلة في ذلك عسيرة الحصر منها قوله في تفسير سورة مريم:

([1]) لباب التأويل 3|250.

([2]) المصدر السابق 3|332.

([3]) المصدر السابق 3|374.

([4]) المصدر السابق 3|465.

([5]) سورة القصص آية: (81).

([6]) لباب التأويل 3|413.

([7]) سورة الأنبياء آية: (83).

([8]) لباب التأويل 3|268.

- وقوله: {إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ } [1] يخبر تعالى: أنه الخالق المالك المتصرف، وأن الخلق كلهم يهلكون ويبقى هو، تعالى وتقدس ولا أحد يَدّعي مُلْكا ولا تصرفًا، بل هو الوارث لجميع خلقه، الباقي بعدهم، الحاكم فيهم، فلا تظلم نفس شيئًا ولا جناح بعوضة ولا مثقال ذرة [2].

وقوله في أواخر سورة (طه):

- وقوله: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ } [3] يذكر تعالى تشريف آدم وتكريمه، وما فضله به على كثير ممن خلق تفضيلاً[4].

هذا هو الأصل وقد يخرج عنه بأشياء أخرى لها علاقة مباشرة بالمعنى العام للآية كذكر سبب النزول، أو قصة، أو فضيلة، وقد لا يقدم لها بشيء بل يشرع مباشرة في التفسير التحليلي (التفصيلي) لها، وقد يذكر مناسبة الآية لما قبلها. وهذه أمثلة مرتبة على ذلك:

أولاً: التقديم بسبب نزول: قال - رحمه الله -:

- وقوله: { ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ } [5]، ذكر مقاتل بن حيان وابن جريج أنها نزلت في سرية من الصحابة، لقوا جمعًا من المشركين في شهر محرم، فناشدهم المسلمون لئلا يقاتلوهم في الشهر الحرام، فأبى المشركون إلا قتالهم وبغوا عليهم، فقاتلهم المسلمون، فنصرهم الله عليهم، و{ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ } [6] [7].

ثانياً: التقديم بقصة – قال رحمه الله - مطلع سورة الروم -:

([1]) سورة مريم آية: (40).

([2]) تفسير القرآن العظيم 5|234.

([3]) سورة طه آية: (116).

([4]) تفسير القرآن العظيم 5|320.

([5]) سورة الحج آية: (60).

([6]) رواه ابن أبي حاتم في التفسير8|2504 برقم: 14013.

([7]) تفسير القرآن العظيم 5|449.

- نزلت هذه الآيات حين غلب سابور ملك الفرس على بلاد الشام وما والاها من بلاد الجزيرة وأقاصي بلاد الروم، واضطر هرقل مَلك الروم حتى ألجأه إلى القسطنطينية، وحاصره فيها مدة طويلة، ثم عادت الدولة لهرقل..... [1]. ثم ذكر ما يتعلق بالقصة.

ثالثاً: التقديم بفضيلة تتعلق بالآية قال:

- هذه آية الحجاب، وفيها أحكام وآداب شرعية، وهي مما وافق تنزيلها قول عمر بن الخطاب[2]، رضي الله عنه [3].

وأما التقديم بذكر مناسبة الآية لسابقتها فما مضى من الأمثلة المذكورة في مبحث (المناسبات)؛ ولا بأس بالتمثيل لواحد منها هنا؛ ليجلو المراد، وتستبين الفكرة، قال – رحمه الله -:

- ولما كان الصوم من أكبر العون على كسر الشهوة - كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((يا معشر الشباب، مَنْ استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغَضُّ للبصر، وأحْصَن للفرج، ومَنْ لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجَاء))[4] ناسب أن يذكر بعده: { وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ} [5][6].

ومثال عدم التقديم بشيء بل الشروع في التفسير التفصيلي ما قاله - رحمه الله – في سورة الحج:

([1])تفسير القرآن العظيم 6|297.

([2]) رواه البخاري في أبواب القبلة باب ما جاء في القبلة ومن لا يرى الإعادة على من سها فصلى إلى غير القبلة برقم: 393. ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه برقم: 6359.

([3]) تفسير القرآن العظيم 6|450.

([4]) رواه البخاري في كتاب النكاح باب من لم يستطع الباءة فليصم برقم: 4779. ومسلم في كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة واشتغال من عجز عن المُؤَن بالصوم برقم: 3464-3466.

([5]) سورة الأحزاب آية: (35).

([6]) تفسير القرآن العظيم 6|420.

- قال ابن عباس: {لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ }[1] قال: منافع الدنيا والآخرة؛ أما منافع الآخرة فرضوان الله، وأما منافع الدنيا فما يصيبون من منافع البُدْن والربح والتجارات وكذا قال مجاهد، وغير واحد: إنها منافع الدنيا والآخرة، كقوله: { لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلا مِنْ رَبِّكُمْ} [2][3].

وابن كثير شريك الخازن في عقد فصول تتعلق بالموضوعات والمواعظ ويتميز بعقدها لسرد الأحاديث والآثار من ذلك:

- (فصل في الخمول والتواضع)[4] (فصل في حسن الخلق)[5] (فصل في ذم الكبر)[6] و(فصل: فلمَّا توفاها الله تزوج بعدها سودة بنت زمعة)[7] و(فصل وأما الصلاة على غير الأنبياء)[8] و(ذكر الآثار الواردة في ذلك)[9] وغيرها كثير وقد يهمل كلمة (فصل) حاله في ذلك حال الخازن رحم الله الجميع بمنه وكرمه، وهذا مجمل القول في منهجه الإجمالي.

المقارنة:

- يبدأ الخازن بذكر ما يتعلق بالسورة من مكيتها أو مدنيتها ثم يعقب ذلك بذكر العدد (عدد الآيات والكلمات والحروف) أما ابن كثير وإن وافق الخازن في تقديم المكي أو المدني فإنه لا يتعرض للعدد بشيء؛ سواءً عدد الآيات أو الكلمات أو الحروف.

([1]) سورة الحج آية: (28).

([2]) سورة البقرة آية: (198).

([3]) تفسير القرآن العظيم 5|414.

([4]) المصدر السابق (6|341).

([5]) المصدر السابق (6|344).

([6]) المصدر السابق (6|345).

([7]) المصدر السابق (6|404).

([8]) المصدر السابق (6|477).

([9]) المصدر السابق (6|55). و(6|280) وغيرهما.

- يعتني الخازن بتفسير الحروف المقطعة وقد يكل معانيها إلى الرب تبارك وتعالى، وأما المكرر من الحروف المقطعة فإنه يتكلم على الأول منها ويحيل عليه ما يتكرر بعده مما يشابهه؛ بخلاف ابن كثير فإنه في الغالب يحيل إلى ما تقدم في بداية سورة البقرة وهو من يفوض معانيها إلى الله تبارك وتعالى.
- يقدم الخازن - أحياناً - شيئاً من فضل السورة أما ابن كثير فإنه يقدم بعد المكي والمدني شيئاً يتعلق بالسورة من فضل أو أهمية أو تنبيه اونحو ذلك.
- تفسير الخازن تفسير إجمالي حتى من جهة نسبة الأقوال، أما تفسير ابن كثير فهو تفسير تحليلي (تفصيلي) حتى في نسبة الأقوال.
- الخازن لا يقدم في الغالب بين يدي تفسير الآية كلاماً مجملاً عن معناها بل يُقطّعها مقاطع، ويبدأ بتفسيرها قطعة قطعة؛ أما ابن كثير فإنه في الغالب يقدم بمقدمة بين يدي الآية تحمل مضمون معناها العام ثم يبدأ بتفسيرها بالآيات ثم الأحاديث ثم الآثار وأقوال المفسرين وما يحتاج من اللغة.
- يصدر الخازن الكلام على مقاطع الآية في الغالب بقوله (أي) وقد يدمج التفسير بما يتناسب مع كلمات القرآن حتى تبدو كأنها في سياق واحد؛ أما ابن كثير فإنه يصدر الكلام على الآية غالباً بقوله: (يخبر تعالى) أو(يذكر تعالى) ثم يشرع مباشرة في التفسير التحليلي.
- ليس للخازن منهج معين في التقديم والتأخير بالنسبة للنقول؛ وهذا خالفه فيه ابن كثير حيث أتى بترتيب عجيب يبدأ فيه بتفسير الآية بما يماثلها من القرآن ثم بالسنة ثم بالآثار فاللغة وهكذا، بل له منهج حتى في ترتيب الآثار والأقوال.
- يشترك الإمامان في عقد فصول تتعلق بالموضوعات والمواعظ وينفرد الخازن بعقد فصول تتعلق بالقصص والأخبار، وابن كثير بعقد فصول تتعلق بسرد الأحاديث التي لها صلة بالآيات.

المبحث الثاني: المقارنة بين منهجيهما في سَوق الروايات التفسيرية

المتأمل في صفحات التفسير عند إمامينا الكريمين يجد بوناً شاسعاً وفرقاً بيناً في سرد الروايات التفسيرية ونقدها وتحريرها والحكم عليها والعودة بها إلى مصادرها بل حتى في الإكثار منها وترتيبها وحشدها.

كل هذه المحاور يمكن الوقوف عندها بترو وتأمل من خلال ما أودعه الشيخان في كتابيهما، ولا أكون متجاوزاً حد الصدق إن قلت إن ابن كثير – رحمه الله – قد تميَّز في هذا الباب وتألق فيه؛ قد يكون ذلك لتخصصه وعنايته بعلم الرواية كثيراً وأن تفسيره محسوب عليها أو أن تفسيره تفسير تحليلي متوسع فيه بخلاف تفسير الخازن – رحمه الله؛ فهو وإن كان صاحبه محدثاً - فهو تفسير مجمل راعى فيه مؤلفه الاختصار وعمد إلى حذف الأسانيد كما أشار إلى ذلك في المقدمة[1] وقصد ألا يطيل فيه.

وعلى كل حال ففضل الله يؤتيه من يشاء وكل قد خدم أمته في جانب مما هو متاح له ومتيسر لديه بحسب ما يراه أنه نافع لها.

- **أما إمامنا الخازن – رحمه الله - فإن منهجه في ذلك أن يذكر الروايات بدون** إسناد ولا مصدر لا سيما الآثار منها؛ وإن كان الوضع بالنسبة للحديث يختلف فإنه يذكر المصدر أولاً ويرمز له برمز (إن كان في الصحيحين أو أحدهما) وقد يؤخر الراوي إلى ما بعد الحديث وقد مرَّ تفاصيل وأمثلة ذلك في مبحثي التفسير بالحديث والأثر. على أنه قد يذكر الحديث بلا مصدر ولا سند، قال تحت تفسير قوله تعالى:

- {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [2] ..... قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم – (إنما أنا رحمة مهداة)[3] [4].

([1]) لباب التأويل المقدمة ص دار الكتب العربية الكبرى.

([2]) سورة الأنبياء آية: (107).

([3]) رواه الدارمي في السنن المقدمة باب كيف كان أول شأن النبي - صلى الله عليه و سلم - برقم: 15. والحاكم في كتاب الإيمان برقم: 100. والبيهقي في الشعب، الربع عشر من الشعب 2|144 برقم:1404.

([4]) لباب التأويل 3|279.

وقد لا يحافظ على لفظ الأثر بالنص لا سيما الروايات المتعلقة بابن عباس رضي الله عنهما بل يوردها بمعناها وينبه على ذلك كما قال:

- ..... وقيل معناه أن يوماً عنده وألف سنة في الإمهال سواء لأنه قادر متى شاء أخذهم لا يفوته شيء بالتأخير فيستوي في قدرته وقوع ما يستعجلونه من العذاب وتأخيره وهذا معنى قول ابن عباس [1].

وهو في الغالب لا يحكم على الأحاديث والروايات المدرجة في التفسير إذا ما استُثني من ذلك الصحيحان؛ لما تقرر من صحتهما. وإن حكم فحكمه نادر جداً ومثال ذلك قوله:

- وقد صح في الحديث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((كان داوود عليه السلام لا يأكل إلا من عمل يده)) [2] [3].

ولعل ذلك إلى حكاية الواقع أقرب من الحكم على الحديث؛ وذلك لأن الحديث في صحيح البخاري.

- ومن ذلك أيضاً كلامه وتوهينه لقصة ((الغرانيق)) [4]، وهو كثيراً ما يذكر أحكام الترمذي[5] فلعله يعتمدها.

وأما جمعه للروايات وحشده لها فإنه يشارك ابن كثير – رحمهما الله - في شيء من ذلك وإن كان ذلك في مواضع قليلة، ومثال ذلك: ما أورده من روايات عند تفسير قوله تعالى: **{ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ... }** [6] [7].

([1]) لباب التأويل 3|293.

([2]) رواه البخاري بلفظ: (أن داوود عليه السلام كان....) في كتاب البيوع باب كسب الرجل وعمله بيده برقم: 1967.

([3]) لباب التأويل 3|483.

(4) المصدر السابق 3|294.

([5]) المصدر السابق (3|285).

([6]) سورة النور آية: (6).

([7]) لباب التأويل 3|315.

ومن ذلك أيضاً ما فعله عند تفسير قوله تعالى: { **مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ...** } [1] [2].

وقد يختصر الرواية أحياناً كما قال في حديث الفتون قال:

- قال: ابن عباس رضي الله عنهما الفتون وقوعه في محنة بعد محنة وخلصه الله تعالى، منها أولها أن أمه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال، ثم إلقاؤه في البحر في التابوت، ثم منعه من الرضاع إلا من ثدي أمه، ثم أخذه بلحية فرعون حتى هم بقتله، ثم ناوله الجمرة بدل الجوهر، ثم قتله القبطي وخروجه إلى مدين خائفاً [3].

والحديث حديث الفتون طويل جداً ذكره ابن كثير – رحمه الله - بطوله في التفسير [4].

ولعل الذي جعل الخازن يختصر هذه الرواية هو الإمام البغوي الذي اختصر الخازن تفسيره من تفسيره إلا أن في كلام البغوي ما يفيد اختصاره لها وأن ألفاظها ليست ألفاظ ابن عباس إذ يقول: (....وعن ابن عباس في رواية سعيد بن جبير: أن الفتون وقوعه في محنة بعد محنة خلصه الله منها، أولها أن أمه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح الأطفال....)[5].

وأما الخازن فقد عبر بما يوهم أنها من قول ابن عباس رضي الله عنهما.

وقد تقدم أن من منهجه – رحمه الله – في إيراد الحديث أنه يفسر غريبه، وهذا منهج واضح في كتابه قد قرره في مقدمته.

وقد تقدم أيضاً أن الإمام الخازن – رحمه الله - لا يلتزم ترتيباً معيناً في إيراد الروايات وإنما ذلك عائد إلى ما تيسر له.

([1]) سورة الحج آية: (5).

([2]) لباب التأويل 3|281.

([3]) المصدر السابق 3|238.

([4]) تفسير القرآن العظيم 5|285.

([5]) معالم التنزيل 5|273.

وأما منهجه في القصص والأخبار فإنه يفيض في ذكرها، ويتوسع في إيرادها، ولا ينظر إليها من جهة صحة وضعف، والأمثلة على ذلك كثيرة جداً بل إن شهرة الخازن في ذلك غنية عن التكلف في ذكرها ولعل الذي أورده هذا المورد هو النقل عمن تقدمه من المفسرين لا سيما تفسير البغوي الذي اختصره.

وأما الكلام على أحداث السيرة والمغازي فإنه يستطرد في ذلك ويعقد لها الفصول الطوال كما فعل عند الكلام على غزوة الخندق[1] وقد يكتفي بسرد الحدث من السيرة بدون عقد فصل، مثل كلامه على قوله سبحانه **{ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ....}** [2].

فهذا ملخص القول في منهجه وصياغة تفسيره - رحمه الله – بالنسبة للمرويات.

- **وأما الإمام ابن كثير – رحمه الله – فقد أبدع في هذا الباب إبداعاً عجيباً**

حتى يصح القول أنه قد جمع بين الكتاب، والسنة في بوتقة[3] واحدة؛ وذلك لكثرة ما يورده من الأحاديث والآثار مع حسن ترتيب واستكمال لأطراف الموضوع، ومن أهم ما يميز هذا التفسير أن الحافظ ابن كثير – رحمه الله - محدث شهير مما يعكس ذلك في تفسيره؛ فلا يكاد يفوته حديث إلا وحلاه بالحكم عليه وبيان صحته من ضعفه على أنه قد يستطرد في ذكر العلل وبيان مواضع الخلل، وينبه على رجال الإسناد إلى غير ذلك من القضايا المتعلقة بجانب الرواية.

والخطوط العريضة التي يمكن ذكرها تحت هذا المبحث هي كالتالي:

1- إيراده الأحاديث مسندة في الغالب مع ذكر مخرجها ابتداءً أو انتهاءً وأما الآثار فيذكرها بدون أسانيد في الغالب لكن يعزوها إلى مصادرها وقد لا يعزو أحياناً، ومثاله قال:

- ..... قال الإمام أحمد: حدثنا زيد بن الحباب، حدثني حسين بن واقد، حدثني عبد الله بن بُرَيدة، سمعت أبي – بُرَيدة - يقول: سمعت رسول الله - صلى الله عليه

([1]) لباب التأويل (3|453).

([2]) المصدر السابق (3|284)

(3) الوعاء الذي يذاب فيه المعدن. المعجم الوسيط 1|75 باب (الباء).

وسلم - يقول: (خمس لا يعلمهن إلا الله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } [1][2] هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجوه [3].

2- في الغالب يحكم على الأحاديث ولربما بيّن سبب الحكم واستطرد في ذلك ومثاله قوله:

- ..... وقال أيضاً حدثنا أبي، حدثنا آدم بن أبي إياس، حدثنا شَيْبَان، عن جابر الجُعْفِي، عن عامر الشعبي، عن زيد بن ثابت الأنصاري قال: ((أملى عليَّ رسولُ الله هذه الآية: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ} [4] إلى قوله: { خَلْقًا آخَرَ }، فقال معاذ: { فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ }، فضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. فقال له معاذ: مم ضحكت يا رسول الله؟ قال: بها ختمت {فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ})) [5]. جابر بن يزيد الجُعْفِي ضعيف جدًّا، وفي خبره هذا نَكَارة شَديدة، وذلك أن هذه السورة مكية، وزيد بن ثابت إنما كتب الوحي بالمدينة، وكذلك إسلام معاذ بن جبل إنما كان بالمدينة أيضًا، فالله أعلم [6].

3- قد يستطرد في ذكر الروايات ويقوم بحشدها لتقوية الموضوع.

والأمثلة على ذلك كثيرة أبسط مثال على ذلك حشده للأدلة والأحاديث في قضية يأجوج ومأجوج [7].

4- قد يختصر الرواية لحاجة استدلال ونحوه، ومثاله قال:

([1]) سورة لقمان آية: (34).

([2]) رواه أحمد في المسند (38|90) برقم: (22986).

([3]) تفسير القرآن العظيم 6|352.

([4]) سورة المؤمنون آية: (12).

([5]) رواه الطبراني في الأوسط (5|56) برقم: (4657).

([6]) تفسير القرآن العظيم 5|469.

([7]) المصدر السابق 5|373.

-..... وصف بالنبوة فقط، وإسماعيل وصف بالنبوة والرسالة. وقد ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل...)) [1] وذكر تمام الحديث، فدل على صحة ما قلناه [2].

وقد يشير إلى الاختصار كما فعل عند الكلام على نداء الخليل عليه السلام في الحج[3].

5- يوجه الروايات ويجمع أطرافها؛ كما قال في الروايات المتعلقة بقوله تعالى **{وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}**[4]**:**

- فهذه طرق متعددة لهذا الحديث عن علي، رضي الله عنه. ومعنى سؤاله، عليه الصلاة والسلام لأعمامه وأولادهم أن يقضوا عنه دينه، ويخلفوه في أهله، يعني إن قتل في سبيل الله، كأنه خشي إذا قام بأعباء الإنذار أن يقتل، ولما أنزل الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [5] فعند ذلك أمِن .

وكان أولاً يُحرس حتى نزلت هذه الآية: {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [6].

6- لا يهتم بذكر القصص والأخبار كثيراً لا سيما المروية عن بني إسرائيل ولربما أشار إليها إشارة فقط، وأعرض عن ذكرها خشية التطويل. كما قال في بعض المواضع:

([1]) رواه مسلم في الصحيح بلفظ: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة ...) في كتاب الفضائل باب فضل نسب النبى - صلى الله عليه وسلم - وتسليم الحجر عليه قبل النبوة برقم: 6077.

([2]) تفسير القرآن العظيم 5|240.

([3]) المصدر السابق 5|414.

(4) سورة الشعراء آية: (216).

([5]) سورة المائدة آية: (76).

([6]) تفسير القرآن العظيم (6|170).

- **وقد ذكر عن وهب بن منبه في خبره** (أي: أيوب عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) **قصة طويلة، ساقها ابن جرير وابن أبي حاتم بالسند عنه، وذكرها غير واحد من متأخري المفسرين، وفيها غرابة تركناها لحال الطول[1].**

وهذا لا يعني أنه لا يورد القصص والأخبار لاسيما في معرض الوعظ وعدم الاستدلال بل إنه يورد – حتى - ما لم يذكر في حديث أو سيرة أو إسرائيلي؛ كما فعل تحت قوله تعالى: **{أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ}** [2] فإنه ذكر قصة عجيبة نقلها من تاريخ دمشق[3].

وأما أحداث السيرة والغزوات فإن ابن كثير يهتم بها ويوليها عنايته كما فعل عند تفسير آية الأحزاب[4].

المقارنة:

- الإمام الخازن – رحمه الله - يذكر مرجع الحديث ويرمز له إن كان في الصحيحين أو أحدهما؛ أما ابن كثير – رحمه الله - فإنه غالباً ما يذكر الأحاديث مسندة معزوة إلى مصادرها وله اهتمام واضح في الصحيحين والمسند.
- جرد الخازن كتابه من ذكر الأسانيد، وهذا عكس ما قام به ابن كثير فإن كتابه مليء بالأسانيد حتى كأنه كتاب حديثي مسند.
- يبدأ الخازن بذكر المُخْرِج للحديث ثم الصحابي فالحديث في الغالب وقد يؤخر مُخْرِج الحديث ويقدم الراوي الأعلى (الصحابي) وهذا كثير؛ وابن كثير يبدأ بذكر المُخرج للحديث ثم سند الحديث، وقد يذكر الإسناد والحديث ويؤخر المخرج له.

([1]) تفسير القرآن العظيم 5|360.

([2]) المصدر السابق 6|204.

([3]) مطبوع طبعته دار الفكر، ببيروت، لبنان بتحقيق: محب الدين عمر العمروي.

([4]) تفسير القرآن العظيم (6|384).

- يهتم الخازن بتفسير الغريب الوارد في الأحاديث وهذا الذي لم يفعله ابن كثير إلا في القليل.
- لا يتوسع الخازن في ذكر الأحاديث المتعلقة بالآية وربما فعل ذلك في مواضع يسيرة؛ أما ابن كثير فإنه يستجمع قواه لذكر كل ما يتعلق بالآية من أحاديث وقد يحشد الأحاديث برواياتها حشداً مذهلاً ويستطرد في ذلك ويعقد لها فصولاً.
- السمة الغالبة للخازن في التفسير بالسنة الاختصار؛ وهذا عكس صنيع ابن كثير فإن السمة الغالبة البسط والاستيعاب.
- ليس هناك منهج واضح للخازن من جهة ترتيب الأحاديث والروايات بينما الملاحظ أن لابن كثير منهجاً واضحاً في ترتيب أنواع التفاسير وترتيب حتى الروايات.
- لا يذكر الخازن مصادر الروايات التفسيرية المروية عن الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم في الغالب بينما ابن كثير يذكر ذلك كثيراً.
- لا ينسب الخازن المرويات إلى قائليها غالباً إذا ما استُثني من ذلك الرواية المتعلقة بابن عباس - رضي الله عنهما – وبعض المواضع اليسيرة وهذا مغاير لمنهج ابن كثير والذي درج على نسبة كل قول إلى قائله وكل رواية إلى المروية عنه.
- للخازن اهتمام كبير بذكر القصص والأخبار والتوسع فيها وعقد الفصول لها وابن كثير يشاركه في نسبة ضئيلة من ذلك على أن له موقفاً مغايراً تماماً للخازن بالنسبة للمرويات الإسرائيلية؛ فإنه ينبه عليها ويُعرض عنها ويحذر منها في الغالب؛ والخازن وابن كثير كذلك يشتركان في سرد أحداث السيرة المباركة على صاحبها كوامل الصلوات وجوامع التسليمات.

المبحث الثالث: المقارنة بين منهجيهما في التعامل مع الأقوال ونقدها والترجيح بينها وسرد الأدلة على ذلك.

وفيه تمهيد ومطلبان:

تمهيد:

هكذا العلم يتداوله الناس، الآخر عن الأول، والمتأخر عن المتقدم مع إضافات يحلي بها المتأخر عمله من اختصار، أو استنباط، أو جمع، أو نقد، أو ترجيح، أو نحو ذلك من مقاصد التأليف المعروفة.

وهكذا كان الوضع بالنسبة لإمامينا الكريمين على أنهما اختلفا في طريقة التعامل مع الأقوال المتقدمة عليهما من حيث الترتيب والتنسيق والنسبة إلى قائليها بل وحتى من حيث النقد، والترجيح بينها، والتدليل عليها؛ وعلى ذلك فسأحاول في هذا المبحث دراسة نقاط الاتفاق والاختلاف بين الإمامين والفوارق بين منهجيهما في التعامل مع أقوال من تقدمهما من خلال هذه النقاط.

المطلب الأول: منهجهما في التعامل مع الأقوال:

- **أما إمامنا الخازن – رحمه الله – فقد أكثر من ذكر الأقوال المتعلقة بتفسير** الآيات كثرة بينة لكل من طالع في كتابه، لكن لم تكن له عناية في ترتيب هذه الأقوال، بل من الصعب دراسة ترتيبه للأقوال الكثيرة التي يسردها تحت معاني الآيات؛ ذلك أنه لم ينسبها فيُعلم هل ترتيبه عائد إلى التقدم في المنزلة (في علم التفسير)[1] أم إلى الوفاة.

ولذلك تراه أحياناً يقدم قولاً على قول جمهور المفسرين لربما أنه يترجح عنده كما قال - رحمه الله – تحت قول الله تعالى:

---

(1) فإبهام الخازن – رحمه الله - لأصحاب الأقوال تحت ستر (قيل) جعل من الصعب دراسة التقديم والتأخير للأقوال التي يذكرها؛ إذ لا يُعلم من قائلها؟؛ فيصنف أنه متقدم من حيث وفاته فقدم الخازن قوله لذلك كما يفعل بعض مخرجي الحديث في تقديم صاحب المسند على صاحبي الصحيحين؛ أم أن ذلك راجع إلى فضل القائل في التفسير، ونبوغه فيه واشتهاره به؛ فيقدم قوله على قول المغمور في التفسير كتقديم مجاهد على من سواه.

- { وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ } [1] يعني خوف يا محمد كفار مكة يوم الحسرة، سمي بذلك لأن المسيء يتحسر هلا أحسن العمل والمحسن هلا زاد في الإحسان، يدل عليه ما روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم – قال: ((ما من أحد يموت إلا ندم قالوا ما ندمه يا رسول الله قال : إن كان محسناً ندم أن لا يكون ازداد وإن كان مسيئاً ندم أن لا يكون نزع)) [2] أخرجه الترمذي.

قوله أن لا يكون نزع النزع عن الشيء: الكف عنه، وقال أكثر المفسرين يعني بيوم الحسرة حين يذبح الموت.[3] ثم ذكر حديث الموت[4].

وقد لا يكون الترتيب مبني على ترجيح فقد أورد عدة أقوال في قوله تعالى: { **وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي** } [5] ثم دلل للقول الأخير. قال - رحمه الله – عند هذه الآية المباركة:

- { وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي } أي لتذكرني فيها وقيل لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري، وقيل لإخلاص ذكري وطلب وجهي ولا ترائي فيها ولا تقصد بها غرضاً آخر، وقيل معناه إذا تركت صلاة ثم ذكرتها فأقمها، (ق) عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها

([1]) سورة مريم آية: (39).

([2]) رواه الترمذي ولفظه: (قالوا ما ندامته...) في كتاب الزهد باب تابع لباب ما جاء في ذهاب البصر برقم: 2403. قال أبو: عيسى هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه و يحيى بن عبيد الله قد تكلم فيه شعبة وهو يحيى بن عبيد الله بن موهب مدني.

([3]) لباب التأويل 3|221.

([4]) المراد بحديث الموت قول النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -: ((يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه.....)) رواه البخاري في كتاب التفسير باب {وأنذرهم يوم الحسرة} برقم: 4453. ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء رقم: 7360.

([5]) سورة طه آية: (14).

لا كفارة لها إلا ذلك)) وتلا قتادة { وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي } [1] وفي رواية: ((إذا رقد أحدكم في الصلاة أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها فإن الله عز وجل يقول: { وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي })) [2][3].

على أنه لا يقدم قولاً على قول ابن عباس - رضي الله عنهما –؛ لعل ذلك لما عرف من فضله – رضي الله عنه وعن أبيه - وعلمه في التفسير ولذلك تجده يذكر قوله أولاً ثم يذكر بقية الأقوال الأخرى، ومثال ذلك ما أورده عند قول الله عزَّ وجلَّ:

- { فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى } قال ابن عباس: السر ما تسر في نفسك وأخفى من السر ما يلقيه الله في قلبك من بعد ولا تعلم أنك ستحدث به نفسك لأنك لا تعلم ما تسر اليوم ولا تعلم ما تسر غداً والله يعلم ما أسررت به اليوم وما تسر به غداً، وعنه أن السر ما أسر به ابن آدم في نفسه وأخفى ما هو فاعله قبل أن يعلمه، وقيل السر ما أسره الرجل إلى غيره وأخفى من ذلك ما أسره في نفسه، وقيل السر هو العمل الذي يسر من الناس وأخفى هو الوسوسة، وقيل السر أن يعلم الله تعالى أسرار العباد وأخفى هو سره من عباده فلا يعلم أحد سره، وقيل : مقصود الآية زجر المكلف عن القبائح ظاهرة كانت أو باطنة والترغيب في الطاعات ظاهرة كانت أو باطنة [4].

وعلى كل حال فإن طريقة الخازن في الغالب غير منسجمة مع ترتيب معين للأقوال. بل إنه يصدر الأقوال (بقيل) ثم يسردها سرداً وقد يجزم على قول ويترك البقية للقارئ تحت حيرة (قيل) كما قال في سورة (طه):

([1]) رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة باب من نسي الصلاة فليصل إذا ذكر ولا يعيد إلا تلك الصلاة برقم:572.

([2]) هذه الرواية في صحيح مسلم كتاب المساجد باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها برقم: 1601.

([3]) لباب التأويل 3|235.

([4]) المصدر السابق 3|234.

- { قالَ لَهُمْ مُوسَى } [1] يعني للسحرة الذين جمعهم فرعون وكانوا اثنين وسبعين ساحراً مع كل ساحر حبل وعصا وقيل كانوا أربعمائة وقيل كانوا اثني عشر ألفاً [2].

وهو في الغالب - أيضاً - لا ينسب الأقوال إلى قائليها إذا ما استثني من ذلك مواضع يسيرة كأقوال ابن عباس رضي الله عنهما وما يتعلق بالأقوال الفقهية ومواضع يسيرة لأقوال المفسرين وهذا مثال واحد على ذلك:

- { لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى } [3] أي إلى أن يسميها ويوجبها هدياً فإذا فعل ذلك لم يكن له شيء من منافعها.

وهو قول مجاهد وقتادة والضحّاك ورواية عن ابن عباس وقيل معناه: لكم في الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها هدايا بأن تركبوها وتشربوا من ألبانها عند الحاجة إلى أجل مسمى يعني إلى أن تنحروها وهو قول عطاء [4].

وكما أنه يذكر الأقوال مجردة النسبة كذلك الحال في التدليل لها؛ وإن كان قد ذكر في مواضع كثيرة الأقوال بأدلتها من كلا الطرفين أو من طرف واحد.

وأمثلة ذلك كالتالي:

- أما ذكر أدلة كل قول فأقرب مثال له ما تقدم من الاختلاف في المراد بيوم الحسرة فإنه ذكر القولين ودليل كل واحد منهما[5].

ومثال الثاني: (ذكر أدلة أحد القولين)؛ قال في كلامه على سورة الحج:

- ..... { وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ } [6] قال ابن عباس: يعني يوماً من الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض[7]. وقيل يوماً من أيام الآخرة

([1]) سورة طه آية: (43).

([2]) لباب التأويل 3|241.

([3]) سورة الحج آية: (33).

([4]) لباب التأويل 3|289.

([5]) لباب التأويل 3|221.

([6]) سورة الحج آية: (47).

([7]) رواه ابن أبي حاتم في التفسير 8|2499 برقم: 13985.

يدل عليه ما روي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة)) أخرجه أبو داوود بزيادة فيه[1] وأخرج الترمذي نحوه[2].

ومعنى الآية: أنهم يستعجلون بالعذاب وإن يوماً من أيام عذابهم في الآخرة كألف سنة. وقيل إن يوماً من أيام العذاب في الثقل والاستطالة كألف سنة فكيف يستعجلونه وقيل معناه أن يوماً عنده وألف سنة في الإمهال سواء لأنه قادر متى شاء أخذهم لا يفوته شيء بالتأخير فيستوي في قدرته وقوع ما يستعجلونه من العذاب وتأخيره وهذا معنى قول ابن عباس [3]. فهاهو قد ذكر عدة أقوال، ذكر دليل واحد منها فقط.

ومما يذكر له – رحمه الله – أنه يوجِّه الأقوال ويبيِّن ما تؤول إليه، قال - عند الكلام على قول الله عز وجل: **{ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى }** [4]-:

- ..... وقيل: مقصود الآية زجر المكلف عن القبائح ظاهرة كانت أو باطنة والترغيب في الطاعات ظاهرة كانت أو باطنة، فعلى هذا الوجه ينبغي أن يحمل السر والإخفاء على ما فيه ثواب أو عقاب، فالسر هو الذي يسره المرء في نفسه من الأمور التي عزم عليها والإخفاء هو الذي يبلغ حد العزيمة[5].

كان هذا مجمل القول فيما يتعلق بمنهج الخازن في التعامل مع الأقوال.

([1]) قطعة من حديث رواه أبو داوود بدون لفظ: (مقدار) في كتاب العلم باب في القصص برقم: 3668. قال المنذري: (في إسناده المعلى بن زياد أبو الحسن وفيه مقال) عون المعبود 10|73.

([2]) رواه الترمذي ولفظه: (فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمس مائة سنة) في كتاب الزهد باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم برقم: 2351.

([3]) لباب التأويل 3|292.

([4]) سورة طه آية: (7).

([5]) لباب التأويل (3|234).

- **وأما الإمام الثاني الحافظ ابن كثير- رحمه الله – فقد جاء اهتمامه بالأقــوال** وتحري الحق الذي اشتملت عليه تقريراً وتطبيقاً. فقد قال – رحمه الله - في المقدمة: (فقد اشتملت هذه الآية الكريمة يعني قوله تعالى: { **سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ....**} [1] على الأدب في هذا المقام وتعليم ما ينبغي في مثل هذا، فإنه تعالى أخبر عنهم بثلاثة أقوال، ضعف القولين الأولين وسكت عن الثالث، فدل على صحته إذ لو كان باطلاً لرده كما ردهما، ثم أرشد على أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته، فقال في مثل هذا: {**قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ** } فإنه ما يعلم بذلك إلا قليل من الناس، ممن أطلعه الله عليه؛ فلهذا قال: {**فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلا مِرَاءً ظَاهِرًا**} أي: لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته، ولا تسألهم عن ذلك فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب. فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف: أن تستوعب الأقوال في ذلك المقام، وأن تنبه على الصحيح منها وتبطل الباطل، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته؛ لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته، فتشتغل به عن الأهم فالأهم. فأما من حكى خلافًا في مسألة ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص، إذ قد يكون الصواب في الذي تركه. أو يحكي الخلاف ويطلقه ولا ينبه على الصحيح من الأقوال، فهو ناقص أيضًا. فإن صحح غير الصحيح عامداً فقد تعمد الكذب، أو جاهلاً فقد أخطأ، وكذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته، أو حكى أقوالاً متعددة لفظًا ويرجع حاصلها إلى قول أو قولين معنى، فقد ضيع الزمان، وتكثر بما ليس بصحيح، فهو كلابس ثوبي زور، والله الموفق للصواب)[2].

فمن خلال هذه المقدمة الرائعة رسم ابن كثير منهجاً واضح المعالم في التعامل مع الأقوال ولذلك فقد تميز عن نظيره بحسن التأليف بين الأقوال وترتيبها ونسبتها إلى قائليها والتدليل عليها ونقدها؛ فتجده يقدم الأقوال المتعلقة بالصحابة أولاً لاسيما الذين اشتهروا بالتفسير - بل قد يقدم الرواية القوية على الضعيفة المروية عن ذلك الصحابي - ثم التابعين فمن بعدهم وقد يخرج عن هذا الأصل لمغزى قد مرت

([1]) سورة الكهف آية: (22).

(2) تفسير القرآن الكريم المقدمة (1|9) وانظر مجموع الفتاوى لشيخه ابن تيمية 2|315.

تفاصيله في المباحث السابقة[1] ومن أمثلة ذلك الترتيب الجميل ما سطره تحت قول الله تعالى:

- وقوله: { أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا } [2] قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: تغويهم إغواء.

وقال العوفي عنه: تحرضهم على محمد وأصحابه.

وقال مجاهد: تُشليهم إشلاء[3].

وقال قتادة: تزعجهم إزعاجا إلى معاصي الله.

وقال سفيان الثوري: تغريهم إغراء وتستعجلهم استعجالاً.

وقال السدي: تطغيهم طغياناً.

وقال عبد الرحمن بن زيد: هذا كقوله تعالى: { وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ } [4][5] .

فكما هو ملاحظ في هذا الترتيب أنه رتَّب الأقوال بحسب قوة قائليها وشهرتهم في هذا العلم الشريف، بل قد قدَّ الرواية القوية عن ابن عباس على الرواية الضعيفة عنه.

وهو في الأصل ينسب الأقوال إلى قائليها بل يوردها أحياناً بأسانيدها إلى قائليها، قال عند تفسير قول الله تعالى: {**وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ**} [6] قال:

- وقال ابن أبي حاتم[7]: حدثنا أحمد بن سنَان ، حدثنا عبد الرحمن بن مَهْدِيّ، عن إسرائيل، عن سِمَاك، عن عكرمة، عن ابن عباس: (({ **وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ} قال: من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض)) [1].**

([1]) انظر ص 93 من هذه الرسالة.

([2]) سورة مريم آية: (83).

([3]) أي تغريهم إغراءً. انظر الصحاح (6|2395) مادة (شلا) ولسان العرب (14|442) مادة (شلا).

([4]) سورة الزخرف آية: (36).

([5]) تفسير القرآن العظيم 5|262.

([6]) سورة الحج آية: (47).

([7]) مرت ترجمته ؛ والأثر في تفسيره 18|658. بلفظ (مِنَ الأيام الستة التي...).

رواه ابن جرير[2]، عن ابن بَشّار ، عن ابن مهدي . وبه قال مجاهد، وعكرمة، ونص عليه أحمد بن حنبل في كتاب (الردّ على الجهمية)[3].[4]

وقد يخرج عن هذا الأصل (نسبة الأقوال) في النادر كقوله: - عند قصة خروج موسى عليه الصلاة والسلام إلى مصر -:

- قيل: قاصدًا بلاد مصر بعدما طالت الغيبة عنها أكثر من عشر سنين، ومعه زوجته، فأضل الطريق.[5]

وأما تدليله للأقوال فإنه يذكر القول بدليله وقد يستطرد في ذلك إلى حد الإسهاب كما فعل ذلك في تفسيره لصدر سورة الحج[6].

وله عناية في استيعاب الأقوال، والنظر فيها، وترجيح بعضها على بعض، والتنبيه على ثمرة الخلاف وما ينبني عليه كما قد قرر ذلك في مقدمته أحسن تقرير، وقد طبق ذلك – رحمه الله – وسار عليه؛ وذلك واضح لمن تأمل، أو نظر في تفسيره، وأمثلته كثيرة، منها فعل في تفسيره لصدر سورة مريم عند قوله تعالى: **{ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ }** [7] وكذلك كلامه حول قوله تعالى: **{مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ}** [8] وقريب منه - أيضاً - قوله في تفسير سورة الروم:

- { وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } [9] **أي: وإنما أوتوا من أنفسهم حيث كذبوا بآيات الله، واستهزؤوا بها، وما ذاك إلا بسبب ذنوبهم السالفة وتكذيبهم المتقدم؛ ولهذا قال: { ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا**

([1]) رواه ابن أبي حاتم في التفسير 8|2499 برقم: 13985 ولفظه: (من الأيام الستة التي....).

([2]) رواه الطبري في التفسير (18|658).

([3]) الرد على الزنادقة والجهمية ص70 تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، ط: دار الثبات، الطبعة الأولى 1424هـ -2003م.

([4]) تفسير القرآن العظيم 5|440.

([5]) المصدر السابق 5|275.

([6]) المصدر السابق 5|390.

(7) سورة مريم آية:(6) وانظر تفسير القرآن العظيم (5|213).
(8) سورة المؤمنون آية: (67). وانظر تفسير القرآن العظيم (5|482).
(9) سورة الروم آية: (9).

يَسْتَهْزِئُونَ }، كما قال تعالى: { وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } [1]، وقوله: { فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ } [2] وقال: { فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ } [3].

وعلى هذا تكون السوأى منصوبة مفعولاً لأساءوا. وقيل: بل المعنى في ذلك: { ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَى } أي: كانت السوءى عاقبتهم؛ لأنهم كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون. فعلى هذا تكون السوءى منصوبة خبر كان. هذا توجيه ابن جرير، ونقله عن ابن عباس وقتادة. ورواه ابن أبي حاتم عنهما وعن الضحاك ابن مُزاحم، وهو الظاهر، والله أعلم[4].

وقد يخرج عن هذا الأصل فيذكر الأقوال بدون ترجيح كما قال - عند قول الله تعالى:{ **قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا**}[5].

قال – رحمه الله -:

- يقول تعالى مخبرًا عن جواب أبي إبراهيم لولده إبراهيم فيما دعاه إليه أنه قال: { أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ } يعني: إن كنت لا تريد عبادتها ولا ترضاها، فانته عن سبها وشتمها وعيبها، فإنك إن لم تنته عن ذلك اقتصصتُ منك وشتمتك وسببتك، وهو قوله: {لأَرْجُمَنَّكَ}، قاله ابن عباس، والسدي، وابن جريج، والضحاك، وغيرهم.

وقوله: {وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا}: قال مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومحمد بن إسحاق: يعني دهرًا.

وقال الحسن البصري: زمانًا طويلاً. وقال السدي: { وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا} قال: أبدًا.

---

(1) سورة الأنعام آية (110).
(2) سورة الصف آية: (5).
(3) سورة المائدة آية: (49).
(4) تفسير القرآن العظيم (6|306).
([5]) سورة مريم آية: (48).

وقال علي بن أبي طلحة، والعوفي، عن ابن عباس: { وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا } قال: سويًّا سالمًا، قبل أن تصيبك مني عقوبة. وكذا قال الضحاك، وقتادة وعطية الجَدَلي وأبو مالك، وغيرهم، واختاره ابن جرير[1].

وربما ذكر القول المرجَح عنده وأعرض عن البقية ويكتفي بالإشارة إليها.

قال – رحمه الله – في قوله تعالى:

- {قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأولَى} [2] أصح الأقوال في معنى ذلك: أن فرعون لما أخبره موسى بأن ربه الذي أرسله هو الذي خلق ورزق وقدر فهدى، شرع يحتج بالقرون الأولى، أي: الذين لم يعبدوا الله، أي: فما بالهم إذا كان الأمر كما تقول، لم يعبدوا ربك بل عبدوا غيره؟ فقال له موسى في جواب ذلك: هم وإن لم يعبدوه فإن عملهم عند الله مضبوط عليهم، وسيجزيهم بعملهم في كتاب الله، وهو اللوح المحفوظ وكتاب الأعمال.[3]

وقد يكتفي بذكر قول واحد في الآية وهذا نادر كما قال:

- وقوله: { وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا} [4] قيل: معناه زُرْق العيون من شدة ما هم فيه من الأهوال[5].

فقد ذكر ههنا قولاً واحداً مع أن الطبري – رحمه الله – ذكر ههنا قولين فقال: (وقوله **{ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا}** يقول تعالى ذكره: ونسوق أهل الكفر بالله يومئذ إلى موقف القيامة زرقاً، فقيل: عنى بالزرق في هذا الموضع: ما يظهر في أعينهم من شدة العطش الذي يكون بهم عند الحشر لرأي العين من الزرق، وقيل: أريد بذلك

([1]) تفسير القرآن العظيم5|235.

([2]) سورة طه آية: (51).

([3]) تفسير القرآن العظيم 5|298.

([4]) سورة طه آية: (102).

([5]) تفسير القرآن العظيم 5|315.

أنهم يحشرون عمياً، كالذي قال الله: **{ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا }** [1])[2].

وأوضح ذلك الزمخشري[3]- رحمه الله - فقال: قيل : في الزرق قولان، أحدهما : أن الزرقة أبغض شيء من ألوان العيون إلى العرب لأنّ الروم أعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة العدوّ: أسود الكبد[4]، أصهب السبال[5]، أزرق العين.

والثاني: أنّ المراد العمى؛ لأنّ حدقة من يذهب نور بصره تزراقّ.[6]

ومن منهجه – رحمه الله - أيضاً فيما يتعلق بالأقوال أنه يحاول الجمع بينها ما أمكن إما بتقرير عدم المنافاة أو أن مضمونها ونتيجتها واحدة أو المعنى قريب ولذلك أمثلة كثيرة فمن الأول ما ذكره عند قوله تعالى:

([1]) سورة الإسراء آية: (96).

([2]) جامع البيان في تأويل القرآن 18|369.

([3]) العلامة كبير المعتزلة: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي النحوي، صاحب الكشاف والمفصل ت|538. انظر سير أعلام النبلاء (20|150).

(4) أسوَد الكَبِدِ : اى عدو كأن كبده محترقة من شدة العداوة. المستقصى من أمثال العرب 2|395 للزمخشري، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ، 1987م.

([5]) الصَّهَب والصُّهبَة : أن تعلو الشعر حمرة وأصوله سود... وقيل: الأصهبُ من الشعر: الذي تخلط بياضه حمرة..... بتصرف من المحكم والمحيط الأعظم (4|209) مادة (الهاء والصاد والنون): لأبي الحسن ابن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط: دار الكتب العلمية، 2000م. والسبال: سَبَلَةُ الرَّجُل الدائرةُ التي في وسط الشَّفَة العُلْيَا وقيل السَّبَلَةُ ما على الشَّاربِ من الشَّعر، وقيلَ طَرَفُه، وقيل هي تجمع الشاربَين وقيل هو ما على الذَّقن إلى طَرَفِ اللّحية وقيل هو مُقَدَّم اللّحية خاصَّةً وقيلَ هي اللّحية... والجمع سبال...بتصرف من المحكم والمحيط الأعظم (8|507) مادة (السين واللام والباء) والمراد من المثل كما قال ابن سيده: (ويقال للأعداء: صُهْبُ السبال وإن لم يكونوا كذلك ... وإنما يريد أن عداوتهم لنا كعداوة الروم، والروم صُهبُ السبال والشعور، وإلا فهم عرب) بتصرف من المحكم والمحيط الأعظم (4|209).

([6]) الكشاف 4|109، مكتبة العبيكان، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرون الطبعة الأولى 1418هـ - 1998م .

- {وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ } [1] أي: جميعهم {ضُحًى } أي: ضحوة من النهار ليكون أظهر وأجلى وأبين وأوضح، وهكذا شأن الأنبياء، كل أمرهم واضح، بيّن، ليس فيه خفاء ولا ترويج؛ ولهذا لم يقل ليلاً ولكن نهارًا ضحى. قال ابن عباس: وكان يوم الزينة يوم عاشوراء. وقال السدي، وقتادة، وابن زيد: كان يوم عيدهم. وقال سعيد ابن جبير: يوم سوقهم. ولا منافاة.[2]

ومنه أيضاً قوله:

- قوله: قال مجاهد، وسعيد بن جبير، وغيرهما: وأرسلت جواري في زي الغلمان، وغلمان في زي الجواري، وقالت: إن عرف هؤلاء من هؤلاء فهو نبي. قالوا: فأمرهم سليمان عليه السلام، أن يتوضئوا، فجعلت الجارية تُفرغ على يدها من الماء، وجعل الغلام يغترف، فميزهم بذلك.

وقيل: بل جعلت الجارية تغسل باطن يدها قبل ظاهرها، والغلام بالعكس.

وقيل: بل جعلت الجواري يغتسلن من أكفهن إلى مرافقهن، والغلمان من مرافقهم إلى أكفهم. ولا منافاة بين ذلك كله، والله أعلم[3].

ومن الثاني (مضمون الأقوال واحد) تفسيره لقوله تعالى:

- {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ}. قال مجاهد: يعني: الكتاب. وقال أبو صالح: التوراة، وقال قتادة : التوراة، حلالها وحرامها، وما فرق الله بين الحق والباطل. وقال ابن زيد: يعني: النصر.

وجامع القول في ذلك: أن الكتب السماوية تشتمل على التفرقة بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والغي والرشاد، والحلال والحرام، وعلى ما يحصل نورًا في القلوب، وهداية وخوفًا وإنابة وخشية.[4]

ومنه أيضاً قوله:

([1]) سورة طه آية: (59).

([2]) تفسير القرآن العظيم 5|300.

([3]) المصدر السابق 6|190.

([4]) المصدر السابق 5|347.

- ..... وقوله: {فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا } [1] قال: ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد: يعني: سقطت إلى الأرض.

وهو رواية عن ابن عباس، وكذا قال مقاتل بن حيان.

وقال العوفي، عن ابن عباس: {فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا} يعني: نحرت.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: {فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا} يعني: ماتت.

وهذا القول هو مُرَادُ ابن عباس ومجاهد، فإنه لا يجوز الأكل من البَدَنة إذا نُحرت حتى تموت وتَبْرد حركتها[2].

ومن الثالث (معنى الأقوال متقارب) قوله:

- ..... ومنهم من قال في الأثاث: هو المال. ومنهم من قال: المتاع. ومنهم من قال: الثياب، والرئي: المنظر كما قال ابن عباس، ومجاهد وغير واحد. وقال الحسن البصري: يعني الصور، وكذا قال مالك: { أَثَاثًا وَرِئْيًا } [3] : أكثر أموالا وأحسن صورًا. والكل متقارب صحيح[4].

وأحياناً ينتقي القول الذي فيه جمع لكل الأقوال قبله، كما قال - بعد ذكر أقوال متعددة في تفسير قوله تعالى -: **{هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ}** [5]

- ..... وقولُ مجاهد وعطاء: إن المراد بهذه الكافرون والمؤمنون، يشمل الأقوال كلها، وينتظم فيه قصة يوم بدر وغيرها؛ فإن المؤمنين يريدون نصرة دين الله، والكافرون يريدون إطفاء نور الإيمان وخذلانَ الحق وظهور الباطل. وهذا اختيار ابن جرير، وهو حَسَن.[6]

([1]) سورة الحج آية: (36).

([2]) تفسير القرآن العظيم 5|428.

([3]) سورة مريم آية: (74).

([4]) تفسير القرآن العظيم 5|257.

([5]) سورة الحج آية: (19).

([6]) تفسير القرآن العظيم 5|406.

وقد لا يصرف همته إلى التصريح بجمع الأقوال ولعل السبب في ذلك وضوح وجه الجمع بينها.

قال: – رحمه الله – في قوله تعالى:

- {وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ} [1]: قال ابن عباس: موحدين. وقال غيره: مخلصين. وقال سفيان بن عُيَيْنَة: طائعين[2].

فلم يصرح بالتقارب بينها، مع أنها كما يرى الناظر معان متقاربة؛ لعل السبب في ذلك الوضوح في تقارب معانيها لكل أحد.

ومما يتميز به الإمام ابن كثير- رحمه الله - تلك اللفتات التي تدل على ورعه ودقته في التعبير والنقل، قال عند تفسير قوله تعالى:

- {فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ} [3] أي: من أثر فرسه. وهذا هو المشهور عند كثير من المفسرين أو أكثرهم.[4]

المقارنة:

- الإمام الخازن – رحمه الله - في الغالب يصدر الأقوال بصيغة المجهول (قيل) وقد يصرح بالقائل أحياناً ويستثنى من ذلك تصريحه بابن عباس وبعض الصحابة – رضي الله عنهم - وأصحاب الأقوال الفقهية فإنه كثيراً ما ينسب الأقوال إلى قائليها. وهذا بخلاف الإمام ابن كثير – رحمه الله - فإنه يصرح بالقائلين بل قد يذكرها بأسانيدها.
- ليس للخازن – رحمه الله – ترتيب معين في الأقوال، وهذا خلاف ما قام به ابن كثير فإنه رتبها أحسن ترتيب.
- قد يذكر الخازن القول قبل القائل والعكس؛ وهذا يشاركه فيه ابن كثير.

([1]) سورة النمل آية: (31).

([2]) تفسير القرآن العظيم 6|190.

([3]) سورة طه آية: (96).

([4]) تفسير القرآن العظيم 5|313.

- يذكر الخازن غالباً الأقوال بدون تدليل وأحياناً يدلل عليها أو يدلل على واحد منها وهذا عكس ما يفعله ابن كثير فإنه كثيراً ما يدلل للأقوال لاسيما الفقهية.
- الخازن يذكر الأقوال مسرودة سرداً على وجه الإجمال ولربما وجهها؛ وابن كثير يوردها منسوبة وقد يورد القول ثم القائلين به ويجمعها في قول واحد إن أمكن وقد ينقد ما احتاج منها إلى نقد.

المطلب الثاني الترجيح:

- **قد مر أن الخازن – رحمه الله - يسرد الأقوال بدون نسبة ولا تدليل هذا هو** الأصل إلا ما خرج عن ذلك. وكذلك الحال بالنسبة للترجيح بين الأقوال؛ فإن من طريقته – رحمه الله - أن يذكر الأقوال ولا يرجح بينها في الغالب، ومع ذلك فقد رجَّح في مواطن كثيرة جداً.

فمن أمثلة ذكره للأقوال وعدم الترجيح بينها ما ذكره عند قوله تعالى:

- (فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا)[1] قال ابن عباس: أقصى الوادي، وهو بيت لحم فراراً من أهلها وقومها أن يعيروها بولادتها من غير زوج . قال ابن عباس: كان الحمل والولادة في ساعة واحدة وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها، وقيل كانت مدته تسعة أشهر كحمل سائر الحوامل من النساء، وقيل كانت مدة حملها ثمانية أشهر، وذلك آية أخرى له لأنه لا يعيش من ولد لثمانية أشهر وولد عيسى لهذه المدة وعاش، وقيل ولد لستة أشهر وهي بنت عشر سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل ستة عشر سنة وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى، وقال وهب: إن مريم لما حملت بعيسى كان معها ابن عم لها يقال له يوسف النجار، وكانا منطلقين إلى المسجد الذي يمنة جبل صهيون، وكانا يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم من أهل زمانها أحد أشد عبادة واجتهاداً منها وأول من علم بحمل مريم يوسف، فبقي متحيراً في أمرها كلما أراد أن يتهمها ذكر عبادتها وصلاحها وأنها لم تغب عنه، وإذا أراد أن يبرئها رأى ما ظهر منها من الحمل فأول ما تكلم به أن قال إنه وقع في نفسي من أمرك شيء وقد حرصت على كتمانه فغلبني ذلك فرأيت أن أتكلم به أشفي صدري، فقالت: قل قولاً جميلاً، قال أخبريني يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر وهل ينبت شجر بغير غيث وهل يكون ولد من غير ذكر؟ قالت نعم ألم تعلم أن الله أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر ألم تر أن الله أنبت الشجر بالقدرة من غير غيث أو تقول إن الله تعالى لا يقدر على أن ينبت الشجر حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على إنباتها قال

([1]) سورة مريم آية: (22).

يوسف: لا أقول هذا ولكن أقول إن الله تعالى يقدر على كل شيء يقول له كن فيكون، قالت له مريم: ألم تعلم أن الله خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى. فعند ذلك زال ما عنده من التهمة وكان ينوب عنها في خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل . فلما دنت ولادتها أوحى الله إليها أن اخرجي من أرض قومك فذلك قوله تعالى: فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا[1] [2].

وقد يخرج عن هذا الأصل لترى أمام ناظريك إماماً محققاً، مدققاً للمسائل والدلائل معاً؛ ثم إن المتأمل في ترجيحاته يجد أنه يعطي عقله مساحة بينة من النقاش والتدليل للقول الذي يراه حقاً فتراه يرجح أحياناً تبعاً لتأمله في السياق وأحيانا لوجود النص في المسألة وأحياناً بالنظر والتعليل وقد يرجح بدون ذكر أي دليل؛ وقد رجح – رحمه الله - في مواضع كثيرة من الكتاب تتبعتها لكنها لا تبلغ ما تركه دون ترجيح، وهذه أمثلة ونماذج على ترجيحاته:

1- الترجيح لمقتضى السياق القرآني قال – ر حمه الله – في قوله عزّ وجلّ:

- { الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ } [3] أي نصرناهم على عدوهم حتى تمكنوا من البلاد { أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ } هذا وصف أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - وقيل: هم جميع هذه الأمة وقيل هم المهاجرون وهو الأصح لأنه قوله { الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ } صفة لمن تقدم ذكرهم وهو قوله: { الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ } وهم المهاجرون[4].

2- الترجيح بنص شرعي خارج عن السياق قال - رحمه الله –في قوله عزَّ وجلَّ:

- { وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا } [5] قيل هي الرفعة بعلو المرتبة في الدنيا، وقيل إنه رفع إلى السماء وهو الأصح يدل عليه ما روى أنس بن مالك بن صعصعة عن النبيّ -

---

[1] سورة مريم آية: (22).

[2] لباب التأويل 3|218.

[3] سورة الحج آية: (41).

[4] لباب التأويل 3|291.

[5] سورة مريم آية: (57).

صلى الله عليه وسلم – ((أنه رأى إدريس في السماء الرابعة ليلة المعراج)) [1] متفق عليه [2].

3- الترجيح بالنظر الصحيح والتعليل، قال:

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم – ((دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول:

خلو بني الكفار عن سبيلـــه اليوم نضربكم على تنزيله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله[3] ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر يا ابن رواحة بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي حرم الله تقول الشعر ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم – ((خل عنه يا عمر فلهي أسرع فيهم من نضح النبل)) أخرجه الترمذي[4] والنسائي[5].

وقال الترمذي: وقد روي في غير هذا الحديث أن النبيّ - صلى الله عليه وسلم - دخل مكة في عمرة القضاء وكعب بن مالك بين يديه، وهذا أصح عند بعض أهل الحديث لأن عبدالله بن رواحة قتل يوم مؤتة، وكانت عمرة القضاء بعد ذلك[6] قلت: الصحيح، هو الأول لأن عمرة القضاء كانت سنة سبع ويوم مؤتة سنة ثمان والله أعلم [7].

([1]) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة برقم: 3035. ومسلم في كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى السموات وفرض الصلوات. برقم: 434.

([2]) لباب التأويل 3|224.

([3]) الهامة: الرأس، والجمع هام.الصحاح (5|2063) مادة (هيم). ومقيل الرأس: موضعه الصحاح (30|308) مادة (قيل).

([4]) رواه الترمذي في كتاب الأدب باب ما جاء في إنشاد الشعر برقم: 2847.

([5]) رواه النسائي في كتاب مناسك الحج باب إنشاد الشعر في الحرم والمشي بين يدي الإمام برقم: 2873.

([6]) ذكره الترمذي في سننه كتاب الأدب باب ما جاء في إنشاد الشعر، ذكر ذلك بعد الحديث السابق.

([7]) لباب التأويل 3|373.

4- الترجيح بدون دليل يذكره، قال تحت قوله تعالى:

- {قَرْنَاً آخَرِينَ} [1] يعني عاداً {فأرسلنا فيهم رسولاً منهم} يعني هوداً قاله أكثر المفسرين وقيل القرن ثمود والرسول صالح والأول أصح [2].

وقد يتوسع في الأقوال وقائليها ويرجح ويدلل على ذلك مع ذكر ما يترتب على ذلك، كما قال عند قوله تعالى: {**سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ** }[3]:

- واختلفوا في معنى الآية فقيل: سواء العاكف فيه والبادي في تعظيم حرمته وقضاء النسك به.

وإليه ذهب مجاهد والحسن وجماعة قالوا: والمراد منه نفس المسجد الحرام ومعنى التسوية في تعظيم الكعبة وفي فضل الصلاة فيه والطواف به.

وعن جبير بن مطعم أنّ النبيّ - صلى الله عليه وسلم - قال: ((يا بني عبد مناف لا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت وصلّى أية ساعة شاء من ليل أو نهار)) أخرجه الترمذي[4] وأبو داوود[5] والنسائي[6].

وقيل: المراد منه جميع الحرم ومعنى التسوية أنّ المقيم والبادي سواء في النزول به ليس أحدهما أحق بالمنزل من الآخر غير أنه لا يزعج أحد أحداً إذ كان قد سبق إلى منزلة وقول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد قالوا: هما سواء في البيوت والمنازل قال عبد الرحمن بن سابط: كان الحجاج إذا قدموا مكة لم يكن أحد من أهل مكة بأحق منهم وكان عمر بن الخطاب ينهى الناس أن يغلقوا أبوابهم في الموسم. فعلى هذا القول لا يجوز بيع دور مكة وإجارتها قالوا: إنّ أرض مكة لا

([1]) سورة المؤمنون آية: (31).

([2]) لباب التأويل3|304.

(3) سورة الحج آية: (25).

([4]) كتاب الصوم باب ما جاء في الصلاة بعد العصر وبعد الصبح لمن يطوف برقم: 868.

([5]) كتاب المناسك باب الطواف بعد العصر برقم: 1896.

([6]) كتاب المواقيت باب إباحة الصلاة في الساعات كلها بمكة برقم:585.

تملك لأنها لو ملكت لم يستو العاكف فيها والبادي فلما استويا ثبت أن سبيلها سبيل المساجد وإليه ذهب أبو حنيفة.

قالوا: والمراد بالمسجد الحرام جميع الحرم وعلى القول الأول الأقرب إلى الصواب أنه يجوز بيع دور مكة وإجارتها وهو قول طاوس وعمرو بن دينار.

وإليه ذهب الشافعي احتج الشافعي في ذلك بقوله تعالى: { الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ } [1] أضاف الديار إلى مالكيها وقال النبيّ - صلى الله عليه وسلم - يوم فتح مكة: ((من أغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن)) [2] فنسب الديار إليهم نسبة ملك واشترى عمر بن الخطاب دار السجن بأربعة آلاف درهم فدلت هذه النصوص على جواز بيعها وقوله تعالى[3].

كما أنه يضفي تحقيقات قيمة تدل على تمسكه بالوحيين واعتماده عليهما ولذلك قال بعد نقله كلاماً لأهل الهيئة:

- ....والحق أنه لا سبيل إلى معرفة صفة السموات إلا بأخبار الصادق. فسبحان الخالق المدبر لخلقه بالحكمة والقدرة الباهرة غير المتناهية[4].

- **وأما الإمام الثاني الحافظ ابن كثير – رحمه الله – فكما أنه كان شديد العناية** بالأقوال والتدليل عليها كان كذلك له اهتمام باختيار الأقوال وترجيحها. فإنه يقوم بترجيح ما يراه راجحاً ويؤيده بالأدلة؛ وله عناية خاصة بترجيحات ابن جرير واختياراته فتارة يؤيدها ويستحسنها وأخرى يخالفها ويعتمد غيرها.

([1]) سورة الحج آية: (40).

([2]) رواه أحمد في المسند 13|299 برقم: 7922. ورواه النسائي في السنن الكبرى كتاب التفسير باب (قوله تعالى جاء الحق وزهق الباطل) برقم: 11298 وابن حبان في صحيحه كتاب السير باب الخروج وكيفية الجهاد برقم: 4760.

([3]) لباب التأويل 3|286.

([4]) لباب التأويل 3|259.

فمن الأول (تأييده لابن جرير) قوله – عند تفسير قول الله تعالى: **{ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ }**[1] قال:

- وقولُ مجاهد وعطاء: إن المراد بهذه الكافرون والمؤمنون، يشمل الأقوال كلها، وينتظم فيه قصة يوم بدر وغيرها؛ فإن المؤمنين يريدون نصرة دين الله، والكافرون يريدون إطفاء نور الإيمان وخذلانَ الحق وظهور الباطل. وهذا اختيار ابن جرير، وهو حَسَن؛ ولهذا قال: { فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ} أي: فصلت لهم مقطعات من نار.[2]

ومن الثاني (مخالفته لابن جرير) قوله – عند تفسير قول الله تعالى: **{ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ }** [3] قال:

- واختار ابن جرير أن المراد: لبئس ابن العم والصاحب من يعبد الله على حرف {فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ} [4]**.**

وقول مجاهد: إن المراد به الوثن، أولى وأقرب إلى سياق الكلام، والله أعلم.[5]

وقد سار في الترجيح على نهج واضح يرجح أحياناً بالقرآن نفسه على فهم المراد، وأحياناً بالنظر إلى سياق القرآن، وأحياناً بدليل السنة، وأحياناً بالنظر الصحيح، وقد يرجح بدون ذكر دليل لما يقول؛ وهذه أمثلة على ذلك مرتبة:

1- فمن الترجيح بدليل القرآن قوله:

- ثم قال واعظًا لهم: { أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا} [6] **اختلف المفسرون في معناه، وقد أسلفناه في سورة الرعد، وأحسن ما فسر بقوله تعالى:**

---

(1) سورة الحج آية: (19).
(2) تفسير القرآن العظيم 5|388.
(3) سورة الحج آية: (13).
(4) سورة الحج آية: (11).
(5) تفسير القرآن العظيم 5|401.
(6) سورة الأنبياء آية: (44).

{وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }[1][2].

2- ومن الترجيح بالسياق قوله:

- وأما ذو الكفل فالظاهر من السياق أنه ما قرن مع الأنبياء إلا وهو نبي. وقال آخرون: إنما كان رجلا صالحًا، وكان ملكًا عادلا وحكمًا مقسطًا، وتوقف ابن جرير في ذلك، فالله أعلم.[3]

3- ومن الترجيح بالسنة ما قال تحت قوله تعالى:

- {فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا} [4] يعني: ماتت. وهذا القول هو مُرَادُ ابن عباس ومجاهد، فإنه لا يجوز الأكل من البَدَنة إذا نُحرت حتى تموت وتَبْرد حركتها. وقد جاء في حديث مرفوع: ((ولا تُعجِلُوا النفوسَ أن تَزْهَق)) [5] وقد رواه الثوري في جامعه[6]، عن أيوب، عن يحيى ابن أبي كثير، عن فرافصَة الحنفي، عن عمر بن الخطاب؛ أنه قال ذلك ويؤيده حديث شَدّاد بن أوس في صحيح مسلم: ((إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ولْيُحدَّ

([1]) سورة الأحقاف آية: (27).

([2]) تفسير القرآن العظيم 5|345.

([3]) المصدر السابق 5|363.

([4]) سورة الحج آية: (36).

([5]) رواه الدارقطني بلفظ: (....الأنفس...) في السنن كتاب الأشربة وغيرها، باب الصيد والذبائح والأطعمة وغير ذلك برقم: 45. وفي إسناده سعيد بن سلام العطار، قال ابن عبد الهادي – رحمه الله -: (وسعيد بن سلام العطَّار: أجمع الأئمة على ترك الاحتجاج بحديثه، وكذَّبه ابن نمير، وقال البخاريُّ: يذكر بوضع الحديث وقال الدَّارَقُطْنِيُّ: متروكٌ، يحدِّث بالبواطيل) انظر "تنقيح التحقيق" 4|640 ، تحقيق: سامي بن محمد بن جاد الله وعبد العزيز بن ناصر الخباني، دار النشر: أضواء السلف، الرياض، الطبعة: الأولى ، 1428هـ - 2007 م. ورواه البيهقي في السنن الكبرى موقوفاً على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كتاب الضحايا باب الذكاة في المقدور عليه برقم: 19598، وقال بعده: وقد روي هذا من وجه ضعيف مرفوعا وليس بشيء.

([6]) كتاب الجامع لسفيان الثوري ضمن المفقود وثَمَّ رسالة بعنوان (جامع سفيان الثوري منزلته ...معالمه ...رواياته) لرياض الطائي. رسالة مقدمة في كلية أصول الدين، جامعة العلوم الإسلامية العالمية ـ عمّان. تناول فيها الباحث بعض متعلقاته.

أحدكم شَفْرَته، ولْيُرِحْ ذَبيحته)) [1] وعن أبي واقد الليثي قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((ما قُطع من البهيمة وهي حية، فهو ميتة)) .

رواه أحمد[2]، وأبو داوود[3]، والترمذي[4] وصححه.[5]

4- ومن الترجيح بالنظر والتأمل قوله:

- قال قتادة: أدركت القوم حيرة سوء فقالوا: { لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنْطِقُونَ} [6].

وقال السدي: { ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ} أي: في الفتنة. وقال ابن زيد: أي في الرأي.

وقول قتادة أظهر في المعنى؛ لأنهم إنما فعلوا ذلك حيرة وعجزًا؛ ولهذا قالوا له: { لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنْطِقُونَ}.[7]

5- ومن الترجيح بدون ذكر دليل قوله:

- قلت: هذا هو الأظهر أن إدريس في عمود نسب نوح، عليهما السلام. وقد قيل: إنه من أنبياء بني إسرائيل، أخذًا من حديث الإسراء، حيث قال في سلامه على النبي - صلى الله عليه وسلم -: (مرحباً بالنبي الصالح، والأخ الصالح)[8]، ولم يقل: (والولد الصالح)، كما قال آدم وإبراهيم عليهما السلام.[9]

وأوضح منه قوله في قوله تعالى:

([1]) رواه مسلم في كتاب الصيد والذبائح باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة برقم: 5167.

([2]) المسند 36|233 برقم: 21903- 21904.

([3]) كتاب الصيد باب في صيد قطع منه قطعة برقم: 2860.

([4]) كتاب الأطعمة باب ما قطع من الحي فهو ميت برقم:1480

([5]) تفسير القرآن العظيم 5|428.

([6]) سورة الأنبياء آية: (65).

([7]) تفسير القرآن العظيم 5|350.

([8]) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة برقم: 3035. ومسلم في كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى السموات وفرض الصلوات. برقم: 434.

([9]) تفسير القرآن العظيم 5|242.

- { قالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأولَى } [1] أصح الأقوال في معنى ذلك: أن فرعون لما أخبره موسى بأن ربه الذي أرسله هو الذي خلق ورزق وقدر فهدى، شرع يحتج بالقرون الأولى....[2]. فقد صحح هذا القول ولم يذكر له دليلاً ولا حجة.

ومما يميز هذا الإمام تأمله في الأقوال فيرد ما خالف منها ويبين نكارة ما فيها مؤيداً ذلك بالأدلة، كما أنه ينقد أقوال من قبله نقد بصير عارف لمداخلها ونتائجها:

فمن إنكاره لبعض الأقوال قوله:

- ومَنْ زعم أن المراد من هذا الفتح (يريد قوله تعالى: **{قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ} [3]**) **فتحُ مكة فقد أبعد النَّجْعة[4]، وأخطأ فأفحش، فإن يوم الفتح قد قبل رسولُ الله صلى الله - عليه وسلم - إسلام الطلقاء[5]، وقد كانوا قريبًا من ألفين، ولو كان المراد فتح مكة لما قبل إسلامهم؛ لقوله: {قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ} [6]، وإنما المراد الفتح الذي هو القضاء والفصل، كقوله تعالى: { فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ }.[7]**

ومن نقده لمن قبله: ما قاله عند قول الله تعالى:

([1]) تفسير القرآن العظيم 5|298.

([2]) سورة طه آية: (51).

([3]) سورة السجدة آية: (30).

([4]) النُّجْعةُ عند العرب المَذْهَبُ في طلَبِ الكلإِ في موضعه. لسان العرب (8|347) مادة (نجع). والمراد أبعد عن إصابة الحقيقة.

([5]) قصة عفوه - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - عن الطلقاء في فتح مكة رواها الكثير من العلماء، منهم البيهقي في السنن الكبرى كتاب السير باب فَتح مَكَّة حرسها اللَّهُ تعالى برقم: (18739).

([6]) سورة السجدة آية: (29).

([7]) تفسير القرآن العظيم 6|374.

- {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} [1] - قال: وقد روى ابن جرير أثرًا أن هذه الآية نزلت في هجرة عبد الرحمن بن عوف[2]. وهو خطأ، فإن هذه السورة بتمامها مكية لم ينزل منها شيء بعد الهجرة، ولم يصح سند ذلك، والله أعلم.[3]

وقد يشتد في نكيره على القول المخالف كما قال:

- وأغرب من هذا كله ما رواه ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين الهِسِنْجَاني حدثنا ابن أبي مريم، حدثنا المفضل بن فضَالة، حدثنا أبو صخر، عن القُرَظي في قول الله عز وجل: { يَا أُخْتَ هَارُونَ } [4] قال: هي أخت هارون لأبيه وأمه، وهي أخت موسى أخي هارون التي قصَّت أثر موسى، { فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ }[5]. وهذا القول خطأ محض[6]؛ فإن الله تعالى قد ذكر في كتابه أنه قفَّا

([1]) سورة الشعراء آية: (118).

([2]) رواه ابن جرير في التفسير 18|263.

([3]) تفسير القرآن العظيم 5|269.

([4]) سورة مريم آية: (28).

([5]) سورة القصص آية: (11).

(6) إنما اشتد نكير الإمام ههنا لشذوذ هذا القول، وبعده الشديد عن ظواهر النصوص، وكذلك لبعد المدة بين موسى وعيسى - عليهما الصلاة والسلام – ولذلك قال - بعد هذه المقطوعة المنتزعة لأجل المثال -: .....ولهذا ثبت في الصحيح عند البخاري (كتاب الأنبياء باب { واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها } برقم: 3258)، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي - صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((أنا أولى الناس بابن مريم؛ إلا أنه ليس بيني وبينه نبي)) ولو كان الأمر كما زعم محمد بن كعب القرظي، لم يكن متأخرًا عن الرسل سوى محمد. ولكان قبل سليمان وداوود؛ فإن الله قد ذكر أن داود بعد موسى، - عليهما السلام - في قوله تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسِيتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَالَنَا أَلا نُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [البقرة : 246] فذكر القصة إلى أن قال: { وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ } الآية [البقرة : 251]، والذي جرأ القرظي على هذه المقالة ما في التوراة بعد خروج موسى وبني إسرائيل من البحر، وإغراق فرعون وقومه، قال: وكانت مريم بنت عمران أخت موسى وهارون النبيين، تضرب بالدف هي والنساء معها يسبحن الله ويشكرنه على ما أنعم به على بني إسرائيل، فاعتقد القرظي أن هذه هي أم عيسى. وهي هفوة وغلطة شديدة، بل هي باسم هذه، وقد كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم وصالحيهم، كما قال الإمام أحمد (المسند 30|141 برقم:18201): حدثنا عبد الله بن إدريس، سمعت أبي يذكره عن سِمَاك، عن علقمة بن وائل، عن المغيرة بن شعبة قال: بعثني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى نجران، فقالوا: أرأيت ما تقرءون: { يَا أُخْتَ هَارُونَ } ، وموسى قبل عيسى بكذا=

بعيسى بعد الرسل، فدل على أنه آخر الأنبياء بعثاً وليس بعده إلا محمد صلوات الله وسلامه عليه[1].

ومن منهجه – رحمه الله – في الترجيح والاختيار أنه يختار القول الذي يجمع الأقوال كلها وينتظمها كما قال بعد ذكره لأقوال متعددة:

- ..... وقولُ مجاهد وعطاء: إن المراد بهذه الكافرون والمؤمنون، يشمل الأقوال كلها، وينتظم فيه قصة يوم بدر وغيرها[2].

ومما يلاحظ أن ابن كثير يجزم أحياناً في المسائل جزماً يوحي بعدم وجود أدنى تردد كما قال في قوله تعالى:

- {عَسَى ألا أكُونَ بدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا} [3] و (عسى) هذه موجبة لا محالة، فإنه عليه السلام، سيد الأنبياء بعد محمد صلى الله عليه سلم.[4]

المقارنة:

- رجح الخازن – رحمه الله - في كثير من المسائل بأسلوب سهل ومختصر وبعبارة مختصرة وعابرة؛ وأما ابن كثير فإن ترجيحاته تتردد بين التطويل والاختصار وهو كثير الترجيح بين الأقوال على العكس من الخازن فإنه مقل.
- اتبع الخازن – رحمه الله- كثيراً من الوسائل في الترجيح فقد رجح بالسياق، والسنة، والتأمل، والنظر، وقد يرجح بدون ذكر دليل؛ وكذلك الحال بالنسبة لابن كثير.

=وكذا؟ قال: فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: ((ألا أخبرتهم أنهم كانوا يَتَسَمّون بالأنبياء والصالحين قبلهم؟))....انظر تفسير القرآن العظيم 5|228.
فهارون المذكور في الآية ليس بهارون النبي وإنما هو رجل صالح كان في قوم مريم وافق اسمه اسم النبي عليه السلام أو أنهم نسبوها إلى هارون النبي عليه السلام لكونها من نسله كما يقال يا أخا تميم للتميمي ويا أخا مضر للمضري. ملخص من تفسير القرآن العظيم 5|227.

([1]) تفسير القرآن العظيم 5|227.

([2]) المصدر السابق 5|406.

([3]) سورة مريم آية: (48).

([4]) تفسير القرآن العظيم 5|236.

- قد يتوسع الخازن في ذكر أدلة الترجيح وهذا نادر، وهكذا كان ابن كثير مع فارق الطول الذي يطيله ابن كثير.
- لا يتعرض الخازن لنقد الأقوال في الغالب، أما ابن كثير فإنه يتعرض للقول المخالف للصواب بالنقد وقد يشتد على الأقوال المنكرة.

المبحث الرابع: المقارنة بين منهجيهما في الاستنباط من النصوص وحسن التدبر

مما لا يختلف فيه اثنان أن هذا الجانب هو من أعظم الجوانب الذي ينبغي للمفسر أن يتيح لفكره النظر فيها والتأمل من خلالها إذ أن من أعظم الأهداف السامية التي أنزل القرآن من أجلها التدبر، وحسن التفكر في هذا الكتاب الكريم، واستنباط الفوائد منه والفرائد، واستفاد العظات منه والعبر؛ وقد حث الله على ذلك في غير ما آية من كتابه العزيز كما قال سبحانه:

{كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [1].

ومن هنا جاء اعتناء الإمامين بتدبر كتاب الله تعالى في تفسيريهما واستنباط الفوائد والفرائد منه، وقد قرر الخازن – رحمه الله - في مقدمته أنه ينبغي لكل مؤلِف قد سُبق في فن أن لا يخلو كتابه من خمس فوائد، ومن ذلك استنباط شيء كان معضلاً.... [2].

هذا في شأن مؤلفات البشر فكيف بالاستنباط من الكلام الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وقال ابن كثير - رحمه الله - في مقدمته للتفسير: (فعلينا - أيها المسلمون - أن ننتهي عما ذمَّهم الله تعالى به، وأن نأتمر بما أمرنا به، من تَعَلُّم كتاب الله المنزل إلينا وتعليمه، وتفهُّمه وتفهيمه)[3].

وقد قال الخازن أيضاً عند قوله تعالى: **{ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ }** [4] (أي ليتدبروا ويتفكروا في أسراره العجيبة ومعانيه اللطيفة)[5].

([1]) سورة (ص) آية: (29).

([2]) انظر لباب التأويل المقدمة ص3 دار الكتب العربية الكبرى.

([3]) تفسير القرآن العظيم المقدمة (1|6).

([4]) سورة (ص) آية: (29).

([5]) لباب التأويل (4| 41) دار الكتب العربية الكبرى

- **هذا وقد جاء تدبر الإمام الخازن على منحيين:**

المنحى الأول: أن يستنبط أو يستخرج فائدة من الآية مباشرة وهذا قليل جداً بالنسبة للذي بعده.

المنحى الثاني: أن يقدم بسؤال عن حكمة موجودة في الآية أو يذكر ذلك بدون سؤال على هيئة تعليل وهذا كثير جداً.

هذا وقد تنوعت طريقته في المنحى الأول، فتارة يختصر جداً، وتارة يطيل بما يَظنُّ أنه قد أوصل الفكرة، وبلغ المقصود.

أما المثال على الأول فقوله عند الآية الكريمة:

- { عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا } [1] أي أرجو أن لا أشقى بدعاء ربي وعبادته كما تشقون أنتم بعبادة الأصنام، ففيه التواضع له مع التعريض بشقاوتهم [2].

وأيضاً قوله - عند تفسير قوله تعالى:**{ وكنا لحكمهم شاهدين }**[3] قال:

- ..... وفيه دليل لمن يقول بأن أقل الجمع اثنان لقوله: { وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ } والمراد به داوود وسليمان[4].

وأما المثال على الثاني فقد قال - عند تفسير قوله تعالى: **{ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ.... }**[5] -:

- وفي الآية أدلة على فضل أبي بكر الصديق لأن الفضل المذكور في الآية ذكره تعالى في معرض المدح وذكره بلفظ الجمع في قوله { أُولُو الْفَضْلِ } وقوله { أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ } وهذا يدل على علو شأنه ومرتبته منها أنه احتمل الأذى من ذوي القربى ورجع عليه بما كان ينفقه عليه وهذا من أشد الجهاد لأنه جهاد النفس ومنها أنه تعالى قال في حق رسول الله - صلى الله عليه وسلم – { فَاعْفُ

([1]) سورة مريم آية: (48).

([2]) لباب التاويل 3|223.

([3]) سورة الأنبياء آية: (78).

([4]) لباب التأويل 3|266.

([5]) سورة النور آية: (22).

عَنْهُمْ وَاصْفَحْ } [1] وقال في حق أبي بكر: { وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا } [2] فدل أن أبا بكر كان ثاني اثنين لرسول الله - صلى الله عليه سلم - في جميع الأخلاق.

وفي الآية دليل على أن من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليأت الذي هو خير ويكفّر عن يمينه ومنه الحديث الصحيح ((من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه)) [3][4].

وقال أيضاً - عند تفسير قوله تعالى: **{ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم }**[5] - :

- الحكمة في اختلاف الأشكال والأصوات للتعارف أي ليعرف كل واحد بشكله وحليته[6] وصوته وصورته فلو اتفقت الأصوات والصور وتشاكلت وكانت ضرباً واحداً لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وليعرف صاحب الخلق من غيره والعدو من الصديق والقريب من البعيد فسبحان من خلق الخلق على ما أراد وكيف أراد. وفي ذلك دليل على سعة القدرة وكمال العظمة [7].

وقد سار في المنحى الثاني كسيره في الأول من جهة الاختصار والإطالة على أنه قد ينقل التعليل أو إظهار الحكمة في التعبير عن غيره فمثال الاختصار قوله في قوله تعالى:

- { وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى } [8] سؤال تقرير والحكمة فيه تنبيه على أنها عصا

([1]) سورة المائدة آية: (13).

([2]) سورة النور آية: (22).

([3]) رواه مسلم في كتاب الأيمان باب ندب من حلف يمينا فرأى غيرها خيرا منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه برقم: 4362.

([4]) لباب التأويل 3|323.

(5) سورة الروم آية : (22).

(6) حلية الرجل: صفته. انظر الصحاح 6|2318 مادة (حلا).

([7]) لباب التأويل 3|431.

([8]) سورة طه آية: (17).

حتى إذا قلبها حية علم أنها معجزة عظيمة [1].

وأيضاً قوله في معنى:

- {طفلاً} [2] أي صغاراً وإنّما وحد الطفل لأن الغرض الدلالة على الجنس[3].

ومن التطويل قوله عند قوله تعالى:

- { وَكُذِّبَ مُوسَى } [4] فإن قلت لم قال وكُذب ولم يقل وقوم موسى؟.

قلت: فيه وجهان أحدهما: أن موسى لم يكذبه قومه وهم بنو إسرائيل وإنما كذبه غير قومه وهم القبط[5].

الثاني: كأنه قيل بعد ما ذكرت تكذيب كل قوم رسولهم قال وكذب موسى أيضاً مع وضوح آياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره[6].

وأيضاً قوله:

- واعلم أنه خص هذه الأوقات بالتسبيح؛ لأن أفضل الأعمال أدومها والإنسان لا يقدر أن يصرف جميع أوقاته إلى التسبيح لأنه محتاج إلى ما يعيشه من مأكول ومشروب وغير ذلك فخفف الله عنه العبادة في غالب الأوقات وأمره بها في أول النهار وفي أول الليل وآخره فإذا صلى العبد ركعتي الفجر فكأنما سبح قدر ساعتين وكذلك باقي الركعات وهي سبع عشرة ركعة مع ركعتي الفجر فإذا صلى الإنسان الصلوات الخمس في أوقاتها فكأنما سبح الله سبع عشرة ساعة من الليل والنهار

([1]) لباب التأويل 3|236.

([2]) سورة الحج آية: (5).

([3]) لباب التأويل 3|281.

([4]) سورة الحج آية: (44).

(5) القبط: طائفة بمصر قديمة، ويقال بنو قبطي بن مصر، ويقال القبط بن قوط بن حام. انظر الأنساب 4|444 لأبي سعد عبد الكريم السمعاني، تحقيق: عبد اللع عمر البارودي، دار الجنان ، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى:1408هـ - 1988م.

([6]) لباب التأويل 3|292.

بقي عليه سبع ساعات في جميع الليل والنهار وهي مقدار النوم والنائم مرفوع عنه القلم فيكون قد صرف جميع أوقاته في التسبيح والعبادة [1].

ومن النقل عن غيره قوله:

- قيل خص الرجال بالذكر في هذه المساجد، لأن النساء ليس عليهن حضور المساجد لجمعة ولا جماعة [2].

هذه مجرد أمثلة كالعنوان لما أودعه – رحمه الله – في كتابه من التدبر وحسن الاستنباط.

*** وأما الإمام ابن كثير – رحمه الله - فقد كان مع معاصره الخازن في هذا الباب** كفرسي رهان وإن اختلف أسلوبهما من جهة موطن التدبر طولاً واحتصاراً؛ فابن كثير – رحمه الله - يطيل نَفَس التدبر فيما يتعلق بمعاني الآيات المتعلقة بالخلق كما قال في قوله تعالى:

- يذكر تعالى نعمه على عبيده التي لا تعدّ ولا تحصى، في إنزاله القَطْر من السماء { بقَدَرٍ} [3] أي: بحسب الحاجة، لا كثيرًا فيفسد الأرض والعمران، ولا قليلاً فلا يكفي الزروع والثمار، بل بقدر الحاجة إليه من السقي والشرب والانتفاع به، حتى إن الأراضي التي تحتاج ماءً كثيرًا لزرعها ولا تحتمل دِمْنتها إنزال المطر عليها، يسوق إليها الماء من بلاد أخرى، كما في أرض مصر، ويقال لها: الأرض الجرُز، يسوق الله إليها ماء النيل معه طين أحمر يجترفه من بلاد الحبشة في زمان أمطارها، فيأتي الماء يحمل طينًا أحمر، فيسقي أرض مصر، ويقر الطين على أرضهم ليزدرعوا فيه، لأن أرضهم سباخ يغلب عليها الرمال، فسبحان اللطيف الخبير الرحيم الغفور [4].

([1]) لباب التأويل 3|430.

([2]) المصدر السابق 3|333.

([3]) سورة المؤمنون آية: (18).

([4]) تفسير القرآن العظيم 5|470.

حتى إنه عند تدبره لآية وقف عندها الخازن متدبراً تجده أكثر تفصيلاً من الخازن وذلك جلي عند قوله سبحانه:

- **{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}** [1]

قال – رحمه الله -: **فصل**[2]**: فانظر إلى هذه الآيات وما تضمنته من العبرة والدلالة على ربوبية الله وحكمته، كيف جعل الليل سكناً ولباساً؟ يغشى العالم، فتسكن فيه الحركات، وتأوي الحيوانات إلى بيوتها، والطير إلى أوكارها، وتستجم فيه النفوس، وتستريح من كد السعي والتعب، حتى إذا أخذت منه النفوس راحتها وثباتها، وتطلعت إلى معايشها وتصرفها. جاء فالق الإصباح سبحانه بالنهار، فقدم حيثه**[3] **بشير الصباح، فهزم تلك الظلمة ومزقها كل ممزق، وأزالها وكشفها عن العالم، فإذا هم مبصرون، فانتشر الحيوان، وتصرف في معايشه ومصالحه، وخرجت الطيور من أوكارها، فيا له من ميعاد ونشأة دال على قدرة الله سبحانه على المعاد الأكبر، وتكرره ومشاهدة النفوس له بحيث صار عادة ومألفاً، منعها من الاعتبار والاستدلال به على النشأة الثانية، وإحياء الخلق بعد موتهم، كما وردت السنة بذلك، أنه يستجاب للعبد إذا قام من نومه يقول: ((الحمد لله الذي أحيانا بعد موتنا وإليه النشور))** [4] [5]. ويقول أيضاً في تفسير قوله تعالى:

([1]) سورة القصص آية: (72).

(2) هذا الفصل برمته موجود في نسختي: (الحرم المكي و مكتبة ولي الدين جار الله بتركيا) وهما من النسخ التي اعتنى بهما الباحث: سامي سلامة، ط: دار طيبة.

(3) كذا في المطبوع ولعل المراد (حثيثه) أي: الاستعجال. انظر لسان العرب 2|129.

([4]) رواه البخاري في كتاب الدعوات باب ما يقول إذا نام برقم: 5953 ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع برقم: 7062 كلاهما بلفظ: (الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور).

([5]) تفسير القرآن العظيم 6|252.

- { وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ } [1] يعني: اللغات، فهؤلاء بلغة العرب، وهؤلاء تَتَرٌ[2] لهم

([1]) سورة الروم آية: (22).

(2) قال ابن الأثير – رحمه الله - في شأن هذه الأمة من الناس – والتي في قوله كل سلوة عما تأن تحت وطأته الأمة اليوم ، كان الله لها -: (لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها، كارهاً لذكرها، فأنا أقدم إليه رجلاً وأؤخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين، ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فيا ليت أمي لم تلدني، ويا ليتني مت قبل حدوثها وكنت نسياً منسياً، إلا أني حثني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي نفعاً، فنقول: عمت الخلائق، وخصت المسلمين، فلو قال قائل: إن العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم، وإلى الآن، لم يبتلوا بمثلها؛ لكان صادقاً، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها.
ومن أعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعله بخت نصر ببني إسرائيل ن القتل، وتخريب البيت المقدس، وما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خرب هؤلاء الملاعين من البلاد، التي كل مدينة منها أضعاف البيت المقدس، وما بنو إسرائيل بالنسبة إلى من قتلوا، فإن أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بني إسرائيل، ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم، وتفنى الدنيا، إلا يأجوج ومأجوج.
وأما الدجال فإنه يبقي على من اتبعه، ويهلك من خالفه، وهؤلاء لم يبقوا على أحد، بل قتلوا النساء والرجال والأطفال، شقوا بطون الحوامل، وقتلوا الأجنة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. لهذه الحادثة التي استطار شررها، وعم ضررها، وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح، فإن قوماً خرجوا من أطراف الصين، فقصدوا بلا تركستان مثل كاشغر وبلاساغون، ثم منها إلى بلاد ما وراء النهر، مثل سمرقند وبخارى وغيرهما، فيملكونها، ويفعلون بأهلها ما نذكره، ثم تعبر طائفة منهم إلى خراسان، فيفرغون منها ملكاً، وتخريباً، وقتلاً، ونهباً، ثم يتجاوزونها إلى الري، وهمذان، وبلد الجبل وما فيه من البلاد إلى حد العراق، ثم يقصدون بلاد أذربيجان وأرانية، ويخربونها، ويقتلون أكثر أهلها، ولم ينج إلا الشريد النادر في أقل من سنة، هذا ما لم يسمع مثله.
ثم لما فرغوا من أذربيجان وأرانية ساروا إلى دربند شروان فملكوا مدنه، ولم يسلم غير القلعة التي بها ملكهم، وعبروا عندها إلى بلد اللان، واللكز، ومن في ذلك الصقع من الأمم المختلفة، فأوسعوهم قتلاً، ونهباً، وتخريباً؛ ثم قصدوا بلاد قفجاق، وهم من أكثر الترك عدداً، فقتلوا كل من وقف لهم، فهرب الباقون إلى الغياض ورؤس الجبال، وفارقوا بلادهم، واستولى هؤلاء التتر عليها، فعلوا هذا في أسرع زمان، ولم يلبثوا إلا بمقدار مسيرهم لا غير.
ومضى طائفة أخرى غير هذه الطائفة إلى غزنة وأعمالها، وما يجاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان، ففعلوا فيه مثل فعل هؤلاء وأشد). الكامل في التاريخ 19|399 لأبي الحسن علي بن الأثير الجزري، صححه محمد الدقاق، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، 1424هـ-2003م.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وبادية الترك التتار ونحوهم). اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم،ص147، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس، تحقيق : محمد حامد الفقي، ط: مطبعة السنة المحمدية – القاهرة، الطبعة الثانية ، 1369هـ.
وقال في الفتاوى الكبرى: (أن اعتقاد هؤلاء التتار كان في جنكيز خان عظيماً فإنهم يعتقدون أنه ابن الله من جنس ما يعتقده النصارى في المسيح). 3|542، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا - مصطفى عبدالقادر عطا، ط: دار الكتب العلمية، الطبعة: الطبعة الأولى 1408هـ - 1987م.

لغة أخرى، وهؤلاء كُرْج[1]، وهؤلاء روم[2]، وهؤلاء إفرنج[3]، وهؤلاء بَرْبر[4]، وهؤلاء تكْرور[5]، وهؤلاء حبشة[6]، وهؤلاء هنود، وهؤلاء عجم[7]، وهؤلاء

وقال ابن تيمية أيضاً: (وهذه حال الأمم البعيدة عن العلم والإيمان كالترك التتار والعرب في جاهليتهم فإنهم أعز الناس إذا قدروا وأذل الناس إذا قهروا) 2|360. جامع الرسائل، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط: دار العطاء – الرياض، الطبعة: الأولى 1422هـ - 2001م.

أوَّاه يا ليت تلك الحرقة التي في قلب ابن الأثير تحل حقاً في قلوبنا وقلوب مجتمعاتنا وقاداتنا حتى تعود اللحمة الإسلامية في مشاعرنا وشعائرنا وشعاراتنا فيغضب من في الشام لأهل السواد ويبكي من في مصر لأهل الصين..... فنفعل الواجب الذي قام به ابن تيمية بعدُ.

(1) الكُرج بالضم ثم السكون وآخره جيم وهو جيل من الناس نصارى كانوا يسكنون في جبال القبق وبلد السرير فقويت شوكتهم حتى ملكوا مدينة تفليس ولهم ولاية تنسب إليهم وملك ولغة برأسها. معجم البلدان 4|446 ، لياقوت بن عبد الله الحموي أبي عبد الله، ط: دار الفكر – بيروت.

(2) الروم: فهم من سلالة العيص بن إسحاق بن إبراهيم، وهم أبناء عم بني إسرائيل، ويقال لهم: بنو الأصفر. وكانوا على دين اليونان، واليونان من سلالة يافث بن نوح، أبناء عم الترك. وكانوا يعبدون الكواكب السيارة السبعة، ويقال لها: المتحيرة، ويصلون إلى القطب الشمالي، وهم الذين أسسوا دمشق، وبنوا معبدها، وفيه محاريب إلى جهة الشمال، فكان الروم على دينهم إلى مبعث المسيح بنحو من ثلاثمائة سنة، وكان من ملك الشام مع الجزيرة منهم يقال له: قيصر. فكان أول من دخل في دين النصارى من الملوك قسطنطين بن قسطس، وأمه مريم الهيلانية الشدقانية من أرض حران، كانت قد تنصرت قبله، فدعته إلى دينها، وكان قبل ذلك فيلسوفا، فتابعها - يقال: تَقِيَّة - واجتمعت به النصارى، وتناظروا في زمانه مع عبد الله بن أريوس، واختلفوا اختلافا كثيرًا منتشرا متشتتا لا ينضبط، إلا أنه اتفق من جماعتهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفًا، فوضعوا لقسطنطين العقيدة، وهي التي يسمونها الأمانة الكبيرة، وإنما هي الخيانة الحقيرة، ووضعوا له القوانين - يعنون كتب الأحكام من تحليل وتحريم وغير ذلك مما يحتاجون إليه، وغَيَّروا دين المسيح، عليه السلام، وزادوا فيه ونقصوا منه. تفسير ابن كثير 6|301.

(3) وهي أمم عظيمة كثيرة لا تحصى، وهم غالبون على معظم جزائر الأندلس، ولهم في بحر الروم جزائر عظيمة مشهورة مثل جزيرة صقلية وقبرص وجزيرة أقريطش وجزيرة كشميلي وجزيرة الخضراء وعدة جزائر، وغيرها. عجائب البلدان من خلال مخطوط: خريدة العجائب وفريدة الغرائب ص144، لسراج الدين ابن الوردي، تحقيق وتعليق وتقديم أنور محمود زناتي جامعة عين شمس.

(4) هم سكان المغرب العربي الأصليون. انظر ديوان المبتدأ والخبر 6|116 لعبد الرحمن بن خلدون، دار الفكر 1421هـ-2000م.

(5) تكرور براءين مهملتين بلاد تنسب إلى قبيل من السودان في أقصى جنوب المغرب وأهلها أشبه الناس بالزنوج. معجم البلدان 2|38.

(6) الحَبَشَةُ: اسم للأمة أطلق على أرضهم، وتسمى دولتهم أثيوبيا، وهي تضم أراضي إسلاميَّة إلى جانب أرضهم. المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية ص91 ، لعاتق البلادي، دار مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1402هـ - 1982م.

(7) كل من كان عدا العرب فهو عجمي سواء الفرس أو الترك أو الروم وغيرهم، وليس كما تتوهمه العامة من اختصاص العجم بالفرس بل أهل المغرب إلى الآن يطلقون لفظ العجم على=

صقالبة[1]، وهؤلاء خزر[2]، وهؤلاء أرمن[3]، وهؤلاء أكراد[4]، إلى غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله من اختلاف لغات بني آدم، واختلاف ألوانهم وهي حُلاهم، فجميع أهل الأرض - بل أهل الدنيا - منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة: كل له عينان وحاجبان، وأنف وجبين، وفم وخدان. وليس يشبه واحد منهم الآخر، بل لا بد أن يفارقه بشيء من السمت أو الهيئة أو الكلام، ظاهراً كان أو خفياً، يظهر عند التأمل، كل وجه منهم أسلوب بذاته وهيئة لا تشبه الأخرى. ولو توافق جماعة في صفة من جمال أو قبح ، لا بد من فارق بين كل واحد منهم وبين الآخر [5].

وكذلك يطيل النَفَس فيما لو أراد تقرير أمر مهم استنبطه من الآية كما قال:

=الروم والفرنج ومن في معناه . أما الأعجم فانه الذي لا يفصح في الكلام وإن كان عربياً، ومنه سمي زياد الأعجم الشاعر كان عربياً. نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب ص11، لأبي العباس أحمد القلقشندي، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1400هـ- 1980م.

(1) الصقالبة: عدة أمم، فمنهم النصارى، و من يقولون بالمجوسية ويعبدون الشمس، ولهم بحر حلو يجري من ناحية الشمال إلى الجنوب، ولهم أيضا بحر يجري من المشرق إلى المغرب حتى يتصل ببحر آخر يجئ من ناحية البلغر، ولهم أنهار كثيرة. انظر أخبار الزمان ص69 لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي ط: مطبعة عبد الحميد حنفي مصر، 1357هـ- 1938م.

وهم جنس من الناس يجلب منهم الخدام. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، ط: دار صادر – بيروت، الطبعة :، 1900م.

وقال حسين أسد في حاشيته على سير أعلام النبلاء: الصقالبة: جيل من الناس كانت مساكنهم إلى الشمال من بلاد البلغار، وانتشروا الآن في كثير من بلاد شرق أوروبا، وهم المسمون الآن " بالسلاف ". السير 6|74.

(2) خزر: بالتحريك وآخره راء وهو انقلاب في الحدقة نحو اللحاظ وهو أقبح الحال وهي بلاد الترك خلف باب الأبواب المعروف بالدربند قريب من سد ذي القرنين ويقولون هو مسمى بالخزر ابن يافث بن نوح عليه السلام وقال في كتاب العين الخزر جيل خزر العيون. معجم البلدان 2|367.

(3) ارمينية: بكسر أوله وإسكان ثانيه بلد معروف يضم كوراً كثيرة، سميت بكون الأرمن فيها، وهي أمة كالروم وغيرها فتحت في زمان عثمان رضي الله عنه، فتحها سلمان بن ربيعة الباهلي سنة أربع وعشرين. الروض المعطار في خبر الأقطار ص25، لمحمد بن عبد المنعم الحِميري، تحقيق: إحسان عباس، ط: مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج، الطبعة: الثانية، 1980م.

(4) الكردي: بضم الكاف وسكون الراء والدال المهملة. هذه النسبة إلى طائفة بالعراق ينزلون بالصحارى، وقد سكن بعضهم القرى، يقال لهم: الاكراد، خصوصا في جبال حلوان، والنسبة إليهم: الكردي. الأنساب 5|54 لأبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني، تقديم: عبد الله البارودي، ط: دار جنان، بيروت لنان، الطبعة الأولى 1408هـ- 1988م.

([5]) تفسير القرآن العظيم 6|309.

- ولا خلاف أن إسحاق والد يعقوب، وهو نص القرآن في سورة البقرة: { أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ } [1] ولهذا إنما ذكر هاهنا إسحاق ويعقوب، أي: جعلنا له نسلاً وعقباً أنبياء، أقر الله بهم عينه في حياته؛ ولهذا قال: {وَكُلا جَعَلْنَا نَبِيًّا} [2]، فلو لم يكن يعقوب قد نُبئ في حياة إبراهيم، لما اقتصر عليه، ولذكر ولده يوسف، فإنه نبي أيضًا كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الحديث المتفق على صحته، حين سئل عن خير الناس، فقال: ((يوسف نبي الله، ابن يعقوب نبي الله، ابن إسحاق نبي الله، ابن إبراهيم خليل الله)) [3] وفي اللفظ الآخر: ((إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسفُ بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم)) [4] [5].

وما عدا ذلك فإنه يختصر لا سيما عند الاستنباطات المتعلقة بلفظة أو لفظتين من الآية، وهذه أمثلة على ذلك من هذه الآيات الكريمات:

- { لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ} [6] دلّ على وجود البرد، وقوله: {بِقَبَسٍ} دلّ على وجود الظلام[7].

([1]) سورة البقرة آية: (133).

([2]) سورة مريم آية: (49).

([3]) رواه البخاري في كتاب الأنبياء باب (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت - إلى قوله - ونحن له مسلمون) برقم: 3194. ومسلم في كتاب الفضائل باب من فضائل يوسف عليه السلام برقم: 6311. كلاهما بلفظ: (فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله)

([4]) رواه البخاري في كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى: (لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين) برقم: 3210 بدون (إن) وهو هكذا بـ(إن) في البخاري معلقاً كتاب المناقب باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية.

([5]) تفسير القرآن العظيم 5|237.

([6]) سورة القصص آية: (29).

([7]) تفسير القرآن العظيم 5|276.

- {أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ } [1] فخصها بالغضب، كما أن الغالب أن الرجل لا يتجشم فضيحة أهله ورميها بالزنا إلا وهو صادق معذور، وهي تعلم صدقه فيما رماها به. ولهذا كانت الخامسة في حقها أن غضب الله عليها. والمغضوب عليه هو الذي يعلم الحق ثم يحيد عنه [2].

- {وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ } [3]، علم أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، لا بد أن يناله من الناس أذى، فأمره بالصبر [4].

وقد يستنبط - رحمه الله – مما يذكره تحت تفسير الآية كما قال:

- عن ابن عباس، رضي الله عنه: أمر سليمان الشياطين فموهوا له ألف قصر من ذهب وفضة. فلما رأت رسلها ذلك قالوا: ما يصنع هذا بهديتنا[5]. وفي هذا دلالة على جواز تهيؤ الملوك وإظهارهم الزينة للرسل والقصاد[6].

المقارنة:

- انتهج الخازن – رحمه الله – منهج التعليل والاستفهام في الاستنباط واستخراج الفوائد في الغالب وقد يستنبط ذلك من الآية مباشرة لكنه أقل مما قبله وابن كثير انتهج الاستنباط المباشر.
- يتولى الخازن الاستنباط بنفسه، وكذلك تدبر الآيات، وقد ينقل عن غيره وهذا قليل، وكذلك ابن كثير مع تحليته لها بالأدلة.

([1]) سورة النور آية: (8).

([2]) تفسير القرآن العظيم 6|15.

([3]) سورة لقمان آية: (17).

([4]) تفسير القرآن العظيم 6|338.

([5]) رواه ابن أبي حاتم في التفسير بلفظ مطوّل (9|2879) برقم: 16339.

([6]) تفسير القرآن العظيم 6|192.

- يطيل الخازن ويختصر بحسب المقام ولذلك فإنه يطيل في التدبر أكثر من الاستنباط؛ كذلك الحال عند ابن كثير مع ملاحظة أن ابن كثير يطيل نفَسَه ويفصل أكثر ولربما عقد لطول ذلك فصلاً.
- توجه الخازن نحو الاستنباط وتلمس الحكم أكثر من التدبر، والتفكر؛ وابن كثير توجه للتدبر أكثر منه في الاستنباط.

هذا ما تيسر جمعه والتأمل فيه من خلال كتابي الإمامين العلَمين جمعنا الله بهم في عليين مع النبيين والمرسلين بمحض فضله، وواسع رحمته، وله الحمد في الأول والآخر.

الخاتمة

الخاتمة

بعد هذه الرحلة العلمية الماتعة، والتي عشت فيها مع النور والهداية، وجالست فيها عَلمين عظيمين من عظماء الإسلام، من خلال النظر في كتابيهما، يمكن أن ألخص تلك الرحلة العلمية، وأسجل نتائجها في البنود التالية:

- كان للإمامين " الخازن وابن كثير" الأثر البيِّن، والبصمة الواضحة في المجال العلمي، وفي علم التفسير على وجه الخصوص؛ فقد دأبا جاهدين في إيضاح كلام الله، وبث فرائده وأسراره وجماله في الناس.
- لكل من التفسيرين أهمية بينة في الأوساط العلمية، وشهرة عالية كان أوفرها حظاً للتفسير الثاني "تفسير القرآن العظيم".
- الأصل في تفسير الخازن "لباب التأويل" أنه من تفاسير الرأي المحمود، وهو مختصر من تفسير البغوي، وله اهتمام بالتفسير الأثري، وأما تفسير ابن كثير "تفسير القرآن العظيم" فهو ضمن تفاسير الأثر ومُؤلَف ابتداءً، ومصادره أكثر بكثير من مصادر الخازن، وهو تفسير تحليلي.
- في مباحث التفسير بالأثر كان ابن كثير قد حاز قصب السبق، وتفوق تفوقاً واضحاً لا سيما تفسير القرآن بالقرآن. وكذلك من جهة الترتيب والعناية بالأسانيد والحكم على الأحاديث.
- لم تكن المرويات الأثرية عند الخازن – على كثرتها – لتجاري ذلك الكمَّ الهائل الذي أورده ابن كثير، وكذلك الشأن في نسبة الأقوال فابن كثير حامل رايته.
- وأما ما يتعلق بالمرويات الإسرائيلية، فإن الخازن قد نقل منها كمَّاً كثيراً، وشحن بها تفسيره، وهو ينبِّهُ على بعضها لا سيما إذا صادمت العقيدة، وهذا خالفه فيه ابن كثير؛ فإنه لا يرفع بها رأسه، بل قد سعى جاهداً في التحذير منها، والإعراض عنها، وإن كان قد نقل منها الشيء اليسير لا سيما ما نُقِل عن الصحابة رضي الله عنهم.
- وأما ما يتعلق باهتمامات الإمامين:

- فإن الخازن وابن كثير تنافسا بقوة في إيراد العقيدة، وتقريرها، والدفاع عنها لا سيما العقيدة المتعلقة بجانب الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -، مع اختلاف في تقرير العقيدة من خلال عبارات المتكلمين؛ فالخازن يفعله وابن كثير يعرض عنه، وكذلك ما حصل للخازن من اضطراب في تقرير العقيدة المتعلقة بالأسماء والصفات.
- كلا الإمامين كان من المتوسطين في الكلام على المسائل الفقهية مع الاختلاف في الطرح والموضع.
- وأما اهتمامهما بعلوم القرآن ففي أسباب النزول تقارب الإمامان مع إيراد ابن كثير لأكثر من سبب تحت الآية الواحدة، وتقاربا كذلك في المبهمات مع حرص ابن كثير على التدليل عليها، أو النقل عن السلف فيها، وتميّز ابن

كثير بعناية جيدة بالمناسبات، بخلاف الخازن فهي عنده نادرة، وأما في شأن النسخ فإن الخازن يرى ما يراه الكثير من العلماء من نسخ آية السيف لآيات العفو وهذا خلاف صنيع ابن كثير. وهما في شأن النسخ متقاربان، ومما أجاد فيه الخازن وتفوق تفوقاً واضحاً إيراد الإشكالات والجواب عنها.

- كان للخازن اهتمامه الواضح بالعربية تمثل ذلك في شأن المفردات، وكذا الحال عند ابن كثير مع اعتماده عليها كرافد رابع للتفسير، وقد تناول لكثير من علومها كالنحو والصرف.
- لكل من الإمامين اهتمام واضح بالوعظ والإرشاد وهما فيه متنافسان إلا أن ابن كثير تميّز بالكثرة إلى حد ما، وكذلك بالمنهج فهو ينقل من كتب متخصصة.

- في صياغة الكلام على التفسير يبدأ الخازن بذكر المكي أو المدني، والعدد (عدد الآيات والكلمات والحروف)، ويفسر الحروف المقطعة أول السور، ويقطع الآية إلى مقاطع ثم يفسرها قطعة قطعة، وكثيراً ما يعقب المقطع بقوله: (أي)، ولا يهتم بقضية التقديم والتأخير بالنسبة للمرويات أو المنقولات، ويعقد الفصول للمواعظ، والسجدات، والموضوعات، والأخبار؛ وأما ابن كثير فقد شارك الخازن في كثير مما تقدم عدا العدد، وتفسير الحروف المقطعة، وكونه يقدم بالمعنى الإجمالي بين يدي الآية، ثم شروعه بالتفسير التحليلي ابتداءً بتفسير القرآن بمثله ثم بالسنة ثم بالآثار ثم باللغة ما تيسر، وهو يعبر بداية التفسير بقوله: (يذكر تعالى) ونحوها، ويخالف الخازن كذلك بمراعاة الترتيب في التقديم والتأخير ويعقد الفصول للموضوعات، والأحاديث.
- وفي شأن إيراد الأقوال والترجيح بينها يذكر الخازن الأقوال – غالباً – تحت ظلال (قيل) مما يصعب دراسة ترتيبها، بخلاف ابن كثير فإنه يهتم بترتيب الأقوال ويدلل عليها أكثر من الخازن. والإمامان يرجحان الأقوال، ويزيد ابن كثير نقدها.

- اهتمَّ الإمامان بالاستنباط والتدبر في الآيات، وكلٌ منهما يستنبط من تلقاء نفسه أو ينقل عن غيره، وقد انتهج الخازن في الاستنباط منهج التعليل والاستفهام غالباً، وابن كثير انتهج منهج الاستنباط المباشر من الآية؛ كذلك الخازن نحى منحى الاستنباط وتلمس الحكم أكثر من التدبر، وعلى العكس منه ابن كثير.

التوصيات:

أوصي إخواني الباحثين في المجال الأكاديمي والعلمي العناية بأمرين هما نَصفٌ بين الإمامين:

- تقديم بحث ودراسة تخص الوعظ والتدبر، والاستنباط من خلال تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ومقارنة ذلك مع تفسير قريب منه في المنهج.
- ألفت نظر الباحثين إلى قضية مهمة تميَّز بها الخازن في "لباب التأويل" ألا وهو ذلك المنهج الرائع والمتكامل في الدفاع عن القرآن والذب عن نظمه المقدس، والمتمثل في إيراد الإشكالات الكثيرة والجواب الشافي عنها.
- ثم لا يخفى إخواني ما في خدمة التراث العلمي الذي تركه لنا أسيادنا، ومفاخرنا من فضائل وفوائد حائَّاً الجمهور من الباحثين في إخراجه كما أراد أصحابه، وفي صورة عصرية تخدم الأمة، وتنهض بالمجتمع وتدفع بالفرد إلى سمو القصد، ونبل الغاية.

هذا جهدي – وهو جهد المقل – بذلت فيه وسعي، ووهبت فيه طاقتي، لا أدعي أني بلغت الكمال، ولا قاربته بل إني مقرٌّ بالنقص معترف بالتقصير، وإنما حاولت بذلك الوصول إلى الصواب ما استطعت، فإن وُفِقت فذلك محض فضل الله ومنِّه. فله الحمد من قبل ومن بعد، وإن تك الأخرى فحسبي أني لم آل جهداً في تلمس الحق وبلوغ ما رجوته وتمنيته، وأستغفر الله من كل حَوب وخطأ وزلة، وهو حسبي ونعم الوكيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفهارس

أولاً: فهارس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث والآثار.

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.

رابعاً فهرس المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس الموضوعات.

01- فهرس الآيات الكريمات

الآية	السورة	الصفحة
	البقرة	
{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ }		272
{وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ}		129
{ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلا مِنْ رَبِّكُمْ}		274
{ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ}		320
{هل ينظرون إلاّ أن يأتيهم الله}		39
{ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة}		97
{ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ }		99
{فنصف ما فرضتم}		236
{الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ}		42
	آل عمران	
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}		7
{إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلا أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ }		73
{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ}		72
{ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك}		97
	النساء	
{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ }		7
{وإذا حضر القسمة أولو القربى....}		235
{ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ}		228
{إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ}		87
{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ}		104
{ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً}		220
{وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ}		32
{إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ }		228
{ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلا شَيْطَانًا مَرِيدًا }		106
	المائدة	
{فاعف عنهم واصفح}		313
{ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء}		127
{وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم}		42
{بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ}		42
{ينفق كيف يشاء}		44
{ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ }		292

{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ}	281
الأنعام	
{إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ }	175
{وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا}	105
{ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ}	89
{وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ}	103
{ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ}	292
الأعراف	
{وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}	31
{لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ}	103
{ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ}	105
{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ}	41
{وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ}	91- 108
{إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ}	109
{ لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلا هُوَ}	89
التوبة	
{وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ}	209
{ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى}	107
هود	
{وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا}	103
الرعد	
{وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ }	103
إبراهيم	
{وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا}	42
{ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ }	107
{وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا}	105
{ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ }	103
النحل	
{ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ}	93
{وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نزلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }	87
{وَمَا أَنزلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ}	87
{ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}	236

{ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ}	177
الاسراء	
{ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا }	294
الكهف	
{سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ}	153-289
{قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ }	289
{فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلا مِرَاءً ظَاهِرًا}	289
مريم	
{ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا }	144
{ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ }	291
{أَلا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا}	144
{وحناناً من لدنا}	244
{ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا}	211
{فتمثل لها بشراً سوياً}	212
{فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا }	212
{قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا }	102
{وقري عيناً}	244
{ يَا أُخْتَ هَارُونَ }	308
{ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ}	213
{ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ }	131-285
{واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً}	216
{يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ}	106
{سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي }	107
{ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ }	292
{عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقياً}	309
{خروا سجداً وبكياً}	200-259
{وأوصاني بالصلاة والزكاة}	224
{قَوْلَ الْحَقِّ}	111
{إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ }	272
{وَكُلا جَعَلْنَا نَبِيًّا}	320
{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا}	100
{وَكَانَ رَسُولا نَبِيًّا}	170
{ورفعناه مكاناً علياً}	210-

	300
{فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ}	259
{ويقول الإنسان}	211
{ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا}	106
{ وإن منكم إلا واردها}	121
{ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا }	168
{ أَثَاثًا وَرِئْيًا }	296
{ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا}	218
{ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا }	290
{وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا}	-204 145
{ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ}	207
{ لأوتَيَنَّ مَالا وَوَلَدًا }	109
{ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا }	144
{ إلا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا}	250
{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا}	-128 308
طه	
{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}	171-57
{فإنه يعلم السر وأخفى}	286
{ وَمَا تَحْتَ الثَّرَى }	156
{وهل أتاك حديث موسى }	216
{وأقم الصلاة لذكري}	285
{أكاد أخْفيها}	249
{ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى }	313
{إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى}	213
{أن اقذفيه في التابوت}	98
{فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ}	172
{ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى }	173
{فَقُولا لَهُ قَوْلا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}	260-97
{إننا نخاف أن يفرط علينا }	142
{قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى}	-307 293
{ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى}	180

{ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا}	103
{ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا}	293
{مكاناً سوى}	243
{وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ }	295
{قال لهم موسى}	287
{قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ }	251
{فأولئك لهم الدرجات العلى}	122
{ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي }	250
{ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ }	249
{يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ}	129
{ ثُمَّ اهْتَدَى }	106
{فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ}	297
{لن تخلفه}	100
{فيذرها قاعاً صفصفاً}	243
{ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ}	88
{وعصى آدم ربه فغوى}	163
{فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا}	135
{فاصبر على ما يقولون}	233
{ لَعَلَّكَ تَرْضَى}	91
{ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك}	97-224
الأنبياء	
{اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ}	93
{ربي يعلم القول في السماء والأرض}	270
{ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون}	
{لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا}	165
{ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ }	178
{فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ}	178
{وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ }	175
{ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلا عَنْ ظُهُورِهِمْ }	103
{ أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا}	304
{ونضع الموازين القسط}	166
{وكفى بنا حاسبين }	256
{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ}	295

{ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنْطِقُونَ}	306
{ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ}	306
{حرقوه وانصروا آلهتكم}	211
{وكنا لحكمهم}	312
{وأيوب إذ نادى ربه}	150-271
{فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ }	248
{وجعلناها وابنها آية}	225
{حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ }	252
{واقترب الوعد الحق}	143
{ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ }	134
{ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ }	248
{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ }	230
الحج	
{مخلقة وغير مخلقة}	278
{وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ}	108
{ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}	217
{وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ}	108
{فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ}	304
{يدعو لمن ضره أقرب من نفعه}	223
{لبئس المولى ولبئس العشير}	224
{ ثَانِيَ عِطْفِهِ}	104
{هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ}	279
{ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}	253
{ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ }	192
{ ثم ليقضوا تفثهم }	142
{يصب من فوق رؤوسهم الحميم}	123
{لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ }	274-287
{وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ}	188
{لكم فيها منافع إلى أجل مسمى }	287
{ ومن يعظم شعائر الله}	197
{وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ}	102
{وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ}	95
{فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا }	305

{ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ}	94
{ لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ}	204
{الذين أخرجوا من ديارهم}	300
{ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد}	243-269
{ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ } { وَكُذِّبَ مُوسَى }	300 314
{ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ}	258
{ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ }	272
{ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ }	173
المؤمنون	
{وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ }	194
{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ}	280
{ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ }	191
{وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ}	122
{ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ }	253
{{قَرْناً آخَرِينَ} * فأرسلنا فيهم رسولاً منهم}	302
{وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ }	102
{إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون}	257
{الَّذِينَ يَأْتُونَ مَا أَتَوْا }	110
{أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}	110-126
{مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ}	291
{وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}	173
{مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ}	187
{ادفع بالتي هي أحسن} { حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ }	234 104
{رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ}	173
النور	
{ولا تأخذكم بهما رأفة }	143
{الزَّانِي لا يَنْكِحُ إلا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُهَا إلا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ}	238
{فلا تقبلوا لهم شهادة أبداً} { وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ}	198 277
{أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ	321

عَلَيْها}	
{ إن الذين جاءوا بالإفك}	205
{وليعفوا وليصفحوا}	313
{يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ}	111
{ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ}	129
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا}	101
{وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ}	206
{غير أولي الإربة من الرجال}	100
{وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ }	238-196
{وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ }	112
{يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم}	135
{ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ}	110
{رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ}	110
{ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ }	207
{خلق كل دابة من ماء}	226
الفرقان	
{كان على ربك وعداً مسؤولاً}	97
{وقال الذين لا يرجون لقاءنا}	244
{وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً}	24
{الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلاً}	227
{أفأنت تكون عليه وكيلاً}	134
{وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا}	2254
{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا}	56-169
{ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا }	250
{والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً}	125
{ إلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا}	228
الشعراء	
{وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ}	180
{ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا}	246-180
{كذبت قوم نوح المرسلين}	225
{ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ }	307
{أتبنون بكل ريع }	243

{ولا صديق حميم}	119
{نزلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ}	212
{فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين}	162
{وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِين}	281
{وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ}	205
{وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ}	205
النمل	
{ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ}	320
{إلا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء فإني غفور رحيم}	245
{وجدت امرأة تملكهم}	210
{وزين لهم الشيطان أعمالهم}	167
{وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ}	297
{ إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى }	175
{ إِنْ تُسْمِعُ إِلا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ}	175
{وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ}	-123 -127 226
{إلا من شاء الله}	140
القصص	
{ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ}	308
{لا نبتغي الجاهلين}	234
{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ}	316
{إن الله لا يحب المفسدين}	150
{إنما أوتيته على علم عندي}	150
{فخسفنا به وبداره الأرض}	271
{ويكأن الله يبسط الرزق}	245
العنكبوت	
{فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} {ولوطاً إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة}	229 98
{ أئنكم لتأتون الرجال}	98
{ فَكُلا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ}	
{وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ}	236
{قُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُم}	-237 174
{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ}	56
الروم	

{ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }	291
{ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَى}	292
{ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ}	249
{وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا}	107
{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ}	108
{وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ }	313
{ ظهر الفساد في البر والبحر}	245
{ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنزلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ}	251
{فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ }	252
لقمان	
{ومن الناس من يشتري لهو ليضل عن سبيل الله}	224
{ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا}	104
{ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ}	155-260
{وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ }	321
{وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ}	104
{إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ}	280
{فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ}	260
السجدة	
{ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ }	287
{ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ}	105
{تتجافى جنوبهم عن المضاجع}	257
{ولقد آتينا موسى الكتاب}	226
{قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ}	307
الأحزاب	
{وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ}	235
{ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ }	218
{فتعالين أمتعكن وأسرحكن}	
{يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن}	190
{ لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ }	231
{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ}	127-186
{إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}	127
{إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ	127

وَسَلِّمُوا}	
{إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً}	84
{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا}	7
سبأ	
{ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ }	103
{جنتان عن يمين وشمال...}	98
{باعد بين أسفارنا}	111
فاطر	
{ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ }	
{ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ}	105
يس	
{وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون}	108
{ وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون }	108
{ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ }	106
الصافات	
{ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ }	248
ص	
{كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ}	311-32
{أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ}	42
{لما خلقت بيدي}	41
الزمر	
{لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ}	103
{والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة}	44
غافر	
{ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم}	98
{ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا}	105
فصلت	
{لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد}	28
الشورى	
{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}	57
{ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ }	105
الزخرف	
{ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ }	144-290

{ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ }	179
الجاثية	
{ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً }	106
الأحقاف	
{وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }	305
محمد	
{أَفَلاَ 32الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ}	
الحجرات	
{إن أكرمكم عند الله أتقاكم}	235
الذاريات	
{وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ }	104
النجم	
{ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى }	249
القمر	
{اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ }	93
{وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ}	
{ فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ }	248
الممتحنة	
{ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ }	107
الصف	
{ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ }	292
المنافقون	
{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ	104
{وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ }	105
الطلاق	
{أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا}	103
الملك	
{ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ }	179
المعارج	
{تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة}	222
الجن	
{ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا }	103
القيامة	
{لا أقسم بيوم القيامة}	88
{ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ }	88
الإنسان	

{ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ}	266
البلد	
{ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ}	106
الضحى	
{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}	91

02- فهرس الأحاديث والآثار

م	طرف الحديث	الصفحة
1	((إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ .. قال: عيسى، وعُزَير))	134
2	((فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ .. قال: قيام على ثلاث قوائم))	94
3	((وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ .. قال: من الأيام التي خلق الله))	290
4	((فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ * قال: في الدنيا ..))	93
5	((وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ .. قال: المعين الماء الجاري))	102
6	((أبشروا يا معشر ..))	288
7	((أبصر رجلاً يعبث بلحيته ..))	118
8	((اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم..))	31
9	((اتقوا الغضب فإنه جمرة توقد ..))	45
10	((اتقوا الغضب فإنه جمرة توقد ..))	45
11	((إذا دخل أهل الجنة الجنة، ..))	132
12	((إذا دخل أهل الجنة الجنة، ..))	132
13	((إذا رقد أحدكم في الصلاة أو ..))	286
14	((إذا رقد أحدكم في الصلاة أو ..))	286
15	((إذا سئلت أي الأجلين ..))	141
16	((إذا عُقلت رجلها اليسرى ..))	94
17	((إذا قام أحدكم إلى الصلاة ..))	118
18	((إذا مر رجل بقبر يعرفه ..))	177
19	((اشترى من صفوان بن أمية ..))	192
20	((اشترى من صفوان بن أمية ..))	192
21	((ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه))	87
22	((ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه..))	115
23	((أمر الناس أن يكون الطواف ..))	189

م	طرف الحديث	الصفحة
24	((أملى عليَّ رسولُ الله هذه الآية ..))	280
25	((أملى عليَّ رسولُ الله هذه الآية ..))	280
26	((أن إبراهيم حين مَرّ على ..))	229
27	((إن الجبل لينادي الجبل باسمه ..))	92
28	((إن الجبل لينادي الجبل باسمه ..))	92
29	((إنّ الحميم ليصب على ..))	123
30	((إن الذي أمشاه على رجليه ..))	227
31	((إن الرجل يقول في الجنة ما ..))	119
32	((إن الكريم ابن الكريم ابن ..))	320
33	((إن الله إذا أحب عبدًا دعا ..))	128
34	((إن الله اصطفى من ولد ..))	170
35	((إن الله اصطفى من ولد ..))	170
36	((إن الله اصطفى من ولد ..))	281
37	((إن الله حليم رحيم بالمؤمنين ..))	235
38	((إن الله قرأ طه ويس قبل أن ..))	267
39	((إن الله كتب الإحسان على ..))	306
40	((إن امرأتي حبلى، فأخبرني ما تلد..))	90
41	((إن أهل الدرجات العلى ليراهم ..))	122
42	((إن أول شيء بدأ به حين ..))	188
43	((أن جعفر بن أبي طالب رضي ..))	267
44	((أن رسول الله - صلى الله ..))	195
45	((إن عندي امرأة هي من ..))	231
46	((أن كعبًا سُئِل فقيل له ما ..))	157
47	((أن يوم الزينة الذي أظهر الله ..))	213

م	طرف الحديث	الصفحة
48	((أن يوم الزينة الذي أظهر الله ..))	213
49	((أنا محمد وأنا أحمد وأنا المقفي ..))	119
50	((أنظرني يا أمير المؤمنين، إني ..))	193
51	((أنه أتى على رجل قد أناخ ..))	95
52	((أنه رأى إدريس في السماء ..))	301
53	((أنه رأى إدريس في السماء ..))	211
54	((إنه من ياقوتة حمراء))	174
55	((إنه يكون على المؤمن كقدر ..))	222
56	((إني أخاف على أمتي اثنتين ..))	260
57	((أيام سماها الله تعالى لا أدري ..))	223
58	((بادروا بالأعمال قبل ست ..))	123
59	((بم تحكم ؟ قال بكتاب الله قال ..))	115
60	((بم تحكم؟ قال بكتاب الله. ..))	87
61	((بين العبد وبين الشرك ..))	197
62	((بين العبد وبين الشرك ..))	197
63	((تَزَوَّجوا، توالدوا، تناسلوا، ..))	196
64	((تُعقل رجل واحدة فتكون ..))	94
65	((تفسير القرآن الكريم) في ..))	84
66	((تُوُفي رسول الله - صلى الله ..))	193
67	((تُوُفي رسول الله - صلى الله ..))	193
68	((جعل الله الطلاق بعد النكاح))	191
69	((حاضت صفية ليلة النفر فقالت ..))	189
70	((حتى بالسقط))	196
71	((حدثوا عن بني إسرائيل ولاحرج))	148

م	طرف الحديث	الصفحة
72	((الحكمة ضالة المؤمن حيث ..))	130
73	((الحمد لله الذي أحيانا بعد ..))	316
74	((خمس لا يعلمهن إلا الله عز وجل ..))	90
75	((دخل مكة في عمرة القضاء ..))	301
76	((دخل مكة في عمرة القضاء ..))	301
77	((رأى رجلاً يسوق بدنه فقال ..))	185
78	((رفع القلم عن ثلاث الصبي ..))	224
79	((رُفِع عن أمَّتي الخطأ والنسيان، ..))	112
80	((زوَّج رسول الله - صلى الله ..))	132
81	((زوَّج رسول الله - صلى الله ..))	132
82	((سألت رسول الله - صلى الله ..))	118
83	((سألني يهودي من أهل الحيرة ..))	141
84	((السلام عليكم دار قوم مؤمنين))	176
85	((سيحان وجيحان والفرات ..))	122
86	((الغرانيق))	277
87	((الغرانيق))	221
88	((فبينما نحن عنده أقبل ابنُ ..))	195
89	((فرأيي أن ذلك أغنى عن ..))	235
90	((قال الله تبارك وتعالى أنفق ..))	44
91	((قال الله تبارك وتعالى لما ..))	44
92	((قال الله عز وجل يؤذيني ابن ..))	85
93	((قال الله عز وجل يؤذيني ابن ..))	85
94	((قرأ عمر بن الخطاب، رضي ..))	259
95	((قضاء التفث مناسك الحج كلها))	142

م	طرف الحديث	الصفحة
96	((قضاء التفث مناسك الحج كلها))	142
97	((قضى أكثرهما وأطيبهما ..))	141
98	((قلت يا رسول الله (والذين ..))	126
99	((الكاف من كريم وكبير، والهاء ..))	264
100	((كان إذا ضحى اشترى ..))	133
101	((كان إذا طاف الطواف ..))	188
102	((كان إذا طاف الطواف ..))	188
103	((كان إذا طاف الطواف ..))	188
104	((كان إذا طاف الطواف ..))	188
105	((كان إذا طاف في الحج أو ..))	188
106	((كان إذا طاف في الحج أو ..))	188
107	((كان النبي - صلى الله عليه وسلم ..))	266
108	((كان أهل الجاهلية ينضحون ..))	205
109	((كان داود عليه السلام لا يأكل ..))	121
110	((كان داود عليه السلام لا يأكل ..))	277
111	((كان داوود عليه السلام لا ..))	121
112	((كان داوود عليه السلام لا ..))	277
113	((كان يعالج من الوحي شدّة، ..))	88
114	((كَأين تقرأ سورة الأحزاب؟ ..))	266
115	((كلمتان خفيفتان على اللسان..))	260
116	((كنت نبياً وآدم بين ..))	120
117	((لا تبيعوا القينات ولا ..))	124
118	((لا تعجلي حتى تستشيري أبويك))	186
119	((لا طلاق فيما لا تملك ولا ..))	190

م	طرف الحديث	الصفحة
120	((لا طلاق قبل النكاح))	191
121	((لا يحل بيع دور مكة ..))	193
122	((لا يحل بيع دور مكة ..))	193
123	((لا يحل تعليم المغنيات ولا ..))	124
124	((لا يزال الله مقبلاً على العبد ..))	118
125	((لما قدم - رسول الله صلى الله ..))	129
126	((لما قدم رسول الله صلى الله ..))	129
127	((لو أن رجلاً اقتنى فلواً بعد ..))	143
128	((لو وقع مقمع من حديد في ..))	120
129	((لو وقع مقمع من حديد في ..))	120
130	((المؤمن في قبره في روضة خضراء..))	135
131	((المؤمن في قبره في روضة خضراء..))	135
132	((ما أنا عليه اليوم وأصحابي))	182
133	((ما انتبهت من الليل إلا ..))	127
134	((ما انتبهت من الليل ..))	127
135	((ما بال أقوام يرفعون أبصارهم ..))	118
136	((ما قُطع من البهيمة وهي حية..))	306
137	((ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم..))	176
138	((ما من أحد يموت إلا ندم قالوا ..))	285
139	((ما من رجل يزور قبر أخيه ..))	177
140	((مثل البخيل والمتصدق، ..))	134
141	((مثل الذي يسمع الحكمة ثم ..))	130
142	((مثل الذي يسمع الحكمة ثم ..))	130
143	((المعيشة الضنك الذي قال الله ..))	136

م	طرف الحديث	الصفحة
144	((المعين الماء الجاري))	102
145	((من أغلق بابه فهو آمن ومن ..))	303
146	((من أكل كراء بيوت مكة ..))	194
147	((من الأيام التي خلق الله ..))	290
148	((من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله..))	133
149	((مَنْ حدثك أنه يعلم ما في غد ..))	90
150	((من حلف على يمين فرأى ..))	313
151	((من شهد أن لا إله إلا الله ..))	170
152	((من صلى العشاء في جماعة ..))	125
153	((من صلّى بعد العشاء ..))	125
154	((مَن قال في القرآن برأيه ..))	31
155	((من نسي صلاة فليصل إذا ..))	286
156	((نهى عن ثمن الكلب ..))	124
157	((هم الشهداء متقلدون ..))	140
158	((هو اسم من أسماء الله تعالى، ..))	264
159	((هو الغناء والله الذي لا إله إلا ..))	125
160	((وإن لم يعمل خيرًا قط))	171
161	((وكلتا يديه يمين))	42
162	((وكلتا يديه يمين))	42
163	((ولا تُعجِلُوا النفوسَ أن تَزْهَق))	305
164	((ولهذا كان عبد الله بن عمرو ..))	148
165	((وهل ترك لنا عَقيل من رباع))	192
166	((وهل ترك لنا عَقيل من رباع))	192
167	((يا أهل الجنة، إن لكم عند ..))	92

م	طرف الحديث	الصفحة
168	((يا أهل الجنة، فيقولون لبيك ..))	92
169	((يا أهل مكة، لا تتخذوا ..))	194
170	((يا بني عبد مناف لا تمنعوا ..))	302
171	((يا جبريل ما يمنعك أن ..))	204
172	((يا جبريل ما يمنعك أن ..))	204
173	((يا رسول الله، ما تخاطب من ..))	176
174	((يا روح الله، أخبرنا عن ..))	109
175	((يا معشر الشباب، مَنْ ..))	218
176	((يا معشر الشباب، مَنْ ..))	273
177	((يا معشر الشباب، من ..))	196
178	((يحذر بهم غيره يقول أنت ..))	163
179	((يقول الله عز وجل كذبني ..))	84
180	((يلتئم عليه القبر حتى ..))	140
181	((يتزلون حيث شاءوا))	194
182	((يوسف نبي الله، ابن يعقوب ..))	320

03- فهرس الأعلام

م	العلم	الصفحة
1	(إبراهيم) بن أدهم بن منصور أبو إسحاق.	127
2	(ابن أبي الدنيا) عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس أبو بكر القرشي مولى بني أمية المعروف بابن أبي الدنيا	258
3	(ابن أبي العز) على بن على بن محمد بن أبى العز الحنفي	55
4	(ابن الأنباري) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان أبو بكر بن الأنباري	242
5	(ابن الأثير) المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد مجد الدين أبو السعادات الشيباني الجزري الشافعي	117
6	(ابن تيمية) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، النميري الحراني	98
7	(ابن الجزري) شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الدمشقي	99
8	(ابن حجر) الشافعي أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد، شهاب الدين أبو الفضل الشهير بابن حجر الكناني العسقلاني	68
9	(ابن حجي) أحمد بن حجي بن موسى بن أحمد بن سعيد السعدي الحسباني الدمشقي الشافعي	59
10	(ابن دريد) محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية بن حنتم بن الحسن أبو بكر الأزدي	241
11	(ابن الصلاح) تقي الدين بن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الشهرزوري ثم الدمشقي	242
12	(ابن عقيلة) الشمس محمد بن أحمد بن سعيد المشتهر والده بابن عقيلة الحنفي المكي	220
13	(ابن قاضي شهبة) أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن ذوؤيب بن شرف الأسدي الدمشقي الشافعي	38
14	(ابن القيم) شمس الدين محمد ين أبي بكر بن أيوب الزرعي، المعروف بابن	115

م	العلم	الصفحة
	قيم الجوزية	
15	(ابن جرير) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري	90
16	(ابن ماجة) محمد بن يزيد بن ماجة القزويني أبو عبد الله الحافظ	30
17	(ابن المنذر) أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري	30
18	(أبو حيان) حمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي أثير الدين أبو حيان الأندلسي	25
19	(أبو عبيد) القاسم بن سلام البغدادي أبو عبيد الفقيه القاضي الأديب المشهور	238
20	(أبو عبيدة) معمر بن المثنى التيمى من أهل البصرة كنيته أبو عبيدة	241
21	(البغوي) أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي	33
22	(الأخفش) سعيد بن مسعدة أبو الحسن البلخي ثم البصري الأخفش الأوسط	242
23	(البقاعي) إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بضم الراء بعدها موحدة خفيفة ابن علي بن أبي بكر برهان الدين البقاعي	215
24	(ثعلب) أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني مولاهم البغدادي الإمام أبو العباس ثعلب إمام الكوفيين في النحو	25
25	(الثعلبي) أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري	116
26	(الحاكم) محمد بن عبد الله الضبي النيسابوري الحاكم، أبو عبد الله الحافظ	138
27	(الحميدي) محمد بن فتوح أبي نصر بن عبد الله بن فتوح بن حميد أبو عبد الله الحميدي الأندلسي الحافظ	117
28	(الخطابي) أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي	241
29	(الذهبي) الدكتور محمد بن حسين الذهبي	28
30	(الراغب) الأصفهاني الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الراغب الأصفهاني	242

م	العلم	الصفحة
31	(الزجاج) أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج النحوي	242
32	(الرازي) فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الطبرستاني	163
33	(الزركشي) محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الموصلي الشافعي بدر الدين	240
34	(الزمخشري) أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي النحوي	294
35	(الزيلعي) جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي أبو محمد	68
36	(سفيان) بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي ثم المكي	40
37	(السيوطي) أبو الفضل عبد الرحمن ابن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين أبي بكر بن عثمان بن محمد بن خضر بن أيوب ابن محمد بن الشيخ همام الدين الخضيري السيوطي الشافعي	115
38	محمد بن على بن محمد بن عبد الله الشوكانى ثم الصنعانى	68
39	(العزيزي) محمد بن عزيز أبو بكر السجستاني العزيزي	241
40	(العيني) محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف لحنفي بدر الدين العيني	60
41	(غلام ثعلب) أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، البغدادي الزاهد، المعروف بغلام ثعلب	241
42	(الفراء) يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور أبو زكريا الفراء مولى بني أسد	242
43	(كعب الأحبار) كعب بن ماتع الحميري كنيته أبو إسحاق	149
44	(مجاهد) بن جبر أبو الحجاج المكى مولى عبد الله ابن السائب، القارئ	126
45	(المزي) جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف القضاعي ثم الكلبي الدمشقي الشافعي	126
46	(النسفي) عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي حافظ الدين أبو البركات	13
47	(نعيم) بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي	57
48	(وهب) بن منبه الصنعاني الذماري	149

04- فهرس المصادر والمراجع:

((القرآن العظيم))

((الإتقان لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية ، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة)).

((أخبار الزمان، لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي ط: مطبعة عبد الحميد حنفي مصر، 1357هـ- 1938م)).

((الاستذكار لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق سالم محمد عطا، محمد علي معوض، الناشر دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة الأولى 1421ه – 2000م)).

((الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة 1986م)).

((اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس، تحقيق : محمد حامد الفقي، ط: مطبعة السنة المحمدية – القاهرة، الطبعة الثانية ، 1369هـ)).

((الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى، لعلي بن هبة الله بن أبي نصر بن ماكولا، ط دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى 1411هـ)).

((الأمثال من الكتاب والسنة، لأبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي، تحقيق د.السيد الجميلي، ط دار ابن زيدون – بيروت، الطبعة الأولى ، 1985م)).

((إنباء الغمر بأبناء العمر للإمام شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق د. محمد عبد المعيد خان، الناشر دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - 1406 ه - 1986م)).

((الأنساب، لأبي سعد عبد الكريم السمعاني، تحقيق: عبد اللع عمر البارودي، دار الجنان ، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى:1408هـ - 1988م)).

((البداية والنهاية لإسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: علي شيري، ط: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988 م)).
((البدر الطالع لمحمد بن علي الشوكاني، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى 1418ه-1998م)) .
((البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى ، 1376 ه - 1957 م)) .
((بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر المكتبة العصرية، لبنان – صيدا)) .
((البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها لعبد الرحمن الميداني ط دار القلم الطبعة الأولى 1461ه - 1996م)) .
((البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة لمحمد بن يعقوب الفيروزأبادي تحقيق محمد المصري، ط: جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت الطبعة الأولى –1407ه))
((بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام، لعلي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي، أبي الحسن ابن القطان، تحقيق د. الحسين آيت سعيد، ط دار طيبة – الرياض، الطبعة الأولى ، 1418ه-1997م)) .
((تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبي الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية)) .
((تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، ط دار الكتاب العربي، لبنان- بيروت الطبعة الأولى 1407ه - 1987م)) .
((تاريخ بغداد، لأحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت)) .

((تـاريخ دمـشق، لأبـي القاسـم علـي بـن الحـسن ابـن هبـة الله بـن عبـد الله الـشافعي المعروف بابن عساكر دراسة وتحقيق علي شيري، الناشر دار الفكر)) .
((تاريخ علماء بغداد المسمى (منتخب المختار) لابن رافع، تصحيح عباس العزاوي ط دار الموسوعات العربية، الطبعة الثانية 1420ه - 2000م)) .
((التاريخ الكبير، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الكتب العلمية)).
((تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري،جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، تحقيق عبد الله بن عبد الرحمن السعد، ط دار ابن خزيمة - الرياض - الطبعة الأولى، 1414ه)) .
((التبيان في أقسام القرآن لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، الناشر دار الفكر))
((التحريـر والتنـوير، للـشيخ محمـد الطـاهر بـن عاشـور، ط : دار سـحنون للنـشر والتوزيع - تونس - 1997 م)).
((تذكرة الحفاظ لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دراسة وتحقيق زكريا عميرات، الناشر دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولى 1419ه- 1998م، مصورة عن الطبعة القديمة الهندية)) .
((التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام في القرآن الكريم، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، تحقيق: عبد أ. مهنا، ط: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى)).
((تفسير ابن أبي حاتم، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق أسعد محمد الطيب، ط المكتبة العصرية – صيدا)) .
((تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض شارك في التحقيق د.زكريا عبد المجيد النوقي ود.أحمد النجولي الجمل، دار النشر دار الكتب العلمية - لبنان بيروت)) .

((تفسير غريب ما في الصحيحين، لمحمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح الحميدي، تحقيق: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، ط: مكتبة السنة - القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، 1415هـ- 1995م)).
((التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة)).
((التفسير المقارن دراسة تأصيلية، بحث منشور في: مجلة الشريعة والقانون العدد السادس والعشرون ربيع الأول 1427هـ إبريل 2006م)).
((تقريب التهذيب لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق محمد عوامة، الناشر دار الرشيد سوريا، سنة النشر 1406ه - 1986م)) .
((التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، لزين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي 725 - 806 ه، دراسة وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، ط محمد عبد المحسن الكتبي صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1389ه1969م)) .
((تكملة الإكمال لمحمد بن عبد الغني البغدادي أبو بكر، تحقيق د. عبد القيوم عبد رب النبي، الناشر جامعة أم القرى - مكة المكرمة الطبعة الأولى – 1410ه)) .
((التنبيه والإيقاض لما في ذيول تذكرة الحفاظ، المؤلف أحمد رافع بن محمد الحسيني القاسمي الطهطاوي الحنفي، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى 1419ه - 1998م، مصورة عن الطبعة الهندية القديمة)) .
((تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق لشمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي، تحقيق سامي بن محمد بن جاد الله وعبد العزيز بن ناصر الخباني، دار النشر أضواء السلف – الرياض، الطبعة الأولى ، 1428ه - 2007 م)) .
((تهذيب الأسماء واللغات، للعلامة أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا)) .
((تهذيب الكمال ليوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي، تحقيق د. بشار عواد معروف، الناشر مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى 1400ه - 1980م)) .

((تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد الأزهري، تحقيق: عبد السلام سرحان ومحمد خفاجي ومحمود العقدة، ط: الدار المصرية للتأليف والترجمة. ط: الدار المصرية للتأليف والترجمة)).

((التوحيد لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق عبد العزيز الشهوان، دار الرشد الرياض)) .

((التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق د. محمد رضوان الداية، الناشر دار الفكر المعاصر و دار الفكر - بيروت – دمشق الطبعة الأولى 1410ه)) .

((التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو الداني دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة: الثانية، 1404هـ1984م)).

((الثقات لمحمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي، تحقيق السيد شرف الدين أحمد، الناشر دار الفكر الطبعة الأولى 1395ه - 1975م)) .

((جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق أحمد محمد شاكر، الناشر مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ، 1420 ه - 2000 م)) .

((جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، دراسة وتحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، ط: مؤسسة الريان - دار ابن حزم الطبعة الأولى 1424-2003 هـ)) .

((جامع الرسائل، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط: دار العطاء – الرياض، الطبعة: الأولى 1422هـ - 2001م)).

((الجامع الصحيح، لمحمد بن عيسى أبي عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت)) .

((جامع سفيان الثوري منزلته ...معالمه ...رواياته لرياض الطائي. (رسالة مقدمة في كلية أصول الدين، جامعة العلوم الإسلامية العالمية عمّان)) .

((الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري) لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق، الناشر دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت الطبعة الثالثة 1407ه - 1987م)) .

((الجامع الصحيح المسمى (صحيح مسلم) لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الناشر دار الجيل بيروت ودار الأفاق الجديدة بيروت)) .

((الجرح والتعديل لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، ط: مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن، الهند، الطبعة الأولى: 1372هـ - 1952م)) .

((الجمع بين الصحيحين، لمحمد بن فتوح أبي نصر بن عبد الله بن فتوح الحميدي تحقيق : د. علي حسين البواب، دار النشر و دار ابن حزم، لبنان، بيروت الطبعة: الثانية، 1423هـ - 2002م)).

((حاشية مقدمة التفسير لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي)) .

((حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، الناشر دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الرابعة 1405ه)) .

((خزانة الأدب وغاية الأرب لتقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري، تحقيق عصام شعيتو، الناشر دار ومكتبة الهلال – بيروت الطبعة الأولى ، 1987م)) .

((الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، تحقق إبراهيم شمس الدين، الناشر دار الكتب العلمية الطبعة الأولى 1410ه 1990م)) .

((الدر المنثور في التفسير بالمأثور لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، ط دار الفكر - بيروت، 1993م)) .

((الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، تحقيق مراقبة محمد عبد المعيد ضان، الناشر مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند 1392ه- 1972م)) .

((ديوان المبتدأ والخبر، لعبد الرحمن بن خلدون، دار الفكر 1421هـ-2000م)).

((ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، لمحمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبي الطيب المكي الحسني الفاسي، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1410ه- 1990م)) .

((ذيل تذكرة الحفاظ لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي،ط: دار الكتب العلمية، مصورة عن الطبعة الهندية القديمة)).

((ذيل تذكرة الحفاظ لأبي المحاسن محمد بن علي بن الحسن الحسيني الدمشقي، ط: دار الكتب العلمية الطبعة الأولى 1419ه - 1998م، مصورة عن الطبعة الهندية القديمة)) .

((الرد الوافر لمحمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي، تحقيق زهير الشاويش، ط: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى، 1393هـ)) .

((الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق صبري بن سلامة شاهين، ط دار الثبات الطبعة الأولى 1424ه -2003م)) .

((الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي تحقيق مجموعة من المحققين في رسائل علمية ط جامعة الشارقة الطبعة الأولى 1427ه- 2006م)) .

((السلوك لمعرفة الدول والملوك، لأحمد بن علي المقريزي، تحقيق: محمد عطا، دار الكتب العلمية،بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1418هـ-1997م)).

((السنة، لأحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال أبي بكر تحقيق: عطية الزهراني، ط: دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى ، 1410هـ)) .

((السنة، لعبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: محمد سعيد سالم القحطاني، ط: دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى ، 1406هـ)).

((السنن، لمحمد بن يزيد أبي عبد الله القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر دار الفكر – بيروت مع الكتاب تعليق محمد فؤاد عبد الباقي والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها)) .

((سنن، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، الناشر دار الكتاب العربي بيروت)) .

((السنن، لعلي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، تحقيق السيد عبد الله هاشم يماني المدني، الناشر دار المعرفة - بيروت ، 1386ه – 1966م)) .
((السنن، لعبدالله بن عبدالرحمن أبي محمد الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي، الناشر دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الأولى 1407م)) .
((السنن الكبرى، لأحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي، تحقيق د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، الناشر دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى 1411ه - 1991م)) .
((السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، ومؤلف الجوهر النقي علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني، ط مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة الأولى))
((السيرة، لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني، تحقيق أحمد فريد المزيدي، ط دار الكتب العلمية، 1424ه- 2004م)) .
((سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق بشار عواد و محيي هلال السرحان وحسين أسد، ط مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1404 هـ- 1984م)).
((الشفا بحقوق المصطفى - صلى الله عليه وعلى آله وسلم- للقاضي أبي الفضل عياض اليحصبي، تحقيق علي محمد البنجاوي، ط دار الكتاب العربي 1404ه - 1984م)) .
((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن رواه اللالكائي، تحقيق أحمد بن سعد الغامدي، ط: دار طيبة، الرياض السعودية)).
((الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف، دار الفرقان، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى، 1404ه)) .

((شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط، ط دار بن كثير دمشق سنة النشر 1406ه)) .

((شذرات الذهب لعبد الحي بن محمد العكري المعروف بابن العماد، تحقيق مجموعة من المحققين، ط دار ابن كثير دمشق، الطبعة الأولى 1406ه -1986م))

((شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط وكالة الطباعة والترجمة في الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد)) .

((شرح الكوكب المنير لتقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار تحقيق محمد الزحيلي و نزيه حماد، الناشر مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية 1418ه - 1997م))

((شعب الإيمان لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبي بكر البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد وأشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند)) .

((الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة 1407 هـ - 1987 م)) .

((صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي؛ ترتيب علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي، المنعوت بالأمير، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الناشر مؤسسة الرسالة)) .

((صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته لمحمد ناصر الدين الألباني، ط المكتب الإسلامي.)) .

((صفة الصفوة، لعبد الرحمن بن علي بن محمد أبي الفرج، تحقيق : محمود فاخوري ود.محمد رواس قلعه جي، ط: دار المعرفة – بيروت، الطبعة الثانية ، 1399هـ - 1979م)).

((طبقات الحنابلة لأبي الحسين ابن أبي يعلى ، محمد بن محمد ، تحيقيق محمد حامد الفقي، ط دار المعرفة – بيروت)) .

((الضوء اللامع، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار الجيل، بيروت الطبعة الأولى: 1412هـ - 1992م)) .

((طبقات الشافعية لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، تحقيق د. الحافظ عبد العليم خان، دار النشر مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى)) .

((طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنروي، تحقيق سليمان بن صالح الخزي، الناشر مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الأولى 1997م)) .

((العرش وما روي فيه، لمحمد بن عثمان ابن أبي شيبة العبسي أبي جعفر، تحقيق: محمد بن حمد الحمود، ط: مكتبة المعلا، الكويت، الطبعة الأولى ، 1406هـ)).

((العظمة، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني أبي محمد، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، ط: دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ، 1408هـ)).

((العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي أبي عبد الله، بيروت، تحقيق محمد حامد الفقي ، ط دار الكاتب العربي)) .

((العلل المتناهية في الأحاديث الواهية لابن الجوزي، تحقيق خليل الميس، ط دار الكتب العلمية بيروت 1403ه)) .

((العلو للعلي الغفار لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق أبو محمد أشرف بن عبدالمقصود، الناشر مكتبة أضواء السلف - الرياض الطبعة الأولى 1995م)) .

((علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف، الناشر مكتبة الدعوة - شباب الأزهر (عن الطبعة الثامنة لدار القلم)) .
((عمدة التفسير لأحمد شاكر، الناشر دار الوفاء الطبعة الثانية 1426ه -2005م))
((عون المعبود شرح سنن أبي داود لمحمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، الناشر دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الثانية)) .
((الغاية في شرح الهداية، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: أبي عائش عبد المنعم إبراهيم، ط: مكتبة أولاد الشيخ للتراث، 2001م)).
((غاية النهاية، لابن الجزري، تحقيق براجستراسر، ط دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 2006م.)) .
((غريب الحديث لحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أبي سليمان، تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي، ط جامعة أم القرى تحقيق عبد الكريم الغرباوي الطبعة الثانية 1422ه - 2001م)) .
((غريب الحديث، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبي محمد، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، ط: مطبعة العاني – بغداد، الطبعة الأولى ، 1397هـ)) .
((فتح الباري، لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني، دار المعرفة - بيروت ، 1379 م)).
((فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، ط: مؤسسة الريان بيروت، الطبعة الثالثة، 1425هـ- 2005م)).
((الفتاوى الكبرى، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا - مصطفى عبدالقادر عطا، ط: دار الكتب العلمية، الطبعة: الطبعة الأولى 1408هـ - 1987م)).
((الفردوس بمأثور الخطاب، لأبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني الملقب إلكيا، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، ط دار الكتب العلمية، بيروت ، 1406 ه - 1986م)) .

((فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني تحقيق إحسان عباس ط دار الغرب الإسلامي - بيروت 1982م)).
((الفوائد لتمام بن محمد الرازي أبو القاسم، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط: مكتبة الرشد الرياض، سنة النشر 1412 هـ)) .
((الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للذهبي، عناية محمد عوامة وأحمد الخطيب، ط دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن السعودية، جدة، الطبعة الأولى، 1413ه - 1992م)) .
((الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي دار إحياء التراث العربي – بيروت)) .
((كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، الناشر دار ومكتبة الهلال)) .
((كتاب القبور لابن أبي الدنيا، قدم له وضبط نصه وخرج نصوصه: طارق محمد سكلوع العمود، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة 1420هـ - 2000م))
((كتاب الكليات أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق عدنان درويش - محمد المصري، ط مؤسسة الرسالة - بيروت - 1419ه - 1998م)) .
((الكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي بن الأثير الجزري، صححه محمد الدقاق، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، 1424هـ- 2003م)).
((كشف الأستار عن زوائد مسند البزار على الكتب الستة، لنور الدين علي الهيثمي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظي، ط مؤسسة الرسالة 1404ه- 1984)) .
((كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لمصطفى عبد الله الشهير بحاجي خليفة، ط إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان)) .
((الكشف والبيان، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشو، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة الأولى 1422 ه - 2002 م)) .

((الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق عدنان درويش - محمد المصري، دار النشر مؤسسة الرسالة - بيروت - 1419ه - 1998م)) .
((لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، ط دار المعرفة)) .
((اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ط: الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء ، الرياض، المملكة العربية والسعودية)) .
((لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، عليه حواشي اليازجي وجماعة ط: دار صادر، بيروت الطبعة، الأولى)) .
((مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ط مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة الطبعة الثالثة 1421ه - 2000م)) .
((مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ط: دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة والعشرون، يناير 2000م)) .
((المجتبى من السنن لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، الناشر مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب الطبعة الثانية 1406ه - 1986م)) .
((مجلة البحوث الإسلامية - مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - معها ملحق بتراجم الأعلام والأمكنة، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد)).
((مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، ط دار المعرفة – بيروت)) .
((مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، الناشر دار الفكر، بيروت - 1412 ه)) .
((مجموع الفتاوى لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ط ابن قاسم)) .

((المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لعبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد بدران، تحقيق محمد أمين ضناوي، ط دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1417ه 1996م)) .

((المستدرك على الصحيحين لمحمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الناشر دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى،1411ه - 1990م مع تعليقات الذهبي في التلخيص)) .

((المستقصى في أمثال العرب، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ط: دارالكتب العلمية، بيروت الطبعة الثانية ، 1987م)).

((المسند للإمام أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، الناشر مؤسسة الرسالة)) .

((مسند الشهاب، لمحمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية ، 1407ه – 1986م)) .

((المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، ط المكتبة العلمية – بيروت)) .

((المُصنف، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، تحقيق محمد عوامة)) .

((المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية 1403هـ)) .

((معالم التنزيل لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، ط دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة 1417 ه - 1997 م)) .

((المعالم الجغرافية الواردة في تاسيرة النبوية، لعاتق البلادي، دار مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1402هـ - 1982م)).

((المعجم الأوسط لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر دار الحرمين - القاهرة 1415ه)) .
((معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الحموي أبي عبد الله، ط: دار الفكر – بيروت)).
((معجم المؤلفين عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة الطبعة لأولى 1414ه-1993م)).
((معجم المؤلفين مؤسسة الرسالة الطبعة لأولى 1414ه- 1993م)) .
((المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط مكتبة العلوم والحكم – الموصل، الطبعة الثانية، 1404ه - 1983م)) .
((معجم المناهي اللفظية لبكر أبو زيد، دار العاصمة السعودية 1417هـ، 1996م)).
((معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لعبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي أبي عبيد، تحقيق مصطفى السقا، ط عالم الكتب – بيروت، الطبعة الثالثة،1403ه)) .
((معجم المختص بالمحدثين، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي تحقيق د. روحية عبد الرحمن السويفي، الناشر دار الكتب العلمية بيروت – لبنان 1413ه - 1993م))
((معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط دار الفكر، الطبعة 1399ه - 1979م. (لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط دار صادر – بيروت)) .
((المعجم المختص بالمحدثين، لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق د. محمد الحبيب الهيلة، ط مكتبة الصديق، الطائف 1408ه)) .
((المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر و محمد النجار، تحقيق مجمع اللغة العربية، ط دار الدعوة)).

((المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن ابن سيده المرسي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط: دار الكتب العلمية، 2000م)).
((مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، المؤلف : السيوطي)) .
((المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، ط: دار المعرفة)) .
((المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات د. عبد الرحمن المغراوي)) .
((المواعظ والاعتبار، للمقريزي، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي ط مكتبة مدبولي 1998م.)) .
((مفاتيح الغيب للإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، الناشر دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى- 1421ه - 2000 م)) .
((مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكَريّا، تحقيق عبد السَّلام محمد هَارُون، الناشر اتحاد الكتاب العرب، الطبعة 1423ه - 2002م)) .
((ملاحظات رقما الجزء والصفحة يتوافقان مع طبعة الدار السلفية الهندية القديمة. ترقيم الأحاديث يتوافق مع طبعة دار القبلة)) .
((معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم بن أحمد العباسي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط عالم الكتب، بيروت، 1367ه 1947م.))
((مناهج البحث العلمي لعبد الرحمن بدوي، ط وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الثالثة 1977م)).
((مناهج المفسرين من العصر الأول إلى العصر الحديث، للدكتور محمود النقراشي ط مكتبة النهضة القصيم المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1407ه - 1986م)) .
((مناهج المفسرين القسم الأول، لمصطفى مسلم، دار المسلم الطبعة الأولى 1415هـ)).

((مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ط مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة، الطبعة الثالثة)) .
((منهاج السنة، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط: مؤسسة قرطبة ، الطبعة لأولى)).
((المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية ، 1392م)).
((المنهل الصافي، لابن تغري بردي، تحقيق: الدكتور محمد محمد أمين، تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب)).
((الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، الطبعة (من 1404 - 1427 ه) الأجزاء 1 - 23 الطبعة الثانية ، دارالسلاسل – الكويت، الأجزاء 24 - 38 الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة، مصر، الأجزاء 39 – 45)) .
((ميزان الاعتدال للذهبي، تحقيق علي البجاوي، ط دار المعرفة لبنان بيروت.)) .
((الناسخ والمنسوخ، لأبي عبيد القاسم بن سلام، بتحقيق محمد صالح مديفر طبعة دار الرشد الرياض)).
((نحو منهج أمثل لتفسير القرآن، بحث من إعداد الشيخ الدكتور أحمد بن محمد الشرقاوي الأستاذ المشارك بجامعة الأزهر وبكلية التربية بالقصيم مقدَّم للمؤتمر الإسلامي العالمي عن مناهج المفسرين وشُرَّاح الحديث بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا المحور الرابع المناهج التجديدية في تفسير القرآن الكريم 1427هـ - 2006م)) .
((نشأت التفسير ومناهجه في ضوء المذاهب الإسلامية للدكتور محمود بسيوني فوده مطبعة الأمانة مصر الطبعة الأولى 1406ه- 1986م)) .
((نظم الدرر، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي، دار الكتب العلمية)).
((نظم العقيان في أعيان الأعيان لجلال الدين السيوطي، حرره فيليب حتي، ط المكتبة العلمية – بيروت)) .

((نهاية الأرب للنويري لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري تحقيق مفيد قمحية وجماعة ط دار الكتب العلمية - بيروت- الطبعة الأولى 1424 ه - 2004 م)).
((نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب، لأبي العباس أحمد القلقشندي، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1400هـ- 1980م)).
((النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط دار الكتب العلمية الطبعة الأولى 1413ه- 1992م)) .
((النشر في القراءات العشر لمحمد بن محمد بن محمد الجزري، أشرف على تصحيحه ومراجعته علي محمد الضباع -شيخ عموم المقارئ بالديار المصرية))
((النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، ط المكتبة العلمية - بيروت، 1399ه - 1979م)) .
((الوجيز في عقيدة السلف الصالح، لعبد الله بن عبد الحميد الأثري، مراجعة وتقديم صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، الطبعة الأولى، ط وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية تاريخ النشر 1422ه)) .
((وفيات الأعيان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، ط: دار صادر – بيروت)).
((الوفيات، لأبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب، تحقيق عادل نويهض، الناشر دار الإقامة الجديدة بيروت سنة النشر 1978م)) .

المواقع والمجلات:

- الوعي الإسلامي: مجلة كويتية شهرية جامعة تصدر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت.
- موقع ملتقى أهل التفسير: http://tafsir.net/vb
- موقع ملتقى أهل الحديث: http://www.ahlalhdeeth.com/vb/index.php
- موقع الموسوعة الحرة: http://ar.wikipedia.org/wiki

05- فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
1	المقدمة	7
2	أهمية الموضوع:	8
3	أسباب اختيار الموضوع:	9
4	الدراسات السابقة:	10
5	منهجي في البحث:	12
6	منهجي في صياغة البحث:	12
7	خطة البحث:	16
8	التمهيد	20
9	التعريف بكلمة مقارنة، ومنهج، وتفسير	20
10	تعريف المقارنة:	20
11	تعريف المنهج:	22
12	نبذة عن التفسير ومدارسه	24
13	تعريف التفسير:	24
14	نبذة مختصرة عن نشأة التفسير وتطوره ومدارسه:	28
15	دراسة حياة الإمامين والتعريف بكتابيهما:	34
16	الإمام الخازن، وكذلك الإمام ابن كثير - رحمهما الله - وفيه ثلاثة فصول:	34
17	الفصل الأول	35
18	ترجمة الإمام الخازن - رحمه الله -، وفيه ستة مباحث:	35
19	المبحث الأول اسمه، ونسبه، وكنيته، ولقبه، ومولده، ونشأته	36
20	المبحث الثاني طلبه للعلم ورحلاته	37
21	المبحث الثالث شيوخه وتلاميذه	38
22	المبحث الرابع عقيدته ومذهبه	39
23	المبحث الخامس مكانته العلمية وثناء العلماء عليه	46
24	المبحث السادس وفاته وآثاره العلمية	47
25	الفصل الثاني	48
26	ترجمة الإمام ابن كثير - رحمه الله -، وفيه ستة مباحث:	48
27	المبحث الأول اسمه، ونسبه، وكنيته، ولقبه، ومولده، ونشأته	49
28	المبحث الثاني طلبه للعلم ورحلاته العلمية	51
29	المبحث الثالث شيوخه وتلاميذه	52

م	الموضوع	الصفحة
30	المبحث الرابع عقيدته ومذهبه	56
31	المبحث الخامس مكانته العلمية وثناء العلماء عليه	59
32	المبحث السادس وفاته وآثاره العلمية	61
33	الفصل الثالث	65
34	التعريف بالكتابين (لباب التأويل وتفسير القرآن العظيم)	65
35	المبحث الأول اسم الكتابين وموضوعهما	66
36	المبحث الثاني في توثيق الكتابين وصحة نسبتهما إلى الإمامين - رحمهما الله تعالى -.	68
37	المبحث الثالث قيمة الكتابين العلمية	70
38	المبحث الرابع دوافع تأليف الكتابين	72
39	المبحث الخامس: مصادر الإمامين في الكتابين، وفيه مطلبان:	74
40	المطلب الأول: ذكر الخازن للمصادر وطريقته في العزو إليها:	74
41	المطلب الثاني: ذكر ابن كثير للمصادر وطريقته في العزو إليها:	78
42	المقارنة:	81
43	الباب الثاني	82
44	المقارنة بين منهجي المؤلفين في كتابيهما من خلال (سورة مريم إلى نهاية سورة سبأ)	82
45	الفصل الأول	83
46	منهجهما في التفسير بالمأثور؛ وفيه تمهيد وأربعة مباحث:	83
47	المقارنة:	95
48	المبحث الأول: المقارنة بين منهجيهما في تفسير القرآن بالقرآن	97
49	المقارنة:	112
50	المبحث الثاني: المقارنة بين منهجيهما في تفسير القرآن بالسنة	114
51	المقارنة:	136
52	المبحث الثالث: المقارنة بين منهجيهما في تفسير القرآن بأقوال الصحابة - رضي الله عنهم - والتابعين	138
53	المقارنة:	145
54	المبحث الرابع: المقارنة بين موقفيهما من المرويات الإسرائيلية وكيف تسربت إليهما	147
55	المقارنة:	157
56	الفصل الثاني	159
57	(اهتمامات الشيخين في كتابيهما)	159
58	المبحث الأول: المقارنة بينهما في الكلام على مسائل الاعتقاد والاهتمام بها وتقريرها	161
59	المقارنة:	182

م	الموضوع	الصفحة
60	المبحث الثاني: المقارنة بينهما في عرض الأحكام الفقهية والتدليل عليها وسرد الأقوال وترجيحها	184
61	المقارنة:	198
62	تذييل: اهتمام الشيخين بالمسائل الأصولية:	199
63	المقارنة:	201
64	المبحث الثالث: المقارنة بين منهجيهما في الكلام على مباحث علوم القرآن كالناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ونحوهما، واهتمامهما بذلك، وفيه تمهيد وخمسة مطالب:	202
65	المطلب الأول: اهتمام الشيخين بأسباب النزول.	203
66	المقارنة:	208
67	المطلب الثاني: اهتمام الإمامين بمن نزلت الآيات في شأنهم (المبهمات)	209
68	المقارنة:	213
69	المطلب الثالث: اهتمام الشيخين بالمناسبات	215
70	المقارنة:	219
71	المطلب الرابع: اهتمام الشيخين بالإشكالات والجواب عنها	220
72	المقارنة:	232
73	المطلب الخامس: اهتمام الإمامين بالناسخ والمنسوخ	233
74	المقارنة:	239
75	المبحث الرابع: المقارنة بينهما في تفسير القرآن الكريم من جهة اللغة العربية	240
76	المقارنة:	254
77	المبحث الخامس: المقارنة بينهما في الجانب التربوي والوعظ والإرشاد	256
78	المقارنة:	261
79	الفصل الثالث	262
80	(منهج الإمامين في سرد تفسير الآيات وصياغة الكلام عليها)	262
81	تمهيد:	263
82	المبحث الأول: المقارنة بين منهجيهما في ابتداء الكلام على السور والآيات وترتيبه وفيه مطلبان:	264
83	المطلب الثاني: في الكلام على ما يتعلق بتفسير الآيات على وجه الإجمال	269
84	المقارنة:	274
85	المبحث الثاني: المقارنة بين منهجيهما في سَوق الروايات التفسيرية	276
86	المقارنة:	282
87	المطلب الأول: منهجهما في التعامل مع الأقوال:	284
88	المقارنة:	297

م	الموضوع	الصفحة
89	المطلب الثاني الترجيح:	299
90	المقارنة:	309
91	المبحث الرابع: المقارنة بين منهجيهما في الاستنباط من النصوص وحسن التدبر	311
92	المقارنة:	321
93	الخاتمة:	323
94	الفهارس	327
95	01- فهرس الآيات	328
96	02- فهرس الأحاديث	340
97	03- فهرس الأعلام المترجم لهم	349
98	04- فهرس المصادر والمراجع	352
99	05- فهرس الموضوعات	369